
KÖPRÜLÜ KÜT.
131

النصف الثاني من الكافي

١٢١

التوفيق هو ما يقع عنده فعل الواجب لاجله والعصمة هي ما يقع عندها ترك المعصية لاجلها
واللطف هو ما يكون المكلف عنده اقرب الى فعل الطاعة او ترك المعصية فهو اعم منهما

ختم السورة باية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد
المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي
منقلب ينقلبون وابهامه في الكشاف في آخر سورة الشعراء ٥

قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قال جنات بلفظ الجمع لكون الجنان سبعا جنة الفردوس
وعدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون ٥

سورهٔ صاد ده اسماء الله که حدی لوز التمش در حضرت علی دن مروی در

قال الله تعالى قال

اصلاح المنطق تاليف ابن السكيت ٥

التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة

ولست بمفراح اذا الدهر سرني
ولا جازع من صرفه المتقلب ٥

اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ٥

جميع قوى الدنيا سوى العز التي
تبوأها دار الفداء ترخصرا
واظهر بان ترجي لخير بامرء
اذا عد في اشد الشر انزع
الشرا ٥

قيل لشيخ كبير كيف اصبحت قال في
داء يتمناه الناس ٥

صاد الصدق وكاف الكيميا معا
لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

تملكه العبد الفقير مع جلده الاول
محمد يحيى ... فضائله الكريمة
في ١٠٥٩ محرم

اي قال النبي عليه السلام

قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله في اواخر سورة النور من الكشاف

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القرآن على رسول الله صلى الله عليه في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس رض اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله ع م ان القرآن نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وفايدة عوفي بعد التلاوة بما يليق بابها فان قراه تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا مريم اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ك ف في تفسير اوائل البقرة

نفس وروح تفصيلي
سوره ذمرده در

قال الله تعالى قال الذي عنده علم الآية رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الله والرحمن كشاف في سورة النمل

وما قدروا الله حق قدره والسموات مطويات بيمينه ايه في سورة الطويل

وما خلقت الجن والانس الآية الا ليعرفوني ثم يعبدوني على طريق المعرفة ليتبروا من الرياء والسمعة قال ابو بكر الرازي سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول ان خلق الدنيا اظهارا لقدرته وخلق الآخرة جزاء للخلق ورفع السماء بنيانا للملائكة ونصب الجبال تعظيما لجبروته ومد الارض اعلاما لبطشه واجرى الانهار اخبارا لرافته وخلق الجنة لاوليائه بيانا لفضله وخلق النار لاعدائه اظهارا لعزه واستشهادا لربوبيته وكبريائه الا ليعبدون قال الجنيد الزمهم دوام العبادة وضمن لهم في الرزق وفي الآخرة بجزيل الثواب تفسير زكي

قلت

الشكر قيد للنعم الموجوده
وصيد للنعم المفقوده
وفي كلام بعض المتقدمين
ان كفران النعم بوار

تفصيل دابة الارض في
اواخر سورة النمل

جواز زيادة العمر ونقصانه مذكور في تفسير قوله تع وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب في سورة الملائكة ٥

صلوة اشراق سوره ص ده بيمن بالعشي والاشراق
ايه كريمه سنك تفسيرنده مذكوردر

النصف الثاني من الكشاف عن حقائق التنزيل

لجار الله العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله

صاحبه ومالكه اضعف عباد الله الحكم العدل

محمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي سهل متعه الله به وبامثاله امين

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى

سورة مريم مكية وهى تسعون وثمان او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما علي وخلف وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك اى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قرئ وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابى عمرو وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذى احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائى بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالى اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى او خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم خفت الموالى من وراى وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى اى قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه والثانى

وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين

ان يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف او اراد اخترعه منك بلا سبب لانى وامراتى لا نصلح للولادة يرثنى ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب وعن الجحدرى او يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على رضى الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثنى به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن بن داود لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامى الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحى في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم

شنع الاسامى مسبلى ازر حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اى كانت على صفة العقر حين انا شابة وكهلة فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه

فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتى والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب

قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله تعالى غنى عن الاسباب اى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابى ومجاهد عسيا كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى
إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن
جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت
من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا

ونحوه وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين
ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول أي الأمر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر
وهو أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله لا إلى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين أي قال
هو علي هين قال وهو علي هين وإن شئت لم تنوه لأن الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده
وقوله الحق شيئا لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله إذا رأى
غير شيء ظنه رجلا وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك أي اجعل لي علامة أعلم بها وقوع
ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس
ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن
أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له إلا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الأرض سبحوا صلوا أو
على الظاهر وأن هي المفسرة أي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة
ومنه وأحكم كحكم فتاة الحي فقال حكما حكما كحلم وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس
وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل
وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه حنانا رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة
أنشد سيبويه ٭ وقالت حنان ما أتى بك هاهنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف ٭ وقيل حنانا من
الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعير للعطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل
رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم سلم الله عليه في هذه الأحوال قال ابن عيينة إنها أوحش المواطن إذ بدل من مريم
بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا
لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان
مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من
الحيض محتجبة بحائط أو شيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها
فإذا طهرت عادت إلى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه
جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا أو حسن الصورة مستوي الخلق
وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم
تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة

قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين
ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا

الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبر العفتها وقيل كانت في منزل
زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها فتمنت أن تجد
خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت وجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها
الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل إن النصارى
اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لأن الدين يحيا به وبوحيه أو
سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا
بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين
في قوله فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح
أي مقربنا وذا روحنا أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة
به فإني عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أي إنما أنا رسول من استعذت به
لأهب لك لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك
أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية
عنه كقوله من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء والزنى ليس كذلك إنما يقال فيه فجر بها وخبث بها
وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي
الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام
هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله محذوف
أي ولنجعله آية فعلنا ذلك أو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله
كذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه
عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان
على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى
الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب
درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي
العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل
ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من
يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة

بها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا

وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل قالوا يا ابن مولود الا يستهل غيره فانتبذت
به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على
ظهورها ونحوه قوله تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل
حملت من الزنى خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها
فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها اجاءها منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته
وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان وآتانيه فلان قرا ابن
كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت
الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم
وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم
منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان
الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو حرسة النفساء الموافقة لها ولان
النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها
اختارها لها والجاها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من
حقه ان ينسى ويطرح كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه
بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير
نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى
في العادة وقد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء
والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذا
بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال
والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر
تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه
او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال

فناديها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي
وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا

الفراء نسيا النسيان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن
كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته وزهادته وقرا الاعمش
منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة
وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها
الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة
فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه عن السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض
السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله
عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من
اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة
عن العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع
من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط
بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء
للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه
بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى
افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من
العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع
اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر
لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي
عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا
من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتاخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال
صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر

فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلم علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا

الصوم ليلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام ليتبين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها فقيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فريا البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرا سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلم وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ها هنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان نكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا الى ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير قرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاء رجل

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم

فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلم واعدائها من اليهود وحقيقته ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهو قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمفتقر اليه اذ من المحال غير المستقيم ان يكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ها هنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل قرا المدنيون وابن عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاسناد وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم

اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع

اى من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من
وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبيا والسنتهم
ايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا
به في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ
جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون
وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا
بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد
بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان
ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين
عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اى وانذرهم على هذه الحال غافلين
غير مومنين يخبر انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب
بها الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة
ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق
للكتب والرسل اى كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق
وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله
باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله
اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا
نبيا اى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد
بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم
نبا ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من
ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا
من اليا وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض اليا فيه عن الواو الساقطة انظر حين اراد
ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى
فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام

ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان
للرحمن عصيا

معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه اوحى الله الى ابرهيم عليه السلم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل
مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس
وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه
موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب
والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية
ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملئكة والنبيين
قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق
المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره
وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا
وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به
حس وشعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك
له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيها ثم ثنى بدعوته
الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال
ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف
وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه
ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع
ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو
ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت
ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلم لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في
الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره
ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره
واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما تجره وما يتبعه من التبعة والوبال

يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبرهيم لئن لم تنته لأرجمنك
واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا

ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال
أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة
أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله
المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية
الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدّر كل نصيحة من النصائح
الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن يكون موصولة وموصوفة
والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا إبصار وشيئا يحتمل وجهين أحدهما
أن يكون في موضع المصدر أي شيئا من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني أن يكون
مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك فلما جاءه فيه بجذ العلم عنده لما أطلعه على سماجة صورة
أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ
بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ
في قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والإنكار
لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله
صلى الله عليه عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه
الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي
بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى
لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا مطيقا له مضطلعا به فإن قلت علام عطف واهجرني قلت
على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لئلا أرجمنك تهديد وتقريع
سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح
والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار فإن قلت
كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر
كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير
بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له بقوله واغفر لأبي
إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار إبرهيم لأبيه إلا

وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه
من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا

عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما
القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على
قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى إلا قول إبرهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا
للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد
هو إبرهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي إلا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية
وعدها أباه والله أعلم الحفي البليغ في البر والإلطاف حفي به وتحفى به أراد بالاعتزال
المهاجرة إلى الشام المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلم الدعاء
هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه
الله في سورة الشعراء عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع
لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه
أولادا مؤمنين أنبياء من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير
ديني ودنيوي أوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد
عما يطلق باليد وهي العطية قال إني أتتني لسان لا أسر بها يريد الرسالة ولسان العرب
لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى
ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبرهيم وملة إبرهيم حنيفا ثم أوحينا إليك
أن اتبع ملة إبرهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه
المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء وأخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح
الذي أخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم
يكن معه كتاب كيوشع الأيمن من اليمين أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب شبهه
بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية قربه حتى سمع صريف
القلم الذي كتبت به التوراة من رحمتنا من أجل رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض
رحمتنا كما في قوله ووهبنا له من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت
رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن
ابن عباس رضي الله عنه ذكر إسمعيل عليه السلم بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا
له وإكراما كالتلقيب نحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس

وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك
الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم
آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

إنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح
فوفى حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة
ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة
قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى وقيل أهله أمته
كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا
للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك إدريس قيل
سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه أخنوخ وليس بصحيح لأنه لو كان إفعيلا من
الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة و
كذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن
السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى
إدريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة
والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك يرفعه أنه رفع إلى السماء الرابعة
وعن ابن عباس إلى السماء السادسة وعن الحسن إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي
أنه لما أنشد رسول الله صلى الله عليه الشعر الذي آخره ٭ بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وإنا لنرجو
فوق ذلك مظهرا ٭ قال له رسول الله إلى أين يا أبا ليلى قال إلى الجنة أولئك إشارة إلى المذكورين
في السورة من لدن زكريا إلى إدريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان
إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد
سام بن نوح وإسمعيل من ذرية إبراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية إسرائيل وكذلك
عيسى لأن مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الأولى والثانية إن جعلت الذين خبرا لأولئك
كان إذا تتلى كلاما مستأنفا وإن جعلته صفة له كان خبرا وقرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير
لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل والبكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد
عن رسول الله صلى الله عليه اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت
القرآن على رسول الله صلى الله عليه في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وعن ابن عباس

فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا

إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول
الله صلى الله عليه إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا ينبغي أن يدعو في سجدة التلاوة بما يليق
بآيتها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك
أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين
لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند
تلاوة آياتك خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون
كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود تركوا
الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب وعن إبراهيم ومجاهد أضاعوها
بالتأخير وينصر الأول قوله إلا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا
الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الأمة وقرأ ابن
مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال
٭ فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٭ وعن الزجاج جزاء غي كقوله
يلق أثاما أي مجازاة أثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها
وروى الأخفش يلقون فسوف يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه
بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك
أو لا يظلمون البتة أي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت
دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر
وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم لأرض
الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة
ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء أي وعدها وهي غائبة
عنهم غير حاضرة أو وهم غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والإيمان به قيل
في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى
إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه
ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله
وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم

تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا

سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم
على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع
او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء
فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة
ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة
ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل
اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرئ نورّث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على
الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها
باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى
وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول
جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر
وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا
ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل
جبريل قال له النبي صلى الله عليه ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني
عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الآية وسورة والضحى
والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن
لملاك تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزّل ونزّل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج
واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت
ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن
وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ
العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان
نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا
وما يستقبل من امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا
اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية
ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته و
يامرنا به وياذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك
الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك
لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي
عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا
به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله
عليه حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من
المتقين وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود
الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النبي مثله في الياء رب السموات والارض بدل من
ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله
وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من
كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي
صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك
للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد
عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب
اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط
وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة
فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه
اخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها
كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه العباد اليه العبادة الا هو
وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها يجوز ان يراد بالانسان الجنس

ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا

بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة فإن قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق ٭ فسيف بني عبس وقد ضربوا به ٭ نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد ٭ فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فإن قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فإن قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكأنهم قالوا أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشآن لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها

فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا

وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فإن قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فإن قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فإن قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كأنه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب

ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولك هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا

الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا اي يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالايات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت ورياء على القلب كقولهم راء في راى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رياء بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض

حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا

بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في
الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله
على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة
ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن
نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة
ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا
من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه
لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها
فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة
بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة
خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه
قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد معطوف على موضع
فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد
اي يزيد في ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات
اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من
قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم
ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله
فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا
وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ
للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان
لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي
ابلغ في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة
بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي

اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا

هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع
الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال
وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول
او قد بلغ من عظمة شأنه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى
ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم
الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرأ حمزة والكسائي وولدا وهو جمع ولد كأسد في اسد او بمعنى
الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة
هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه
ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب
بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا
ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال
وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون
وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع
وتنبيه على الخطأ اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف
قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد
يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر
فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه
بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد
يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك
بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول
اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول
وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى
وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين

لانه جواب قسم مضمر ومن يتألّ على الله يكذبه ويقول الله عز وعلا هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أنه إنما يقول هذا القول ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الأول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك أي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كلا هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول إن صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أو للمشركين أي ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أي أعوانكم وكأن العون سمي ضدا لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه **فإن قلت** لم وحد **قلت** وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين فإن المعنى ويكونون عليهم أي أعداءهم ضدا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الإزعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد

على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا

تعجيب رسول الله صلى الله عليه بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وإفراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد نصب يوم بمضمر أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء والورد العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء **قال** ردي ردي ورد قطاة صما كدرية أعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في لا يملكون إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالإيمان والعمل وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق

لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا

الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع فى التنزيل وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على ادا تكاد قراءة الكسائى ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا ابن مسعود ينصدعن اى تهد هدا او مهدودة او مفعول له اى لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى ووقارى وانى لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر فى المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا فى ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله

على حالة لو ان فى القوم حاتما ... على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اى هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا

ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا

بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بنى نهشل لا ندعى لاب اى لا ننتسب اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها واما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله اولادا فى عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن اى يأوى اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شئ من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم قرا جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروى ان النبى صلى الله عليه قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور

فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا
بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القران لتشقى

المومنين مودة فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول
الله صلى الله عليه يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن
قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة السورة ومقطعها
فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي
المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الاخذون في
كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف
لهم وانذار وقرى تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرا حنظلة
تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض
والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون
واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون واربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال
الها وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر
بالوطء وان النبي صلى الله عليه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض
بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع
ثم بني عليه الامر والها للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين
والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا
كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة
ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
والاقوال الثلثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي
يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسما الحروف على الوجه السابق
ذكره فهو ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا
والقران ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قران وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرى ما نزل عليك القران

الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى

لتشقى لتتعب لفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا كقوله لعلك باخع نفسك
والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان
تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في ادا الرسالة والموعظة
الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين اباك فاريد
رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة
وما فيه الكفرة هو الشقا بعينها وروي انه عليه السلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال
له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها
المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل
الا ان الاول وجب مجيه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب
على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما
يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة
طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصب في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا
لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون
تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثنا المنقطع الذي
الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القران لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة
العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه
انه يبدل بالكفر ايمانا وبالفسوق خشية في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل
حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشي لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا
لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب
بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين
وقرى تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسما الحسنى تعظيم وتفخيم
لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا
نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى
لفظ الغائب قلت غير واحد منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة

الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى

ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد
الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة
من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى
دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن
خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا
مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن
او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون
كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف
الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على
السرير البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط
وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او
بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا
قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود
يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط
والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام ما تحت
الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة
اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى
عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت
كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن
جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من
القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الحسنى تانيث الاحسن
وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى
ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس
والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلم

وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى
اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى

ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند
الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى
نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلم في الخروج الى امه
وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا
اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به
الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس
فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود
الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم
لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه
قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني
بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية
في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد
الهدى ومعنى الاستعلاء على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه
في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها
قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى
او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة
وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل
انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه
من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من
اسفلها الى اعلاها كان نارها بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف
وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف
ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس في نفسه
خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت

وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى

غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع
لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول
منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي
انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان
والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين وقيل الوادي كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري
لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد
او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري
خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر
او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم
به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست
ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام
من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله
اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او يقدر حذف المضاف اي لذكر صلاتي
او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه للذكرى اي اكاد
اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها
من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف
لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف
اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه
اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه
فسر بيت امرئ القيس ۵ فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد ۵ فاكاد اخفيها
محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة
ويجوز ان يكون للصلاة فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى
عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت

وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي

فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب
والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على
السبب كقولهم لا اربنك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته
اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح
منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير
اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم
ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى
واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد
وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب
الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه
عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة
بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد
زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول
لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد قرا ابن ابي اسحق عصي
على لغة هذيل ومثله يا بشرى اراد واكثر ما قبل يا المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف
الى اخت الكسرة وقرا الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي
وعن ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع
وعند الطفرة هش الورق خبطه اي اخبطه على رؤوس غنمي تاكله وعن لقمن بن عاد
۵ اكلت حقا وابن لبون وجذع ۵ وهشة تحب وشبلاذ مع ۵ والحمد لله من غير شبع ۵ سمعته من
غير واحد من العرب ونجب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما
من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اي انحى عليها زاجرا
لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما
يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها
وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد
عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب

ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى

ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام
السعي المشي بسرعة وخفة حركة **فإن قلت** كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان **قلت** أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها
السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي

وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى فعلنا ذلك لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب **فإن قلت** لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام بدونه مستتب **قلت** قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله وأخي

واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل

هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكانت في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي
تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا
ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير
من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنته او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره
او من المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة واوا ووجه
قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق
ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظروا الى يوازر واخواته
والى المؤازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او
لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف
بيان اخر جاز وحسن قرؤا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه
على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به
ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره و
يوقف على هرون الازر القوة وازره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك
وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي
عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني
سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول
الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او
يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او
يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم
به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر
عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء
والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله
بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع
بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت

ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك

المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز
القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشية الله و
ارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل
المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل
روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم
وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا
بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا
لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله
اي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه
فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون
المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة
لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك
فرعون وكل من ابصرك روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر
عنه من راه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه
اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي
وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه او حذف معلله
اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر
وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في
اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل و
الوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل
لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها
يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها
وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية
استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع [illegible]

كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي
اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى

الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فقتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب
الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه
من فرعون ان ذهب به اطفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول
في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز
وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي
الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة
يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير
والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر و
الخير فتنة مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة
منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه
قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من
الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم
والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لان لا يكون
اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه
ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره الواني الفتور
والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر
حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني
معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة
فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى هرون وهو
بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله
هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه
الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة
المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من
حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس

وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من
يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى
ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه
والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة فرط سبق وتقدم
ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة
ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان تحمله حامل على المعاجلة
بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حب الرياسة او من
قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قوم فرعون وقال الملأ من قومه
وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او
يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه او ان يطغى
بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة معكما اي حافظكما وناصركما
اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصري لكما فجاز ان
يقدر اقوالكم وافعالكم وجاز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر
واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو وكانت بنو
اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل
الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك بآية من ربك جملة
جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت
الا ببينتها التي هي المجيء بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا
الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه
من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين اولو جئتك بشيء مبين
يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على
المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون
وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف

قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى

قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى

من فصاحة هرون والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولى اعطى اى اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اى اعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرى خلقه صفة للمضاف او المضاف اليه اى كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اى عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق يسأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشئ اذا اخطأته فى مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرى يضل من اضله اذا اضاعه وعن ابن عباس لا يترك من كفره به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اى لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعى الربوبية بالجهل والوقاحة الذى جعل مرفوع صفة لربى او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا قراءة اهل الكوفة اى مهدها مهدا او يتمهدونها فهى لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبى سلك من قوله تعالى ما سلككم فى سقر كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين اى حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شئ على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ

كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى

انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اى قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير فى فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه تمسحوا بالارض فانها بكم برة اريناه بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها ... ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفى قوله آياتنا ... تعريف اضافى حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعنى ... الاشارة الى الآيات المعلومة التى هى تسع الآيات المختصة ... والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ... وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم ... عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها ... يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ... موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق ... ان مثله لا يخذل ولا يقهر ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة

قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى

من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو المضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق [illegible] شقي منهم وسعادة

من سعد فلجابه [illegible]

[illegible]

اللوح المحفوظ [illegible]

فلم يتقدم له [illegible]

لا يترك من كفره [illegible]

تنازعه في إحاط[illegible]

وتماديكم [illegible]

كل كائن محيط به [illegible]

عليك أيها العبد [illegible]

الربوبية [illegible]

المدح وهذا من [illegible]

كالمهد [illegible]

أي حصل لكم فيها [illegible]

الغيبة [illegible]

لا هيئه [illegible]

كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ٣٠

أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد أزواجا أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله أي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا بعضها ويعلفوا بعضها أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة أريناه بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وإنما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وفي قوله آياتنا كلها وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وأبى أن يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق يلوح من جيب قوله أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك أن فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت له وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لا محالة

قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى

وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه
ويغلبه على ملكه بالسحر لا نخلفه الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا
او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان
تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا
ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة
له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر
مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدلا من المكان المحذوف
فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن
المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم
الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن
فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى
ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت
فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف طابقه
الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد
يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية
التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز
ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه
بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا
وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من
الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان اجرى الوصل مجرى الوقف
قرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه
ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله
موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما
واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس
الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر

قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى

المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر لا تفتروا على الله
كذبا اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل
نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق ۞ الا مسحتا او مجلف ۞ في بيت لا تزال الركب تصطك في
تسويته اعرابه وعن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه
وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم
تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في
تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان
هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان
زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران
وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان
هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى
فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام
داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سمي مذهبهم الطريقة المثلى
والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل
لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة
لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم بعضده
قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا
يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين
وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن
ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه
صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم
من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر
مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال
ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا
الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا

فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى

ما عندهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الأصل والكسر إتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله أنها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على أن الله هو المخيل للمحنة والابتلاء روي أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك إيجاس الخوف إضمار شيء منه وكذلك التوجس تسمع نبأة يسيرة من الصوت وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه إنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكثيرة الكبيرة فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس فإن قلت

فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى

فلم نكر أولا وعرف ثانيا قلت إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج: في سعي دنيا طالما قد مدت. وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إنما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء قرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم قرئ تقضي هذه الحياة الدنيا ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه تزكى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل

ومثله قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم

فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى

ما عندهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين
وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت
الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا
وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ
موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ
تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك
اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه
طريق تخيل وتخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء روي انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك التوجس
الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد
بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة
الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال
بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله
يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه
الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره
عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال
اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ها هنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى
تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى
انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه
وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو
جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس فان قلت

فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل
الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم
طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى

فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج
في سعي دنياطالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير
الامر كانه قيل انما صنعوا كيدا سحريا وفي سعي دنيوي وامر دنيوي وآخري حيث اتى كقولهم
حيث سير واينه سلك واينما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر
والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم
يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم
الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة ... واعلامهم
... كبيرى كذا ... بدون
... والقطع من خلاف

مولـه اي من نبات اعناب وانما كان التقدير
من نبات اعناب لان الجنات لا تكون من اعناب
لان العنب ثمر والجنات تكون من الاشجار ه

مولـه والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك
يشير به الى ان المحذوف انما هو من الثاني لا من الاول و
مذهب سيبويه في مثله ان المحذوف انما هو من الاول
لا من الثاني واستدل عليه بقول الشاعر نحن بما عندنا وانت
بما عندك راض والراي مختلف واما البيت الذي اورده
المصنف فيحتمل ان يكون المحذوف فيه من الاول لا
من الثاني ه مولـه والافتعال والتفاعل يتقال اشتبه
الشيئان يعني جاء افتعل وتفاعل بمعنى واحد فلذلك ذكر
لفظهما في مقابلة الآخر فقال مشتبها وغير متشابه فكانه قال
مشتبها وغير مشتبه او كانه قال متشابها وغير متشابه كما
جاء في القراءة الشاذة ه

تاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى

ما عندهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلّط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيّرة للناظرين
وعبرة بيّنة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت
الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصّت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا
وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا
موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ
تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك
اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه
طريق تخيل وتخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء وروي انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجّس
الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد
بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة
الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال
بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله
يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه
الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره
عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقّف بالرفع على الاستيناف او على الحال
اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ها هنا بمعنى زوّروا وافتعلوا كقوله تعالى
تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى
انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه
وبذاته او بيّن الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحو علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحّد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو
جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس فان قلت

فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل
الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم
طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى

فلم نكّر اولا وعرّف ثانيا قلت انما نكّر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج
في سعي دنيا طالما قد مدّت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير
الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي وآخروي حيث اتى كقولهم
حيث سير واية سلك واينما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر
والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم
[...] خرّوا ساجدا اراهم
[...] انه اسحرهم واعلامهم
[...] كبيري كذا اي بدون
[...] والقطع من خلاف
[...] ان هذا يد وذاك رجل
[...] لفة العضو العضو
[...] لفات لانها اذا
[...] تمكن الشيء الموعى
[...] على الله عليه بدليل
[...] للمؤمنين وفيه تفاجة
[...] لموسى عليه السلم
[...] عطف على ما جاءنا
[...] منتصبة على الظرف
[...] يوم الجمعة روي ان
[...] وكان فرعون اكرههم
[...] عصاه فقالوا
[...] الذنوب وعزاب
[...] من الله لا على وجه
[...] البين علة البيس
مصدر ووصف به يقال بيّن بيّنا وبينا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل

وليس يجوز ان يكون الخبر محذوفا الظرف اذا كان عاملا معنى الحصول
والاستقرار وسمي المستقر كان خبرا ولا يعامل الا الخبر محذوف لا الحاصل اي الموجود
واذا كان معنى فعل خاص مثل زيد جالس في الدار وعمرو في المسجد فالظرف لغو
والخبر محذوف يحتاج الى قرينة فلذا المخرج من النخل فقيل ان معنى حذف
الخبر بخلاف حاصله من النخل [...]

فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى

شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبساً ويابساً ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففاً من اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيداً كقوله ومعى جياعاً جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ ابو حيوة دركاً بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك وفي ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلاثة اوجه ان يستأنف كأنه قيل وانت لا تخشى اى ومن شأنك انك آمن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلى اسيراً يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اى قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قال
هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده
ويقولون هوت امه او سقط سقوطاً لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله

قوله او سقط الى آخره عطف على قوله هلك يعني يجوز ان يكون هوى بمعنى هلك مجازاً لان حقيقته السقوط ويجوز ان يكون بمعنى السقوط المخصوص

وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري

ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اى شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظراً الى دواعي الحكمة وعلماً بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثرى وعن ابي عمرو ويعقوب اثرى بالكسر وعن عيسى بن عمر اثرى بالضم وعنه ايضاً اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب **فان قلت** ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثرى كما ترى غير منطبق عليه **قلت** قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفاً **فان قلت** في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك **قلت** قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجوداً وقرئ واضلهم السامري اى وهو اشدهم ضلالاً لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجاً من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً قد اظهر الاسلام وكان

فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم
موعدى قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى

من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام فى موت الفجاة رحمة
للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين **فان قلت** متى رجع الى قومه **قلت** بعد ما استوفى
الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التى فيها هدى
ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكى لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل
اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدى بك اى طال زمانى
بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم
العجل بملكنا قرى بالحركات الثلث اى ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اى لو ملكنا امرنا وخلينا
وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده اى حملنا احمالا من حلى القبط التى
استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم فى حكم المستامنين
فى دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربى على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها
فى نار السامرى التى اوقدها فى الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلى وقرى حملنا فكذلك القى
السامرى اراهم انه يلقى حليا فى يده مثل ما القوا وانما القى التربة التى اخذها من موطى حيزوم
فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامرى
من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل **فان قلت** كيف
اثرت تلك التربة فى احياء الموات **قلت** اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه
الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهى ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت
تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند
نفخه فى الدرع **فان قلت** فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى اسرائيل وضلالا **قلت**
ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى
الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله
انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال
واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسى موسى ان يطلبه هاهنا وذهب
يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه
فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل من قبل ان يقول لهم
السامرى ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه

قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت امرى قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى انى خشيت ان تقول فرقت بين
بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى
قال فاذهب فان لك فى الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه

فقبل ان ينطق السامرى بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا هو ايده والمعنى
ما منعك ان تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك
لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقنى قرى بلحيتى بفتح اللام وهى لغة اهل
الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شئ
شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا من الآيات
العظام ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر
راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك
ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافى برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتنى به من
ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب
الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرى بصرت بما لم تبصروا به
بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له قرا الحسن قبضة بضم القاف وهى اسم
المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية
المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد الصاد بجميع الكف والصاد
باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخا بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود من اثر
فرس الرسول **فان قلت** لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس **قلت** حين حل ميعاد الذهاب
الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامرى
فقال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت
من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل عوقب فى الدنيا بعقوبة لا شئ
اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته و
مبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة
حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس اوحش من القاتل
اللاجى الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرى
لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم فى الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهى
اعلام للمسة والعبة والابة وهى المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اى لن يخلفك الله موعده الذى

وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا

وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعد ما غابك بذلك فى الدنيا فانت
ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن نخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود
نخلفه بالنون اى لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر فى لاهب لك ظلت وظلت و
ظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه
ولنحرقنه ولنحرقنه وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءة الاولى من الاحراق وذكر
ابو على الفارسى فى لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد وعليه
القراءة الثالثة وهى قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة
ثالثة وهى ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين قرا طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شئ علما وعن مجاهد وقتادة
وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ واما علما فانتصابه على التمييز وهو
فى المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز
فاعل فى المعنى كما تقول فى خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا
الكاف فى كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص
ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم
واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه
بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القران مشتملا
على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران كريم فيه
النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقى يريد بالوزر العقوبة
الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى
يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره اولانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ
يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى اعرض
وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا فيه
اى فى ذلك الوزر او فى احتماله ساء فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا و
المخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى قوله تعالى

يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا

نعم العبد انه اواب ايوب الذى هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اى وساءت
مصيرا جهنم فان قلت اللام فى لهم ما هى وبم تتعلق قلت هى للبيان كما فى هيت لك فان قلت
ما انكرت ان يكون فى ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شئ بعينه غير
مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين
كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر
لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب اسند
النفخ الى الآمر به فيمن قرا ننفخ بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التى هم بها
من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ
ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه السلم
واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرئ فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور
قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى انه القرن قيل فى الزرق قولان
احدهما ان الزرقة ابغض شئ من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون
ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثانى ان المراد العمى
لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون لما يملا صدورهم من الرعب والهول يستقصرون
مدة لبثهم فى الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون
عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء
قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها
فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم فى قوله اذ يقول
امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم فسل العادين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد
لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى
الطعام فيذرها اى فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر فى

يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما

المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج
عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك
وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس
فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا
يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف
عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج
لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير
يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ
نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل
قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له
اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت الاصوات
من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو
من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى
المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف
اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له
لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون
بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة
وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى
ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب
وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ من صاحبه
فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم
وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء

وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل
رب زدني علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى

الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا
بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة
وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في فاليوم
اشرب غير مستحقب تعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما
يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك
جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك
ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ
ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن
للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا
جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله
بطلب الزيادة في شيء الا في العلم يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان
واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب
الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان تتوعدهم
فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون
كانه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرق فيهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان
قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك
وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي اي نساه الشيطان
والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من
التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم
كانه قال وعدمنا له عزما اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس
ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة
والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات

فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان

فإن قلت إبليس كان جنياً بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام فإن قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سبباً لإخراجكما وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع فإن قلت إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيداً منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فإن قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي: وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق. فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله: أجرس لها يا ابن أبي كباش. ومعنى

قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا ... فإما يأتينكم مني هدى

ووسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدوراً فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن عباس لا شبهة في أن آدم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشداً وخيراً فكان غياً لا محالة لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلاً أن تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفاً فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث فإن قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه إليه من جبى إلي كذا فاجتبيته ونظيره جليت علي العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جبيت إليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فإما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله

فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك

فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر ولذلك يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر ونحشره وقرئ بالجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما كما فسر الزرق بالعمى كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهدهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان

لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه

مثل إهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام إما مصدر لازم وصف به وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وأجل مسمى لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولأن الليل وقت السكون والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فإن قلت ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هو طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار قلت الوجه أمن الإلباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الأمرين في الآية مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم والإيمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل

ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله

التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير
ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء للعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري
لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير
والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم
فان قلت علام انتصب زهرة **قلت** على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص
وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار
والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة **فان قلت** ما معنى الزهرة فيمن حرك
قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء الجهرة في الجهرة وقرئ ارنا
الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء الوانهم
مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون و
الصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب
لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب
الاخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان
اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى
لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا
عن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه الى يهودي وقال قل له
يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله اني
لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وامر
اهلك بالصلوة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم
ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان
ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان
الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية
ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة
قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية اقترحوا على عادتهم في التعنت
ايةً على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القران

لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى
بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

من قبل ان القران برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات
فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف
ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل قبل ان نذل ونخزى على لفظ ما لم
يسم فاعله كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ
السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف
تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة
طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القران الا طه ويس

سورة الانبيا مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او
تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي
الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك
زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا اباك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة
وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون
فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق **فان قلت** كيف وصف
بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام **قلت** هو مقترب عند الله
والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
ولان كل ات وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض
ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه
في اخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء
ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى
معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون
وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة
مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون
لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم
العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر
وأنتم تبصرون قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم

أسماعهم ونفروا وقرروا إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم
الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه
والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر
التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من
القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدثٌ بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهيةٌ بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد
خبر لقوله وهم واللاهية من لهي عنه إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى
فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر
بقلوبهم فإن قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا قلت
معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون
أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو
جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا
النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم
بأنه ظلم هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا
من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله
لا يكون إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك
قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر فإن قلت لم
أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور
في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب
أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس
استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه ويجوز أن يسروا نجواهم
بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا فإن قلت
هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به
العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر
آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فإن قلت

بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا
يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين

فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض قلت
ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن
في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن
أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم هاهنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد
أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته
بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه لهم أضربوا عن قولهم
هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا
الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى
لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك
الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون
بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد
وبين قولك أتى محمد بالمعجزة أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات
وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما
يقترحون لكانوا أنكث وأنكث أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن
رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك لأنهم
كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله لا يأكلون
الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد
الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت
فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش
كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون
أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه
والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون

لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون
لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون

ومن في بقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او
فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء والذكر الحسن كحسن الجوار والوفاء بالعهد و
صدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد
ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم
واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما
آخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث
كفن رسول الله صلى الله عليه في ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم
الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بانها احدى القرى
التي ارادها الله بهذه الآية فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا
فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان
يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز
ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا
والقول محذوف **فان قلت** من القائل **قلت** يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من
المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته
لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش
الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ
اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا
السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى
يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون
وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون
في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون
بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب اكفكم ويمترون اخلاف
معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا

قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون

بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى
كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين **فان قلت** لم سميت دعوى **قلت** لان المولول كانه يدعو ا
الويل فيقول تعال يا ويل هذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم
الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم
كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان
بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية **فان قلت** كيف ينصب
جعل ثلاثة مفاعيل **قلت** حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا
حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
اي وما سويناها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق
مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم
للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار
واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق
التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة
صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه
...ه قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة
...د الولد ذي المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو
...سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب
...ـب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك
...هداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا
...ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى
...سعف قوله ٥ سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز
...هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم
...البون التمثيل والبيان لشرفهم على جميع خلقه **فان قلت**
...لغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور **قلت**

لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اذاهم منها يركضون
لاتركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون

ومن في بقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثنا والذكر الحسن كحسن الجوار والوفا بالعهد و صدق الحديث واداء الامانة والسخا وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزا اخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا قوما اخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السما يالثارات الانبيا ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الاية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بانها احدى القرى

التي ارادها ...
بنهار كضوا ...

قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون

تحلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل هذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شي قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله ٥ سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ٤ وقرئ فيدمغه من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت

ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون

في الاستحسار بإزاء ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات
الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ
أو بشغل آخر هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار
لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض ينشرون الموتى ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر
الموتى بعض الموات **فإن قلت** كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم
وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق
السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات
كلها وعلى النشأة الأولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من
قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة
رأساً **قلت** الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا
يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم
بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية
لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة
أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد
في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول
الله صلى الله عليه أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي
الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكاناً لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من
جنس الأرض لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض **فإن قلت**
لا بد من نكتة في قوله هم **قلت** النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة
لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها
وصفت آلهة بإلا كما يوصف بغير لو قيل آلهة غير الله **فإن قلت** ما منعك من الرفع على
البدل **قلت** لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير
الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح
إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا
وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً والثاني أن لا يكون ذلك الواحد

لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون

إلا إياه وحده لقوله إلا الله **فإن قلت** لم وجب الأمران **قلت** لعلمنا أن الرعية تفسد
بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين
قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا
ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك
الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم
من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيباً وإجلالاً مع جواز
الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن
لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز
عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال
لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً
لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكاً فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة
الوحي فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه
والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه
كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن
مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً وهو الأصل والإضافة
من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ
من معي ومن قبلي على من الإضافية وفي هذه القراءة إدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه
اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ
ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم
وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ
الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق
لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضاً على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل
يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي
الولادة إلا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات

وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى افلا يؤمنون
وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون

ليست لغيرهم وذلك هو الذى غرّ منهم من زعم انهم اولادى تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ
مكرّمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا
يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة
اى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسى فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا
كذلك مبنى على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخّروا بعين
الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم
ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهّله للشفاعة فى ازدياد الثواب
والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اى متوقعون من امارة ضعيفة كائنون
على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه انه رأى جبرئيل ليلة المعراج
ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم
واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم
من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط
عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد وقرئ الم ير بغير واو ورتقا
بفتح التاء وكلاهما فى معنى المفعول كالخلق والنقض اى كانتا مرتوقتين **فان قلت** الرتق صالح ان
يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق **قلت** هو على تقدير موصوف اى كانتا شيئا
رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك
الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرّج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت
مصمتة وانما قيل كانتا دون كنّ لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم
لقاحان سوداوان اى جماعتان فعل فى المضمر نحو ما فعل فى المظهر **فان قلت** متى راوهما
رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك **قلت** فيه وجهان احدهما انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة
فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى
العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى
الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خالق كل دابة من ماء
او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان
من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيّرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من فى قوله

وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون

والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبّرها ونصبها هذه النصبة واودعها
ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد
اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية
كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها
آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى كلهم فى فلك يسبحون
والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر
مطالعها وهو السبب فى جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما
جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة **فان قلت** الجملة ما محلها **قلت**
محلها النصب على الحال من الشمس والقمر **فان قلت** كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب
الحال عنهما **قلت** كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها
بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او
لا محل لها لاستينافها **فان قلت** لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم
يسبحون فى فلك **قلت** هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم
او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس

فجاجا على انه حين خلقها خلقها فجاجا وذلك
لان الحال يدل على تقيد الفعل المذكور بالحال

وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون

عليه اللهم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ رحبا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميل بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع

فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم

فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة

فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس

وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون

عليهم ما كانوا يتهاونون قصد بذلك تفظيع امر التفريق ... بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنفض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خالق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون وإذا
رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون
متى هذا الوعد إن كنتم صادقين

كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا
بشرا فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أفيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا ٥ أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما
يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمى
ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار وفتنة
مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق
ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا
فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى أنهم عاكفون
بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوؤهم أن يذكرها ذاكر
بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به
أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزوا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم
ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك
من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر
بالله كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار ويقولون متى هذا الوعد
فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع
عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو
طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس أنه أراد بالإنسان آدم وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ
فيه أراد أن يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى
الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها
وعن ابن عباس أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم
والنخل ينبت بين الماء والعجل ٥ والله أعلم بصحته فإن قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله
خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما
ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
وقرئ خلق الإنسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون
عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم
آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها أفهم الغالبون

فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز أن يكون يعلم
متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب
بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل
العظيم أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي
كفر أي غلب إبراهيم الكافر وقرأ الأعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين
فإن قلت فإلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت إلى النار أو إلى الوعد لأنه في
معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة والموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى
البغتة وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون
تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أي لا يمهلون بعد طول الإمهال سلى
رسول الله صلى الله عليه عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به
يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا من الرحمن أي من بأسه وعذابه بل هم معرضون
عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا
من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسول الله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم
لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل وقال أم لهم
آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه
ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من
الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين
إلا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم
الأمد وامتدت أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون
ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل كاذب أفلا يرون
أنا ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها
وردها دار إسلام فإن قلت أي فائدة في قوله نأتي الأرض قلت الفائدة فيه
تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين
وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها قرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء

فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قالوا فأتوا به على
اعين الناس لعلهم يشهدون

عابده وثانيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر
في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصر دينه
ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدءوا ببيت
الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت
الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم
صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها
بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي
سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع
جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما
تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل
المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على
ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله
مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة
ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ
الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه
غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على
جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة
الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها
فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا
ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع
واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف
او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال بمعنى
معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت
هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه

قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا
على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون

منهم لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا روي ان الخبر بلغ نمرود
واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل
فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى
ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب
تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا
بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر
الا على خربشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخربش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به
واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان
غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي
تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز
ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان
من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا
غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله
اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون
على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت
اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم
انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر
حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم
مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم
خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ
نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قراءة رضوان بن
عبد المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على
عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان
المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف اجمعوا انهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا

قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

لا تسمع أنت ولا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من أسمع **فإن قلت** الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل إذا ما ينذرون **قلت** اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصام من آيات الإنذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة وصف الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع وقيل لأهل يوم القيمة أي لأجلهم **فإن قلت** ما المراد بوضع الموازين **قلت** فيه قولان أحدهما إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة **فإن قلت** كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض **قلت** فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفي حرف أبي جئنا بها وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكر أو آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف محل الذين جر على الوصفية أو نصب على المدح

وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين

أو رفع عليه ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل إذ إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها **فإن قلت** هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على أصنام لهم **قلت** لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب ومزل الضمير في فطرهن للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوي بالبينات لأني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين **فإن قلت** ما الفرق بين الباء والتاء **قلت** إن التاء في الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد

قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين

اذا انقطعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها **فان قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا ومكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس

ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهتدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سذوم اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء من قبل من قبل المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه اراد بهما والمتحاكمين اليهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك **فان قلت** احكما بوحي ام باجتهاد **قلت** قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب **فان قلت** ما وجه كل واحدة من الحكومتين **قلت** اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي رضي الله عنه يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي رضي الله عنه فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا **فان قلت** فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان

وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين

دليل على ان الاصوب كان مع سليمن وفي قوله وكلا آتيناه حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع والياء لداود او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن وهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي ناداه باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن ابرهيم عليهم السلام

فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون

من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا **فان قلت** نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم **قلت** معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها **فان قلت** هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين **قلت** لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف

وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا

[illegible]

وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول **فان قلت** بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي **قلت** متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجي المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له
يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي احصنت فرجها فنفخنا
فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون

انه اراد بالكل حسنا وبلبس خشنا وبطاطئ راسه احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال
والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا **فان قلت** نفخ الروح في الجسد عبارة
عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان
قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم **قلت** معناه نفخنا
الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت
في المزمار في بيته ويجوز ان يراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات
الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها **فان قلت** هلا قيل آيتين
كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين **قلت** لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه
من غير فحل الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب
ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد
فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا
خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف

وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا

الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم
ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا
كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا
واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم
الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي
الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه
في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه استعير الحرام للممتنع
وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ
وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها
ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم
غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد
كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه
حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل
وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور
غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها
على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول **فان قلت** بم تعلقت حتى واقعة
غاية له واية الثلاث هي **قلت** متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى
تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا
وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية
وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس
عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج
ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو
القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا
المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها
تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا

عن غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون

بين ضمير منهم انو صحه الابصار دون تفسيره كما في الذين ظلموا او اسروا ويا ويلنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا وما تعبدون من دون الله يحتمل
الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم
وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم
خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته
فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى
الله عليه بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة **فان قلت** لم قرنوا بآلهتهم **قلت** لانهم لا
يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه
العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم
فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا عنيت
بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير **قلت** اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد
جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالتباس
والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا
بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت
من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث
الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه
قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن
بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت
الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل
النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن
الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح

لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين

اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم
قد حل العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول
والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار
للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن
جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم
اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب
فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق
كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء **فان قلت** وما اول الخلق
حتى يعيده كما بداه **قلت** اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا
عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا **قلت** هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال
ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول
الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره
نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي
اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان
قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك عن الشعبي رحمه الله
زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني
اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة
ترثها امة محمد صلى الله عليه الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية ارسل صلى الله عليه رحمة للعالمين
لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه
منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس
مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان
محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به

قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم
زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم
اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله مقصور على
استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان
تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع
ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه
كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة
آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب
توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة
فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم
يطوه عن احد منهم وكاشفكم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن
لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم
يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام
وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير
هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع
الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله ورب احكم على الاكتفاء
بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من احكام امر باستعجال
العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد
وطأتك على مضر قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا
يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول
الله والمؤمنين وخذلهم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ اقترب للناس حسابهم
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان
يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير
المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار
وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون
يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل
وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها
بعقولهم حتى يشفقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم
من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي انهما نزلتا
بالليل في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه فلم ير اكثر باكيا
من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول
ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير
للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل كل مرضعة دون مرضع قلت
المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان
لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه
وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن
الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في
بطنها لغير تمام قرئ وترى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع
والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى
وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش
سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق
ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في حال
من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت
بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل
واحد منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام

اساطير الاولين والله غير قادر على احيا من بلى وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشوا غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له تبعه وله نتيجة الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤسا اهل الاهوا والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

وبارت يهفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستوى نهج ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقه عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي ارتضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من تولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملسا من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقا اذا كانت ملسا كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم

ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما نشاء ان نقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع اخره ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم نشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الالفاظ المجموعة التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاول في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كررت كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين

... عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير

اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم اليا وفتحها **فان قلت** ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال **قلت** لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي فيما منى به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يعني بما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله **فان قلت** الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض **قلت** اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا الكلام

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يسجد له من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم

قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير

إن الخليفة إن الله سربله ... سربال ملك به ترجى الخواتيم

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه **فان قلت** فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة **قلت** لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل

ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد

وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هولاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثابون لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرى حق بالضم وقرى حقا اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرى مكرم بالفتح بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هولاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرى قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها

كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم

ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك يحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولولنا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولؤ كادل فيمن جر ولولؤ وليليا بقلبهما ياء عن ابن عباس وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطاري ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال اينسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرى يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين

وإذ بوأنا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير

كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك
واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت
الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج
كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر
بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه
قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان
تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن
والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا
بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا
مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى
عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل
ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود
معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة
دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان
يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص
وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا
او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد
حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل
لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام
المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي
ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر
والضأن والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم
ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم
استحب الفقهاء ان يأكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي
وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا

ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور

البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب
والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ
وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم و
ليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل
وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن
الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد
لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير
فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن
به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به
ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في
بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه
وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع
تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام و
المسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير
له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى
من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم
الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده
واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان
تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد
من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه
وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد
وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا
عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في
القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر
والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب

ان ينفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها

لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف

في سائر الاعضاء الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق

واذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير

عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو قول العرب اعط القوس باريها بسكون اليا وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسأله قنوعا والمعتر المتعرض بغير سوال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سوال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسوال وقرا الحسن والمعترى وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع منّ الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذى راوا وعلموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة اى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدما المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرى لن تنال ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا امتثال ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجى اقوى وابلغ اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اى بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله كان مشركوا مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية

الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين

وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا موذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله دفع الله بعض الناس بعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرى دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من ينصره اى ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلا كلمتهم يقول لرسوله صلى الله عليه تسلية له لست باوحدى في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة **فان قلت** لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى **قلت** لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شى آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالى من خوى المنزل اذا خلا

ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة **فان قلت** ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية **قلت** الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما تفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب **فان قلت** اي فائدة في ذكر الصدور **قلت** الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين

المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ يعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي **فان قلت** لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو **قلت** الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم **فان قلت** كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده **قلت** الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط
مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم

من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب
وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه
لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره
من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا
الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة
والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به
فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه
السلم او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي
وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به
شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم
كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم مثل ما القي في امنيتك
ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع
الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد
تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل ٥ وامنيته قراءته وقيل تلك
الغرانيق اشارة الى الملئكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ ما يلقي الشيطان اي يذهب
به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والذين في قلوبهم المشركون المكذبون وان
الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير
قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من
ربك والحكمة وان الله لهادي الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين
الممهدة حتى لا يلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين
آمنوا بالتنوين الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما
وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن

الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في
سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي
عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير

او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز
وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا
مثل له في عظم امره لقتال الملئكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة
مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكانه قيل حتى تأتيهم الساعة
او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين في يومئذ عن اي
جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في
الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات
العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان
طوائف من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله
من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين تسمية
الابتداء بالجزاء للملابسة له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير
على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور
هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب
والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله
المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب
ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه
عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه
ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو
والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار
والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما
على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك

ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلى الكبير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم

بغيبوبة الشمس وضياء ذاك فى مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيئ السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل يولج باذنه فى احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليمانى وان ما يدعون بلفظ المبنى للمفعول والواو راجعة الى ما لانه فى معنى الآلهة اى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شىء اعلى منه شانا واكبر سلطانا فترى مخضرة اى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة **فان قلت** هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع **قلت** لنكتة فيه وهى افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع **فان قلت** فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام **قلت** لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر انى انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شىء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما فى الارض من البهائم مذللة للركوب فى البر ومن المراكب جارية فى البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم هو نهى لرسول الله اى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة فى الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اى لا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين فى الامر فى امر الدين وقيل فى امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد

وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير

على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اى غلبته اى لا يغلبنك فى المنازعة **فان قلت** لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه **قلت** لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآى الواردة فى امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا اى وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فعظهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى والسمع ولا الجاهم اليها علم ضرورى ولا حملهم عليها دليل عقلى وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد **فان قلت** الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا **قلت** قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا فى نفى المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا **فان قلت** ما محل ولو اجتمعوا له **قلت** النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم

الاستعاذة

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده

لخزاتهم حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله للذكر شان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر

هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون

الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفتح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين

والذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم

احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث **فان قلت** لم اضيفت الصلاة اليهم **قلت** لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا فاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت ٥ المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ٥ ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان

او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظون من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك **فان قلت** هلا قيل من ملكت **قلت** لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث **فان قلت** حعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على تحريم المتعة **قلت** لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم يسمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلواتهم **فان قلت** كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا **قلت** هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية لبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة

الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم

احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه لشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث **فان قلت** لم اضيفت الصلاة اليهم **قلت** لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة القاؤه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت ٥ المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ٥ ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان

او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك **فان قلت** هلا قيل من ملكت **قلت** لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على تحريم المتعة **قلت** لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلواتهم **فان قلت** كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا **قلت** هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية لبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين

وجيد الزجاج السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بنا للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهراني الطين **فان قلت** ما الفرق بين من ومن **قلت** الاول للابتدا والثاني للبيان كقوله من الاوثان **فان قلت** ما معنى جعلنا الانسان نطفة **قلت** معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع **فان قلت** فاذن لا حياة الا حياة الانشاء وحياة البعث **قلت** ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق

والدليل عليه قوله عليه السلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وطوى ذكر

وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين

الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتدا اي ومما انشي لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلوا اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم

حال من الضمير في يؤكل وقوله رطبا وعنبا بيان لقوله رطبا

اي ادخلناه في الارض ثم اخرجنا منه ينابيع واليه اشار المصنف بالتشبيه بقوله تعالى فسلكه ينابيع فان السلك هو الادخال ويجوز ان يكون المعنى جعلناه ثابتا اي حاصلا ومستقرا في الارض فيكون من السكنى لا من السكون كقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة فانه ليس المراد بالسكون ضد الحركة

قال عليه السلم النعمة وحشية قيدوها بالشكر انها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت وقال اهل الطريقة الشكر للنعمة الحاضرة قيد وللمفرقة صيد

وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا

والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الدهن وقرئ تُنبَت بضم التاء وفتح البا وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وقرئ نَسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة برٍّ تحت خدي زمامها يريد صيدحة غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عنّ لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ولذلك تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه في نصرته باهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلائنا كان معه من الله حفاظا يكلأونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي امرنا وتعليمنا كيف تصنع وتعمل روي انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر روي انه قيل لنوح

قوله كان معه من الله حفاظ يريدان المراد بالاعين الحفاظ الذين يحفظونه باعينهم سماهم اعينا كما ان الربيئة تسمى عينا اذ المقصود منه العين وكذا الجاسوس سمي عينا لذلك او يريدون ان المراد بالاعين اعين الحافظين

فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين

اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين من كل امتي زوجين هما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كلٍّ بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى ان الشان والقصة كنا مبتلين

ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون

اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما بينهما بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه اخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا

ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين

٥٩

الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن وياتي قرن اخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعد نا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا ويقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل احلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث

اي متواترين

ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون

اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجئ قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التى هى وجه وانفذ وبعث فما باله عدى في القرآن بالى تارة وبفى اخرى كقوله كذلك ارسلناك فى امة وما ارسلنا فى قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اى فى عاد وفى موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفى كما عدى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك فى قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاى فرق بينهما قلت الذى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذى مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما بينهما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اى جوار الله فى مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذن

واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول وفى قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون قرأ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع فى قوله فهيهات هيهات العقيق ومن به فما هذه اللام قلت قال الزجاج فى تفسيره البعد لما توعدون

ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين

الدنيا ثم وضع هى موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى نفت ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيا اى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق اذا كان عادلا فى قضاياه شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا فى قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهى من جملة المصادر التى قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اى هلكوا ويقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بنى اسرائيل اجلها الوقت الذى حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرى تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما فى تولج وتيقور اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى امتهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم احاديث يتسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله ويكون جمعا للاحدوثة التى هى مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهى ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت

الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات

كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز ان تراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض ومتطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا لبشرين سويا البشرين فاما ترين من البشر احدا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدون تخضعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب اي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى ان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان

واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون

امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وقرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال

كانني ضارب في غمرة لعب

وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول

اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من
ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون

الله صلى الله عليه وعايشة يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت
قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال
لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان
لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات
اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام
كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه
في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا
الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين و
قرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس
لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان
يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر
يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك
كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في
كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو
صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف
الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ
وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم
احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من
هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك
اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى
يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية
والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى
اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثة
قال جأر ساعات النيام لربه اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم

قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون

منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا
الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم
والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم
ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى
استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته
او تحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تعلق الباء بسامرا
اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت
عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا او سب رسول الله صلى الله عليه او تهجرون
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من
اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى
والهجر بالفتح الهذيان القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا
به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما
ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل
بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه
لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا
الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم
فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي في ان ضبة كان مسلما وكان على
شرطة سليمن بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته
وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها
ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون
انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم
ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودماءهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا
ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب
من النسبة الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون

ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون

الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم قرئ خرجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله والخرج قبل الخراج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير فد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر ويحتمل ان هؤلاء وصفهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين

ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون

حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة

قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين

الى وأسطار سطر سطرًا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق
اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط
جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية
ومعناه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعًا كان قادرًا على اعادة
الخلق وكان حقيقًا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والآخران
باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في
مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام
على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه
فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانًا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني
وهو يغيث من يشاء ولا يغيث احد منه احدًا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه
محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدًا ومعه شريكًا لذهب كل اله
بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل
واحد منهم متميزًا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضًا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم
متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرًا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد
بيده ملكوت كل شيء فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع
قوله لذهب جزاءً وجوابًا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو
جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر
صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان
تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينًا لهم ولا تعذبني
بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره أفي حياته ام بعد موته
فامره ان يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان
يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارًا للعبودية وتواضعًا لربه واخباتًا له واستغفاره

وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحًا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون

٦٢

صلى الله عليه اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن
في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن
المؤمن يهضم نفسه وقرئ ترينهم بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله
رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب
ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم
فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال
ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا
اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة
وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة
الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي
منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء
بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله
اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض
والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب
حثًا لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم أزًا امر بالتعوذ من نخساتهم
بلفظ المبتهل لربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلًا ويحوموا حوله وعن ابن
عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى تتعلق يصفون اي لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء
عنهم مستعينًا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله
وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء
سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة
الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه
الرجعة وقال لعلي اعمل صالحًا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته
من الايمان واعمل فيه صالحًا كما تقول لعلي ابني على اس زيدًا او بيتا اسست وابني عليه
وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك

الهمز والمهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض ... اسم فاعل من راض المهر يروضه روضًا ورياضة والجمع راضة

النقاخ الماء العذب الذي ينقع الفؤاد

فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين

الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء في السين

فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى

ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين

حتى تبلغ سرته وقرئ كالحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح فالكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا والفتح والصبر بهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فاسال العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب

قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين

وما فينا ان نعدها كما هي فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل
الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم
يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب
بين النفختين عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث
ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من
الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن
ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا
على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي يحق
له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش
بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال
بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان
له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها
للتوكيد لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا
بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ
انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح
هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح
في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها
انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول
ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات
من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل
القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا و
لا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها
صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ
بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك
سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل
الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده
او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة
المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتداء
والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما
ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه
معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله
والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد
ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة
والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط
الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح
صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي رضي الله عنه
الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلام
من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان
قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني
يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة
في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم
بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا
في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى
برسول الله صلى الله عليه اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله

إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا
عليهما حتى تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول
رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم به مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا
عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة
وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده
ليس عليه إلا إزاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا
ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم
والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة
رحمه الله على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رضي الله عنه على وجوب
التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا
ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير
وجوب وقول الشافعي رضي الله عنه في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب
سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه
الآية نسخ الحبس والأذى في قوله فأمسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا
دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة
التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء
وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن
قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل
قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من
أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق
أثاما وقال ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه يا معشر
الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا
فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء
الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب
الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة

الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة
واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس
إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والتقحب لا يرغب
في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو
في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون
عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله
الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة و
أنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني
والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقيل
كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول
الله صلى الله عليه فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن
يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق
ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما أن
هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه
إلى قولك الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان وقيل كان نكاح الزانية
محرما في أول الإسلام ثم نسخ والناسخ قوله وأنكحوا الأيامى منكم وقيل الإجماع وروي ذلك
عن سعيد بن المسيب **فإن قلت** أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية **قلت** معنى
الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية
بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان **فإن قلت** كيف قدمت
الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا **قلت** سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا
والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم
يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح
والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح

والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون

بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كان رحمك الله ويرحمك ابلغ من
اللهم ارحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه
تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون بالزنى وبغيره والذي
دل على ان المراد قذفهن بالزنى شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط
اربعة شهداء لان القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنى ان يقول الحر العاقل
البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنى لست لابيك لست
لرشدة والقذف بغير الزنى ان يقول يا آكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق
يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص
منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشرط
احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين
وشهداء صفة **فان قلت** كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين **قلت** الواجب عند ابي حنيفة
واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رضي الله عنه
يجوز ان يحضروا متفرقين **فان قلت** هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم **قلت**
يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي رضي الله عنه **فان قلت** كيف يجلد القاذف **قلت** كما
جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة
ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنى ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف
قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن
هتكها **فان قلت** فاذا لم يكن المقذوف محصنا **قلت** يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون
المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله
باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم
تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رضي الله عنه يتعلق
رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما
متمسك بالآية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب
الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله
واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين

الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين

عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان
الله غفور رحيم والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى
مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه ان يكون عند ابي حنيفة منصوبا
لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء
الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا
لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين **فان قلت** الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل
شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة رحمه الله
كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام **قلت** المسلمون لا يعبأون بسب الكفار
لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار
ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار
فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف **قلت** لهما ذلك قبل
ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه
بالحد وحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا
لم يصح ان يصالح عنه بمال **فان قلت** هل يورث الحد **قلت** عند ابي حنيفة لا يورث
لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي رضي الله عنه واذا تاب القاذف
قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي
الله عنها قاذف امراته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه
الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنى وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت
او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف
الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين فيما رماها به من الزنى وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين

ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين

فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من
الزنى وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام
المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان
لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت
المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في
المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم تفرق القاضي بينهما ولا
تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان
وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة
في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك
وحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنه هي فرقة
بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما
نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله
فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه
بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته
ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر
وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع
ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته
ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن
بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها
آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب
الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصهب اثيبج يضرب
الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به
قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ
ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدله ووجه من قرأ اربع ان ينصب
لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب
من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين

تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف
ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامسين على معنى وتشهد
الخامسة فان قلت لم خص الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي
اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله
عليه السلم لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه
دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك
عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن
رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم
والكبر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من
الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان
مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه
ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير
لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وابو بكر وعائشة وصفوان
بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة
ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول
الله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم
في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد
دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت
انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا
قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير

لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم
فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

إلى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على
أن الاشتراك فيه مقتض ألا يصدق وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه أن
يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا إفك مبين
هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب
الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات جعله
الله المفصلة بين الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها والذين
رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته
كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم
بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به إذا قذف
امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول
الله وحبيبة حبيب الله لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا
أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم
عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك
يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض إذ ظرف لمسكم أو لأفضتم تلقونه يأخذه
بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
وقرئ على الأصل تتلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه
وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب
وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه وكان
أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فإن قلت ما معنى قوله بأفواهكم والقول لا يكون
إلا بالفم قلت معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك
ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة
عن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم
وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم
بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل

ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وأن الله رؤوف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر

كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد
إلا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم
فإن قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة
أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإن قلت
فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب
عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم
فإن قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه
معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق
وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت
الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب
منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن قلت كيف جاز أن تكون امرأة
النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة قلت لأن الأنبياء مبعوثون
إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر
عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا
من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وأبدا ما دمتم أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد
عن كل مقبح ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من
الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عليم بكل شيء فاعل لما يفعله
بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها
وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد
صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى
كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون يعني أنه قد علم محبة
من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا
جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في
التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب

والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون

الفحشاء ما افرط قبحه قال (ضرائر حرمى تفاحش غارها) اى افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرى خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تعالى تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم وهو من ائتلى اذا حلف افتعال من الألية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم يدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا فى ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت فى شأن مسطح وكان ابن خالة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسىء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته فقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

(ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعنى على اسرارها)

وكذلك البله من الرجال فى قوله اكثر اهل الجنة البله وقرى يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ فى شىء تغليظه فى افك عائشة رضوان الله عليها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز فى ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه فى الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كان بالبصرة

يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم

يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه فى تقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه **فان قلت** ان كانت عائشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثانى انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال

(قدنى من نصر الخبيبين قدى)

اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا فى الابهام والذكر فى الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق البين اى العادل الظاهر العدل الذى لا ظلم فى حكمه والمحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسىء ولا احسان محسن فحق مثله ان تتقى وتجتنب محارمه اى الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله فى قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضى الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن

يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها

امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السما ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستأنسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الاستيذان ثلث واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه فقال أألج فقال عليه السلام لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مسا ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا الجاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا

حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم

على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستأذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي تطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فان قلت** هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم **قلت** بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن **فان قلت** فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره **قلت** ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد

ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون

من الريبة او انفع واتمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه **فان قلت** كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج **قلت** دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفروج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفروج فهو عن الزنى الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعميا وان انتما الستما تبصرانه **فان قلت** لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج **قلت** لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن

به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها **فان قلت** ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها **قلت** نعم **فان قلت** اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة **قلت** الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه **فان قلت** ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه **قلت** الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء **فان قلت** لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة **قلت** لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك

الظهر والبطن لا يجوز النظر الى القراميل الواقعة على ذلك الثوب الرقيق

او آبائهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء

كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل فى نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدى مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من فى صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء فى حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبى منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصى فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابى حنيفة رحمه الله لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم

فان قلت روى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه خصى فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ثم يخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه اى لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اى لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهى لغة هذيل فان قلت

ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم

لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبى عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب والابن فى المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فى التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلى بعدما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك ان النهى عن اظهار مواضع الحلى ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال

فان تنكحى انكح وان تتايمى وان كنت افتى منكم اتايم

وعن رسول الله صلى الله عليه اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكرم والقرم والمراد انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب فى حق الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم منى ثلثى دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبى صلى الله عليه اذا اتى على امتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة

معترضة بين الشرط والجزاء يخاطب محبوبته ويقول او افتك على حالتى التزوج والتايم

ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله

والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة **فان قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله على الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتامله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى

والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم

الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على ادائها وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه **فان قلت** هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه **قلت** نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء البقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رضي الله عنه هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد

ما اخذ سواء كان باقيا او تالفا وكذا اذا عتق من غير جهة الكتابة غرم المدفوع اليه الا ان ...

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة

ان يؤدوا او يعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فأبى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنى بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة مبينات من الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه و لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا نظير قوله الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته

الزجاجة كانها كوكب درى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم

باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم وعن النبي عليه السلام عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودرئ كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما نرى في المسجد نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها

في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة

رفع سمكها فسوّاها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شري شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمي الشري تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شري وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامه عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا تتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء مطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا

يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء

يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة

[illegible]

ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات

يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي
سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء

٧٦

يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من
عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر كسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه
عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه
فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون
انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة
بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام
اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد
يراها مبالغة في لم يرها اي لم تقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة
اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله
يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من
بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية
تعتله الى النار ولا يقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها
عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوليه
نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى
الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة
سحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى صافات يصففن اجنحتهن
في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد
ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء
يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب
يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه
الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل
والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل
كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات

في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء
بغير حساب والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة

رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى
او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها
اسمه او قوله وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول
ويسند الى احد الظروف الثلثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو
يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو
والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد
وحشهما والآصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل
من قوله [illegible]

[illegible]

على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب
فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس
وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو
المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات
في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا

يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير

كظلمات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن فكر ونظر وتبصر وتدبر **فان قلت** متى رأى رسول الله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر **قلت** علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد **قلت** الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال **فان قلت** ما معنى من جبال فيها من برد **قلت** فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم **فان قلت** لم نكر الماء في قوله من ماء **قلت** لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فان قلت** فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي **قلت** قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه **فان قلت** لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب **قلت** قدم ما هو

ولقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون

اعرق في القدرة ثم الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **فان قلت** لم سمي الزحف على البطن مشيا **قلت** على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين

وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البنا للمفعول فان قلت الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اى وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن آية كافية فتليت له هذه الآية

جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اى امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأويهم النار ولبئس المصير

الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البنا للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا لهم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد

يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم تبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم

اتبع بذكر اثنين عن ذكر الثالث ثم عطف قوله وما واهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وما واهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج روى ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي عليه السلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث

كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم

فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي

...كم فيها بالبلوغ قلت ...
...ادنه وعامة العلماء على خمس ...
...فقدره بخمسة اشبار وبه اخذ ...
... فادرك خمسة الاشبار ...
... غلام فقال هل احتلم اراده ...
... ما لا يطمعن فيه والمراد بالثياب ...
... غير متبرجات بزينة غير مظهرات ...
...ن بينهن الا لبعولتهن او غير قاصدات ...
... فعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر ...
... جمال واحسنها كقوله وان تعفوا

اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبرج كذلك كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا لحوق

يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم تبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعد هن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم

اقتبع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وما وامم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين
كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وما وامم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم
امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات
في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب
ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة
لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان
والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر
في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة [illegible]
عليهم للاستخدام فلو جزم [illegible]
بن عمرو وكان غلاما انصار[illegible]
عليه وهو نائم وقد انكشف [illegible]
وخدمنا ان لا يدخلوا علينا [illegible]
وقد انزلت عليه هذه الآية و[illegible]
قالت انا لندخل على الرجل والم[illegible]
كبير في وقت كرهت دخوله فانت[illegible]
حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم با[illegible]
اي اوقات ثلث عورات وعن ا[illegible]
قلت اذا رفعت ثلث عورات [illegible] الوصف المعنى هن ثلث عورات
مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان
في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى
طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة
الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم
الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث

متعلق الجار انما يحذف اذا كان عاما
نحو زيد في الدار اي ثبت او حصل
او استقر واما اذا كان خاصا فلا يحذف
الا اذا قامت قرينة تدل عليه وههنا
متعلق الجر امر خاص وهو طائف وانما
حذف لقيام القرينة

كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم

فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي
يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في
جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه
في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن
واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك
تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان
تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس
لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي
منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت
قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس
عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ
الفرزدق في قوله ٥ ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار ٥
واعتبر غيره الانبات وعن عمر رضي الله عنه انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره
القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب
الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات
زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات
بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكره
الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا
اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار
ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها
محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها
واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبرج كذلك كان المؤمنون
يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت
قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا

قال في الصحاح برز خرج والبراز الموضع الذي
ليس به خمر من شجر او غيره وتبرز اي خرج
الى البراز للحاجة قال في المغرب برئ من الدين
والعيب براءة ومنه تبرا من الحبل اي قال انا
بريء من عيب الحبل

العاهة الآفة يقال عيه الزرع
وايف وارض معيوهة واعاه
القوم اصاب ماشيتهم في الصحاح
اعوه القوم مثله وقال الجاربردي رحمه الله
قولهم معيوهة يدل على ان الف العاهة من الياء
وقولهم اعوه القوم يدل على انها من الواو

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم

ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبق عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا الكلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر **فان قلت** هلا ذكر الاولاد **قلت** دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى **فان قلت** ما معنى او ما ملكتم مفاتحه **قلت** اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه **فان قلت** فما معنى او صديقكم **قلت** معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم

ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون

يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدأوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يدل توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرّض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم الاعتراض كيف علق الأمر بعد وجوب استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له والأمر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور في خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو تماسح في حلف وغير ذلك أو الأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه وقرئ أمر جميع وفي قوله إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما أهمهم وعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والأمر في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه إذا احتاج رسول الله إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فإن دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن

ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا

فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله

فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

ومشركي كافر بالفرق

وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان

ولم يكن له ولد ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها

وبعصد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان نذير الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه **فان قلت** كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه **قلت** ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به **فان قلت** في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره **قلت** المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاءوا اتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه

تمل عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا

واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا **فان قلت** كيف قيل اكتتبها فهي تملى وجهان احدهما اراد اكتتابها او ... تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان ... وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم ... معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله ... بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية ... كل سر خفي في السموات والارض ... ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك ... بكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه ... المعنى **قلت** لما كان ما تقدمه ... يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر ... هم هذه ان يصب الله عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا اي شيء لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق كالدهاقين

ولم يكن له ولد ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها

وبعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اى مخوفا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان نذر الذى له رفع على الابدال من الذى نزل
او رفع على المدح او نصب عليه **فان قلت** كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه **قلت**
ما فصل بينهما بشىء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به
فان قلت فى الخلق معنى التقدير فما ...
فقدره **قلت** المعنى انه احدث ...
وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق ...
للتكاليف والمصالح المنوطة به ...
الجبلة المستوية المقدرة بامتثال ...
قدر له غير متجاف عنه او سمى احداث ...
من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله ...
وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد ...
يجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقد ...
انما تعبدون من دون الله اوثانا ...
عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم ...
لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون ...
لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا
عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة
والنشور التى لا يقدر عليها الا الله اعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى
حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمى وابو فكيهة الرومى قال ذلك النضر
بن الحارث بن عبد الدار جاءوا اتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى
وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا
العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور
ان بهتوه بنسبة ما هو برئ منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو
احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه

فهى تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا

واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها
على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه
ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى
قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا
وبقى ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى **فان قلت** كيف قيل اكتتبها فهى تملى
عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها **قلت** فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او
طلبه فهى تملى عليه او كتبت له وهو امى فهى تملى عليه اى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان
صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم
وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله
افرح ان ارزأ الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اى دائما او فى الخفية
قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم اى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض
ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك
باطن امر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه
فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى **قلت** لما كان ما تقدمه
فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر
على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب الله عليهم العذاب
صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقعت اللام فى المصحف مفصولة
عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لا تغير وفى هذا استهانة
وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول
ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون اى ان صح انه رسول الله فما باله
حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون
انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا
الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا
وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج
الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون له بستان ياكل منه ويرتزق كالدهاقين

انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا

والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين
اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او
يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب
لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع
الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب
فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث
وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر
وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء
وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا
يجدون طريقا اليه تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك
مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان
الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله ∴ وان اتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ∴ ويجوز في يجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم
والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال
بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك
في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه
اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا
صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها
تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح
مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل
مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق
حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل

عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد
والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك
لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا
ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب
انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا
غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع الى الموصول محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه
وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح
قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت
لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه
كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب
المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة
الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع
ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا
على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس
والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء
وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف صح
استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا
رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من
لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال
عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم
وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده
لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف

قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون

الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه فان قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بيّن لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرءون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل في الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى أأنتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نُتَّخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى

قوله منهم ليست صلة للتعجب بل هو متعلق بمحذوف صفة للتعجب اي سو تعجب صادر منهم

صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا

الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

وقرئ تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويُمَشَّون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يُمَشُّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله على ما قالوه واستبعدوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي

قوله لولا الرواية متعلق لولا الرواية محذوف اي لولا الرواية بالاول دون هذا متحقق لكان هذا اوجه ولكن لما ثبت الرواية بالاول دون هذا كان الاول اوجه لانه ثابت وهذا غير ثابت

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا

وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم و
بمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف وأنواع أذاهم وطلب
منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى
كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وموقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة
موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي
به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك
وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى إليه كنز
أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وأنها حكمته ومشيئته
يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان
لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيرا لتكون طاعة
من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل ومن في طبقتهم يقولون إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان
ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض أي لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة
أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا
جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات أن ينزل
الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم
بتصديقه واتباعه ولا يخلوا إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير
الأنبياء وأن الله لا يصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالمين
بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم
كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فإن قلت** ما معنى في أنفسهم
قلت معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه
كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا
علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول
العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة
في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل وجارة جساس أبأنا بنابها كليبا
غلت ناب كليب بواؤها

وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن

ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم و
...سوت بأحد شيئين إما بما دل عليه
...نها ويومئذ للتكرير وإما بإضمار
...ذ للمجرمين وقوله للمجرمين إما ظاهر
... محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر
... معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه
... نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع
...ذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره
... فلا يلحقه فكأن المعنى أسأل الله أن
...راءة الحسن تصرفت فيه لاختصاصه
... بعض الرجاز قالت وفيها حيرة وذعر
عوذ بربي منكم وحجر **فإن قلت** فإذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا
قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت
مائت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت
أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم
ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه
حراما محرما عليكم الغفران والجنة أو البشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس هاهنا
قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم
من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم
بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم
فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة
مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء
في قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا
حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم
بالعصف حتى جعله مأكولا أي بالأكال ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعولا ثالثا

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا

وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم و

بمناصبتهم لهم العداوة واقاويل [illegible]

منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن [illegible]

كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذ[illegible]

موقع اتصبرون بعد الابتلاء في قوله ليبلو[illegible]

به وغيره فلا يضيق صدرك و[illegible]

ونحو ذلك في الدارين وقيل هو تسلية [illegible]

او تكون لهم الجنة وانه جعل الاغنياء [illegible]

يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جع[illegible]

لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للد[illegible]

من يطيعك خالصة لوجه الله من غ[illegible]

بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فان قلت** ما معنى في انفسهم **قلت** معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القائل

وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز

قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر

فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا **قلت** جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعولا ثالثا

وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا

لجعلناه اى يجعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اى جامعين للمسخ
والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذى يكونون فيه فى اكثر اوقاتهم متقرين
يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذى ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع
بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى انه يفرغ
من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وفى معناه قوله
عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون
قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم
الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن
الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين وقرئ تشقق والاصل تتشقق
فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام
كانه الذى تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء
منفطر به فان قلت اى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات
قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة
ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون
وفى ايديهم صحائف اعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو
غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل الملائكة وننزل ونزل الملائكة
ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو
فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى
الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط فى اليد واكل البنان وحرق الاسنان
والارم وفرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها
على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة
والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن ابى معيط بن امية
بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل
من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات

ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يا رب ان قومى
اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا

يا عقبة قال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة
ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه
وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله لا القاك خارجا
من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل
قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن
رسول الله ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام فى الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به
عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك
معه طريقا واحدا او هو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد انى كنت
ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتى بالياء
وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وانما
قلبت الياء الفا كما فى صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس
فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر
عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه
على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم
خذله ولم ينفعه فى العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة
الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان
الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار
والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه
اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه
وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا
النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا
الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن
الايمان به وعن النبى صلى الله عليه من تعلم القرآن وعلقه مصحفا لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه

وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا

وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة نزل هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لتبلد به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها

ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما

يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمرانهم وقرئ فدمرا بهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع اولم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للظالمين

وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا

اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه عطف عادا عليهم في جعلناهم او على للظالمين لان المعنى وعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود وضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل

ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا

اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها **فان قلت** لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها **قلت** ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق **فان قلت** ما معنى ذكر الاكثر **قلت** كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا **فان قلت** كيف جعلوا اضل من الانعام **قلت** لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء

والقسر وكيل على التمكين والاختيار

ام عضال وداء عضال اي شديد اعيى الاطباء يقال اعضلني فلان اي اعياني وقد عضل الامر اي اشتد

عطف على قوله من كان ذا الكفر فهو اشارة الى الرابع

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا

لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه إليه أنه ينسخه بضح الشمس يسيرا أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فإن قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فإن قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وقرئ الريح

وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا

والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة أي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة فإن قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور فإن قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين وإنما قال ميتا لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا الأناسي جمع إنسي أو إنسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم فإن قلت إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربؤوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فإن قلت لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم فإن قلت فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية

ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا

والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء **فان قلت** لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي **قلت** لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير **فان قلت** هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء **قلت** ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر يقول لرسوله صلى الله عليه ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده

وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا

٩٠

من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا **فان قلت** وحجرا محجورا ما معناه **قلت** هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد حفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى

وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا

اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد
التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم
مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه
ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون
وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من
امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام يعني في
مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة
وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة
ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها
وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد
اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا
بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم
اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض
كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار
بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول
الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها
في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها
يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن
خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل
والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه
وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك

واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا

برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى
ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من
اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل
الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون
مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا
في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تأمرنا اي
للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال
لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا
للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من
التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب
الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان
الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف
اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون
القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب
وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة
اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان
ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى
متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر
فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم
قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين
من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله
من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب

قالوا بطريق الانكار ما الرحمن فكانهم قالوا كيف جاز اطلاق هذا اللفظ على الله تعالى فانه ليس من اسماء الله تعالى

البيت في حذف الجار وايصال الفعل لكن في الآية زيادة حذف وهو حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم حذف المضاف اليه

اي زمان استعتاب اي زمان يطلب فيه من الله تعالى ان يعتبه اي يرضيه بان يعطيه الثواب ويدفع عنه العذاب

وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما

وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال بشر بن ابي خازم يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال الاعشى ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى الله عليه

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظيره القوام من الاستقامة والسواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم

يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا

ذو آثام لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ يخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك والمعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما

والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان يكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله يلق اثاما التحية دعاء بالتعمير

حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملئكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا ما رزقتهم في دار رضوانك لما وصف عباده العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان يكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة **فان قلت** الى من يتوجه هذا الخطاب **قلت** الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناوله ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم :. طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين

وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالنون وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا ولامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان قاهرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظلل اعناقهم **فان قلت** كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق **قلت** اصل الكلام فظلوا لها

[…] الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة

[…] للعقلاء وقيل خاضعين كقوله لي ساجدين

[…] الاعناق كما قيل لهم الرؤس والنواصي

[…] وقيل جماعات الناس يقال جاءنا

[…] خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية

[…] لذلت اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم

[…] عظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا

[…] عرض واحد وهي الاعراض والتكذيب

[…] ض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر

[…] ده وصار عرضة للاستهزاء والسخرية

لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية

حسنت مستقرا ومقاما. قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

والسلام دعا بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا ما رزقتهم في دار رضوانك لما وصف عباده العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاوليك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنته لمعـ...

كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا د...

وحقيقة قولهم ما عبأت به ما ا...

تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت...

ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم ع...

ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا للعبا...

حتى يكبكم في النار ونظيرها في الكا...

(احسن الي من يطيعني ويتبع امري ...

وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا ...

دعاؤكم معه آلهة فان قلت الى ...

ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون ...

والتكذيب وقرى فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرى لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم :. طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين

وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا ولامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقرى لو شئنا لانزلنا وقرى فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور اولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرى فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية

وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون

على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبق لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلم من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله عز وجل ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس

قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون

فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلم في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه

قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين

ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما
التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال
الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي
وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف
ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت
قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة
قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون
تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين
معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس
منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون
فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع
يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما
ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما
وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا
فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة
بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى
الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى
اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون
صب في اذنيه البرم فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت
الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله
ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل
في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال ألكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر
فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة

ان ارسل معنا بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين

واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا
ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في
الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق
كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى
انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم
انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى
فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع
من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية
عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي
وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك
بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت
وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى
على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من
الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذاك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك
ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله
عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر
ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته
كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين لفرعون والهيته
او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك
وآلهتك وقرئ والاهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت
منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى
من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين
عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون
ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين

ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي حكماً وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون

ربّا بجل من ترشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستاصله
من سنخه وابى ان تسمّى نعمة الا نقمة حيث بيّن ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان
تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن
عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيداً يقال عبّدت الرجل
واعبدته اذا اتخذته عبداً قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر
ما شاؤوا وعبدان فان قلت اذن جواب وجزاء معاً والكلام وقع جواباً لفرعون
فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما
فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة
بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها
وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك
التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع
عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب
المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم
يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له
عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان
يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه
من افعاله الخاصة ليعرّفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه
شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشاً
عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته
معرفة ثباته بصفاته استدلالاً بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته
الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت
غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا
انكاراً لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب

قال لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين

...ثنى بتقرير قوله جنته الى قومه وطنزبه
...يدم وقال لئن اتخذت الهاً غيري وهذا بدل
...بهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت
...قال في الهجاء جمالين فان قلت ما معنى
...ان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان
...لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا
...ت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل
...خاصة فان قلت ذكر السموات والارض
وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر ابائهم بعد ذلك وذكر المشرق
والمغرب قلت قد عمّ اولاً ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه
من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى
هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع
الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستوٍ
من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء
والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم
بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولاً ان كنتم موقنين واخراً ان كنتم تعقلون قلت لاين
اولاً فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم
لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤدياً
مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحداً ممن
عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة
في الارض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو
في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه انفعل ذلك ولو جئتك
بشيء مبين اي جائياً بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا يأتي بالمعجزة الا الصادق
في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان
مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم

ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون

ربما يجل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم
من سنخه واني ان تسمى نعمة الا نقمة حيث
تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم
عليه بتعبيد قومه اذا حقرته وتعبده
واعبدته اذا اتخذته عبدا قال
ما شاؤا اي عبدان فان قلت اذن
فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون
فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا
بان نجازي بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها
وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك
التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع
عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب
المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم
يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له
عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان
يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه
من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه
شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا
عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته
معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته
الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت
غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا
انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب

قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين

97

عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به
حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل
على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت
اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى
قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان
الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا
اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل
كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض
وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق
والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه
من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى
هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع
الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو
من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء
والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم
بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين
اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم
لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا
مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن
عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة
في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو
في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك
بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق
في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان
مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم

ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملإ حوله ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث
في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين

تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء
لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء
المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر
اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي ان فرعون لما ابصر الآية الاولى قال فهل
غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع
كاد يغشي الابصار ويسد الافق فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين
نصب على اللفظ ونصب على المحل والعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في
النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الآيتين وبقي لا يدري اي
طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو
الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره وتوقعه واحس به من جهة موسى و
غلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا الساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم تأمرون
من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا
لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما
لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان
يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق
ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه
حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم بكل سحار فجاءوا بكلمة
الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر
اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات
الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت
به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع
والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه

فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ٩٨

ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ
به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع
السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط
لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذن لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن
قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يضم لهم الى الثواب على سحرهم الذي
قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية
وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك
بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول
الله صلى الله عليه لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله
الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية
الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها
حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف
لحالف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون
في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا
مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى
علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا
سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق
المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم
الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح
به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة
ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهارون عطف بيان
لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته
اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون

تعلمون أي وبال ما فعلتم الضر والضير والضور واحد أرادوا ولا ضير علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في قتلك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا أن كنا معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر إنكم متبعون علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى إني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين إن هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير

فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين

اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر المتيقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك فأتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا إذا طلعت سيهدين طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان إنا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجي الحياة أم من الموت أجزع

والمعنى إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد الفرق الجزء المتفرق وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وأزلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم إلى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن جعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فزلقهم فيه عن عطاء بن السائب أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت هذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي أن موسى قال عند ذلك يا من كان

ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين

قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال لهذا البحر من بحر الفلزم وقيل من بحر
من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية اية اية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع
امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا امن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين
بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها فاتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز
المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه
سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان
ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب
فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم
قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين
بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار
الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده
ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين
جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في يسمعونكم من
تقدير حذف المضاف ومعناه هل يسمعون دعاءكم وقرا قتادة يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب
عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية
ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا
قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوه بجواب المقلدين لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا
الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من ابائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا
على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة
اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على
عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى
اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من الخير كله
منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا
ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول
وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض

والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون

وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل
ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب
وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة
والجماعة قال وقوم علي ذوي مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى
وهم لكم عدو شبهها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين
استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح
عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي
بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن
هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني
لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم
قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر
منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليس
بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له
اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار
الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه
تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم
فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين
يومئذ وهو الان خفي لا يعلم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو
حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم
في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين والاخر اخر الخزي وهو الهوان
ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير
العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم
يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه

يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون

سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فيجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير

فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

١٠١

في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون اخاهم حين يندبهم ❊ في النائبات على ما قال برهانا

كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلوات الله عليه وسلامه في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر على ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون

لانها تحرزه ولا يكاد يظفر بها
لان اوكارها في رؤوس الجبال
والاماكن الصعبة البعيدة

كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين

فاتقوا الله فى طاعتى وكرره ليؤكده عليهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفى الثانى حسم طمعه عنهم وقرى واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد فى واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير فى قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول فى اصحاب رسول الله وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول الله فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمى واى شىء علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم اراذلنا بادى الراى ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده ثم يبنى جوابه على ذلك فيقول ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شانى ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا فى ايمانكم وما على الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد انى لا ادعوك عليهم لما غاظونى وآذونى وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فاحكم بينى وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام

ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم

والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا وقرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس فى الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فاتخذوا فى طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفى حرف ابى كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين فى العواقب بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه

دوف
والقيام
وواحد
اهله
الاولين
اخلقنا
اخلق
نواحيها
مادة لم
كانوا
بهم لا يزالون

عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة فى تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ههنا فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله فى جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل اول شىء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون

عوض من الواو تقول منه ودع هو وديع اى ساكن ووداع ايضا

في الصحاح التحل الثوب الابيض من الكرسف من ثياب اليمن

يقال خلق الافك واختلقه وتخلقه افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا

يعنى الازواج الثمانية من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين

كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا
على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون
وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا
ونجنى ومن معى من المومنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين

فاتقوا الله فى طاعتى وكرره ليؤكده عليهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة
الاول كونه امينا فيما بينهم وفى الثانى حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد
او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد فى واتبعك وقد جمع الارذل على
الصحة وعلى التكسير فى قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم
لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة و
الصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول فى اصحاب رسول الله وما زالت اتباع الانبياء
كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول
الله فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة
وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمى واى شئ علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص
اعمالهم لله والاطلاع على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم
وانهم لم ...
...
يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله
وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا
على فعل لانهما اخوان فى نحو العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك
ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام

ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على
رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين فى جنات وعيون

والمسحوق المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال
المسيب بن علس فى الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك
وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فاتخذوا فى طرقهم اعلاما
طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام
والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا
او تشبه حالكم حال من يخلد وفى حرف ابى كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم
بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن
تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين فى العواقب بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث اجملها
ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون
ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه
النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رءوف
بالعباد **فان قلت** كيف قرن البنين بالانعام **قلت** هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام
عليها **فان قلت** لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد **قلت** ليس المعنى بواحد
وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله
ومباشريه فهو ابلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين
بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا
هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق
بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه
ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم
يزل عليها الناس فى قديم الدهر او ما هذا الذى جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا
يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين فى نعيمهم لا يزالون
عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة فى تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن
والدعة فيما ههنا فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله فى جنات وعيون
وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل **فان قلت** لم قال ونخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل
اول شئ كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون
عوض من الواو تقول منه ودع هو وديع اى ساكن ووداع ايضا

وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فأت باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين

انّه النخيل لا يذكرون الثمر ولا يريدون الا الابل قال زهير • تسفى جنة سحقا قلت فيه وجهان أن يخصّ النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكّرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل ارطب ثمره وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروى ان مسطعا ألجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبنى عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا

وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين

ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم او أتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوإ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه كما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه كما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الديّن في دين الله حتى يقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب ليكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين

هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة صاد بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق

فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين

فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان

بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين

الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهّمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لقنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وإنه وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل وإنه لفي زبر الأولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية جملة الشأن وأن يعلمه بدلاً عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين **فإن قلت** كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الألف **قلت** خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد

ولا عربياً شاقه صوت أعجما

سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون

في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسحراً أخرى وقالوا هو من تلقين محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحاً معجزاً متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذراً ولسموه سحراً ثم قال كذلك سلكناه أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين **فإن قلت** كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته **قلت** أراد به الدلالة على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به **فإن قلت** ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين **قلت** موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذباً مجحوداً في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالاً أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة **فإن قلت** ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا **قلت** ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال

افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون

طرفة عين فلا نجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول **فان قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم **قلت** الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها

فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم

النون التي على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع **فان قلت** المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين **قلت** فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك

الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون

فان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله
يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر
على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله
فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول
دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ
نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم
على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو
من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح
احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف
يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين
المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين
تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة
رحمه الله هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل
انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع
لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع
والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك كل افاك اثيم هم
الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان
يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه
من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم
ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم اي يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين
كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي
الحديث الكلمة يختطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب

تختطفها

والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا

فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر
الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن
ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام
واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم
فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلى من
تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل
النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون
له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما قضي عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون
هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين
وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات
قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر
ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله
لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد
ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا
يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في
الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن
ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون السفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون
وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي
ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول
مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم
وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب
عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم
على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم

وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد
فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا التقي
وعن الفرزدق ان سليمن بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق
الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درا الله عني الحد بقوله
وانهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة
القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه
والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة
وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان
هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان
صدري ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا باس به والقول فيه ان الشعر باب من
الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول
الله ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه قال له اهجهم فوالذي
نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية
ناطقة بما لا شي اهيب منه ولا اهول ولا انكا لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد
المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه
وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه
وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر
تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تامن فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس اي منفلت
ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان
ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين
عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب
قال رسول الله صلى الله عليه ~~من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من~~

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القران وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
وهم بالاخرة هم يوقنون

من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به و
هود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم ** طس قرى بالتفخيم والامالة وتلك اشارة
الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن
فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القران وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه
من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الايات الى القران
والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت
لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك
مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القران اذا اريد به القران قلت كما تعطف
احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القران هو
المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمهما حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل
تلك الايات آيات المنزل المبارك وآي كتاب مبين وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع
على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت
ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح
فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم
هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها
ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من
الايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى كونها
هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت
وهم بالاخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول
ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون

جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان
إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فإن قلت
كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم
قلت بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله عز وجل
مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون
من المجاز الحكمي فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك
عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم
عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه
أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق
الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز
الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا
عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق و
عن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد
مترددين في أعمالهم وأشغالهم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر والأخسرون أشد
الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة
وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما
نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من
لطائف حكمته ودقائق علمه إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ
من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم وروي أنه لم يكن مع موسى عليه السلم
غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله
امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر
ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله فإن قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم
منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي
إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فإن قلت كيف جاء بسين

فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك

قلت عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة فإن قلت لم جاء بأو دون الواو
قلت بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق
وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال
ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فإن قلت هل يجوز أن تكون
المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا
بد من قد فإن قلت فعلى إضمارها قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في
النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها
وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة
وتدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت
له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه
له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير
في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى
في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام
في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض
الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين
وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم
أحياء وأمواتا فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة
له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين
تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن
الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون الهاء في إنه يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن أنا الله
مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن
مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره
على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل
كل ما أفعله بحكمة وتدبير فإن قلت علام عطف قوله وألق عصاك قلت على بورك لأن

علا بآية تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها

المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وأن
ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن
اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين
فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل
إذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وإنما رعب
لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه إني لا يخاف لدي المرسلون وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف
عن الرسل كان ذلك مظنة لطروء الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة
مما يجوز على الأنبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمن وإخوة يوسف ومن موسى عليه السلم
بوكزه القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها
وسماه ظلما كما قال موسى رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ
ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات كلام مستأنف
وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون ونحوه فقلت إلى الطعام
فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك في
تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة ثنتان منها
اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها
لأنهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد حقيقة الإبصار كل ناظر
فيها من كافة أولي العقل وأن يراد إبصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو
جعلت كأنها تبصر فتهتدي لأن العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة
عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله لقد علمت ما
أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ علي بن
الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر الواو
في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى
كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ
علوا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين

في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفحش
من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا
بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا فإن قلت أليس هذا موضع
الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو إشعار
بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد
كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله
الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما
فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم
حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير
من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم
لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة
لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع و
أن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس
أفقه من عمر ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود
أكثر تعبدا وسليمن أقضى وأشكر لنعمة الله وقال يا أيها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها
بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير
وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف
المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم
وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمن
من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في
شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم
قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت
ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول
استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد
بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول

وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون

سبحن ربي الاعلى ملأ سمائه وارضه وصاح قنبرى فاخبر انه يقول سبحن ربي الاعلى وقال الحدا يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحن ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وروي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت

فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي

لم عدى اتوا على قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا كما قال ابو الطيب ٥ ولشد ما قربت عليك الانجم ٥ لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الاية فسمع سليمن كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك ها هنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة

وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه

اوزعني اجعلني اوزع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمن عليه السلم الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمن حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قنا قنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمن حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمن وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل ياكله وقيل ايداعه

او لياتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين

القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه **فان قلت** من اين حل له تعذيب الهدهد **قلت** يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتاديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر **فان قلت** قد حلف على احد ثلثة اشيا فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله لياتيني بسلطان **قلت** لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او لياتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطا في التا باطباق وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال

من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقال

الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبا الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من

اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون

وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ
معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى
انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون
ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير
في تملكهم راجع الى سبأ فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها
وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من
ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد
وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى
من ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز
ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون
مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها
عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من
استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت
من كل شيء مع قول سليمان واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان
سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي
من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك
فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت
كيف خفي على سليمن مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث
بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف
على يعقوب فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار
سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه
وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول
يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت
له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل

الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم

لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون
الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف
كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش
هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة
ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء
بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف
الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهو قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها
ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون
ويعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو من كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة
وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك
بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا تكاد تخفى على
ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه و
منطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت
اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا
لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين
امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله على ان سجدات
القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة
وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة
مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين
قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف
على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى
الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون
عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف
عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع

قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي وأتوني مسلمين

سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح وأراد صدقت أم كذبت إلا أن كنت من الكاذبين
أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا
اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون
ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فيقال دخل عليها
من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة فإن قلت لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع
قلت لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماما
منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك كريم
حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال عليه السلام
كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم
فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل
مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني
ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبد الله
وإنه من سليمان وإنه عطفا على إني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي
إلي أنه من سليمان ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره
باسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن في أن لا تعلوا مفسرة أيضا
لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد
يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على
من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الأنبياء جملا لا
يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة
في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها
فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة
وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت
رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري
فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين أو مؤمنين
الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد

قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون

بالفتوى ههنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت
بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب
نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة أمرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية
أي لا أبت أمرا إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد
على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس النجدة
والبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك
نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء
الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك لما أحست
منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت
الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بأن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة
وقهرا أفسدوها أي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الحربة وأذلوا أعزتها وأهانوا
أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون
أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم
فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد
وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية و
يجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه
التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة إليهم بهدية أي مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها
عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروي أنها بعثت خمسمائة غلام
عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك
في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع
والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين
من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين
الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر
إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي

فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون

فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤوا أتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام كقوله أتحاجوني وبنون واحدة أتمدوني الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه هاهنا هو المهدى إليه والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية فإن قلت ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء قلت إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله فإن قلت فما وجه الإضراب قلت لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب

قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك

الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ أذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله أمين آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا عالما وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قوله
وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
وصف برد الطرف ووصف

قال بعض الحكماء من أرسل طرفه استدعى حتفه والرائد الذي يتقدم القوم فيطلب الماء والكلاء لهم وفي المثل الرائد لا يكذب أهله لأنه إن كذبهم [illegible]

عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين

الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمن عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرتد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالإنعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمن عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمن إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس أهكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وأوتينا العلم من كلام سليمن وملائه فإن قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمن وملأه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها

وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون

ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد والممرد المملس وروي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمن إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمن وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمن يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمن وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة فإن قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا

قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون
قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون

كانا منبوتعين احدهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان

فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا
وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون

فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابو نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم من تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه

فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

لفظ الغائب فلا تطابقت الصفة الموصوف وقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون
قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ
الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون
هذا العمل القذر ويغيظنا انكاركم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين
كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبورية في المعنى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان
يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح
بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل
وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم
اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا
عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة
وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك
من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة
على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه
ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه
اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم
بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء
الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه
وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط
واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما
حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت
تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر
ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما الفرق بين ام وام
في اما يشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة
لما قال الله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم

امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون
امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله
مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كأنه قال امن
خلق السموات والارض خير ام ما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن
ذاته في قوله فانبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر
عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى
الكينونة الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم
والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق
ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله اغيره يقرن به
ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط
بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار
عليها حاجزا كقوله برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى اللجأ والاضطرار افتعال منها يقال
اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او
نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي
الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب
المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون
المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول
للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على
البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم
سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون
بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى
نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا
جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم ام من يبدأ الخلق ثم يعيده
وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في
الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين في ان مع الله الها فاين دليلكم عليه فان قلت

قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون

لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون
ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني
الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم
الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية
حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك
ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة
ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن
الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان
على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك
ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة
ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد
فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن
يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد
فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن
بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت
في المشركين حين سألوا رسول الله عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين
ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة وقرئ بل ادرك بل ادارك بل ادرك بل تدارك بل أأدرك
بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام وتشديد
الدال واصله بل أادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى أادرك ام تدارك ام ادرك فهذه
ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك
علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام
العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم

وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون

بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى
وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر
ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا
لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن
الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام
العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس
ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك
فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو
ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد
فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه
قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم
وكذلك من قرأ ام ادرك ام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرأ بلى ادرك
وبلى أأدرك قلت لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله
ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم
بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى
أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم
بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة
في شأن الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي
الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة
كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من
لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم
لا يتخلص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة
قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبته وقد جعل
الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج

لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون

لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفنا الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فان قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته

وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين

واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فان قلت فما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن الضلالة وتهدي

وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون

العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اى ما تجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اى يصدقون بها فهم مسلمون اى مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمن فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة

الظاهر ان خطم بمعنى ضرب خطمه اى انفه مثل رأسه ضرب رأسه وفخذه ضرب فخذه

ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اما ذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون

ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اى مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنجرحنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اى تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك **فان قلت** اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا **قلت** قولها حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اى تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **فان قلت** اى فرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اى اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه اما ذا كنتم تعملون [illegible]ون ان يكذبوا ويقولوا [illegible]ول لراعيك وقد عرفته [illegible] اصل كلامك واساسه [illegible] ما علمك انه لا يعرضها [illegible] فد اثبت [illegible] والاصلاح [illegible] والتكذيب بايات الله ام [illegible] الا الكفر والمعصية وانما

ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون

ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اى مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر تحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اى تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا قلت قولها حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اى تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اى فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراى من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اى اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند كاتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اناكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما

وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون

العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اى ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اى يصدقون بها فهم مسلمون اى مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلم وروي لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل ... [illegible]
تصل الى المغرب
اجياد وروي بينا عيسى عليه ... [illegible]
تحرك القنديل وتنشق ... [illegible]
سليمن فتضرب المؤمن في مسجد ... [illegible]
في وجهه حتى يضيء لها وجهه ... [illegible]
الكافر بالخاتم في انفه فتفشو ... [illegible]
فيجلو وجه المؤمن بالعصا ... [illegible]

الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وكل اتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون

خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول
عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق
والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار للنهار وهو لاهله **فان قلت** ما للتقابل
لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا **قلت** هو مراعى من
حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب
في المكاسب **فان قلت** لم قيل ففزع دون فيفزع **قلت** لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته
وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه
مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه
من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور و
خزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد
على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية
ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع
الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في
مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد
اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور
فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة
وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله
الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه
للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون
عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر الآيتين فانظر
الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره واخذ
بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق

انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين

ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان
ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة
الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن
من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله
خير منها يريد الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل
السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة
كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا
مع تنوين فزع **فان قلت** ما الفرق بين الفزعين **قلت** الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد
عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن ممن يلحقه
الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز
وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب **فان قلت** فمن قرأ من فزع
بالتنوين ما معناه **قلت** يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق
الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان
البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة
لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر
الله وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبوا في
النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم
فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب
باضمار القول امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ
له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو
القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك والبلدة مكة
حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه
واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه حين خرج
في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب
بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب

وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون

دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها وان اتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن والكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه من قرا طس سليمن كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمن وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا

ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون

او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يتسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا ينبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين

قلت الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملأها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أنها حين اقتربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله قط فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها فألقته في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ روي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فقالت له الأطباء لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من

وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين

قومه هو الصبي الذي نحذر منه فائذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروي أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا أو نتبناه فإنه أهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك فإن قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحح به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله إنا رادوه إليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها

وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين

فيما فهمت كانها قالت وجه قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه

ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى

آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر بما انعمت على يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه وصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى

استغاثة قال المطرزي في المزب اللتي [illegible] واحد [illegible]

قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير

يجوز ان يرتفع صفة للرجل وان ينتصب حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك لكي يقتلوك وليس بصلة الناصحين يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى صلى الله عليه لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم الراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من

فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين

الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اني لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع

قالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج

فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا فى دار نبى من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل ليجزيك اجر ما سقيت اى جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهى التى تزوجها وعن ابن عباس رضى الله عنه ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه وقولها ان خير من استأجرت القوى الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعنى الكفاية والامانة فى القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوى الامين خبرا قلت هو مثل قوله

الا ان خير الناس حيا وهالكا ... اسير ثقيف عندهم فى السلاسل

فى ان العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممح وعن ابن مسعود رضى الله عنه افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر فى عمر روى انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تأجرنى من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثمانى حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل انى اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان تمهرها

والمفعول الثانى فى الحديث محذوف اى آجركم الله الجنة والعوض الجميل ومنه اللهم آجرنى فى مصيبتى اى اعطنى اجرا يعنى ثوابا

فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل

اجارة نفسه فى رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابى حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه فى الاول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابى حنيفة على ما ذكرت واما الشافعى رضى الله عنه فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى افعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستأجره لرعيه ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندى يعنى لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة فى مراعاة الاوقات والمداقة فى استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح فى معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله ستجدنى ان شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ وبينى وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت على ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اى اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذى هو العشر او اقصرهما الذى هو الثمانى فلا عدوان على اى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو فى احد الاجلين الذى هو الاقصر وهو المطالبة

وادق غيره ودققه ويقال ايضا ابيته فادقنى

فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون

بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم تقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتول ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما واطيبهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود

فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب

الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها

من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين

فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون

بر نفى عن هيبتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمّى لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل

وردئى كل ابيض مشرفى ... شحيذ الحد عضب ذى فلول

وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقنى بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازى ان التصديق حقيقة فى المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله انى اخاف ان يكذبون وقراءة من قرا ردا يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بالجزم العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

ابنى لبينى لستم بيد ... الا يدا ليست لها عضد

ويقال فى دعاء الخير شد الله عضدك وفى ضده فت الله فى عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا متعلق بنحو ما تعلق به فى تسع آيات اى اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا اى نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اى تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه

فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين

سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله فى ابائنا حال منصوبة عن هذا اى كائنا فى زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلوا من ان يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربى اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الاخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هى عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرا ابن كثير قال موسى بغير واو وعلى ذلك فى مصاحف اهل مكة وهى قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الايات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الاخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ يكون بالتاء والياء وروى ان هامان امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان البانى لا يقدر ان يقوم على راسه يبنى فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع ووقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى فى هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهى ملطوخة [illegible]

فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق

بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته فقصد بنفي
علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو
عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده
وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم
عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته
الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين
بل عالما بصحة قول موسى عليه السلم لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى
وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع
اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت
شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات
بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى
الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي
من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب
الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي
مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم
وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان
على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه
العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان
وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر
وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت
ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى
الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول
الله صلى الله عليه فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار

وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون

وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا
لعددهم وان كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في
البحر ونحو ذلك قوله وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما
هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب
قدرته **فان قلت** ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار **قلت** معناه ودعوناهم
ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة
وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في
تفسير فسقه وبخله جعله فاسقا وبخيلا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم
القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر و
معنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي
لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض
بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته
فان قلت واي فائدة في ترك المردوف الى الرادف **قلت** ذكر الرادف يدل على وجود
المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى
انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر
منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهي قيام الحجة على وجوده و
ينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة
مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة
هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي
تستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة انوارا للقلوب لانها
كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم
لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي

نزل بهم امر فردف لهم امر اعظم منه ومنه قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة

وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر الغربي المكان الواقع في شق
الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي
الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه يقول وما كنت حاضر المكان الذي
اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين
اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة
له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اي
وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشأنا
بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر
اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص
الانبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن
هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم
شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرأها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها
قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة
موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من
نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر
آباؤهم لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف
والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض
من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا
رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها
كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في
الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون
سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كأنها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين

معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت
هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به الى العلم اليقين
لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما
فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا
يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل
عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في
الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق
بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي
مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها
من الآيات فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه
ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم
الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل في ايام موسى
فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا
على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا
نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم
يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا وجحدوا
بمحمد عليه السلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين
سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه السلم
فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود
فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي هذا الشرط
من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين
امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت
ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي
بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا
عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين

دعاءه واما الثاني فمعناه فلم يستجيبوا دعاءه على حذف المضاف **فان قلت** فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا **قلت** قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن **فان قلت** ما الفرق بين الاستئنافين انه وانا **قلت** الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرءوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم **فان قلت** من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم **قلت** اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرب به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول

وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين

لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه تجلب وتجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله يجنى الي فيه ويجنى الى الخافة وثمرات بضمتين وضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا الانداد **فان قلت** بم انتصب رزقا **قلت** ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من

وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين

من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تخلف الآثار عن اصحابها خيبا ويدركها الفنا فتشبع وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه خاتم الانبياء وقرى امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلايل وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاه دائم سرمد وقرى يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفائين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكرت في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخي وقته عن وقته وقرى ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو

ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون

وهو لهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ار عمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون وانما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتسائل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرى فعميت والمراد بالنبإ الخبر عما اجاب به المرسل

ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون
من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله
لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون

إليه ورسوله وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال و
يفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك
أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم فأما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الإيمان و
العمل الصالح فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه
كأنه قال فليطمع أن يفلح. الخيرة من التخير كالطيرة من التطير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير
وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه. ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما
يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد
من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة
أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس فيهما
خيرة لمختار **فإن قلت** فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة **قلت** أصل
الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله إن ذلك لمن عزم الأمور لأنه مفهوم
سبحان الله أي الله بريء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار
ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا
اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها لا إله إلا هو
تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي **فإن قلت** الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في
الآخرة **قلت** هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد
لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس
وله الحكم القضاء بين عباده أرأيتم وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني
من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم
ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص **فإن قلت**
هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه **قلت** ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع
التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء
أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا
تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين

ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة
شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه
لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين

الليل والنهار لأغراض ثلثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو
النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان
بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا
في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا
وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للأمة هاتوا برهانكم
فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم
وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قارون اسم أعجمي
مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه
أنه آمن به وقيل كان إسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى
ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل
للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان في هارون
فما لي وروي أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان
ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما
فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى
تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان
الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هارون تهتز ولها
ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي
وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم
بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به
وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة
الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون
بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على إصبع وكانت من جلود وقال أبو رزين يكفي الكوفة
مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة وقرئ
لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت إليه
للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة ومحل إذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته

بما آتاكم وقول القائل: ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي
بها واطمأن، وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح
وما أحسن ما قال القائل: أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا. وابتغ فيما
آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب
إليه وتجعله زادك إلى الآخرة ولا تنس نصيبك وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك وأحسن
إلى عباد الله كما أحسن الله إليك أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن إليك ولا تبغ الفساد في
الأرض بما كان عليه من الظلم والبغي وقيل إن القائل موسى صلى الله عليه وقرئ وأتبع على علم أي
على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة
وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون
ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان يأخذ
الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته
قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني
كما تقول الأمر عندي كذا كأنه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته
على علم ثم زاد عندي أي هو في ظني ورأيي هكذا يجوز أن يكون إثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك
من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة وأخبره به موسى وسمعه
من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله
وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم
به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم
هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين وأكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا
فإن قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون
من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع
على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها
كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة
والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف
على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية

قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين

بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي فيه المعصفر
كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر
وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط
هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة
صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا إلا كما يضر العضاه
الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو
حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود ويلكم أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل
في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالإقراف
في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه بمعنى المثوبة أو الجنة
أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح والصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم
الله من القليل عن الكثير كان قارون يؤذي نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه
فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم
فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه
بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل
حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن
زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا
قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل
التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي
فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما
شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان
معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم
فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق
وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ۞ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ۞ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون

لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطاء وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض السيئة إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها

إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ۞ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۞ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ۞ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ۞ بسم الله الرحمن الرحيم الم ۞ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه فإن قلت كيف اتصل قوله قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم فإن قلت قوله إلا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب قال

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحوائم

بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره إلا وجهه إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك

فإن قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو
في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين
فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى
أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر
قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت
كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة
الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب
فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان
ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع
المصائب في الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين
أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل
يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز
المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون
في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن
تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله قد جزعوا
من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون
لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها
إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي
فقال رسول الله سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه
أبواه وامرأته ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن
من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو
أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه
قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه

ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله
بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فيه فإن قلت كيف وهو عالم بذلك فيما
لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق
منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن
الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس
من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها أن
يسبقونا أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم
ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع
فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون فإن قلت
أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها
أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن
أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء
مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر
فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان
يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن أجل الله
الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة
عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق
بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك
الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو
لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة
قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فإنما
يجاهدها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم

ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون

اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ونجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ونجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح

وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف

كما لو قال امرتهم بان ينهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك المعنى في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم ووصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفين بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي

كان ان عمر حلف بني نمير بعد حجهم وتذكر ما فعلوا ببني ذبيان والقراطف جمع قرطف بجعفر بمعنى القطيفة والقروف جمع قرف بالفتح وهو وعاء من جلد يدبغ بالقرفة وهي قشور الرمان ويجعل فيه الخلع وهو اللحم الذي خلع منه العظم وطبخ بتوابل للسفر ومعنى كذب القراطف والقروف وجب عليكم اخذها واغتنامها فخذوها واغنموها كانت لغيرهم عليها فبان الامر بخلاف هذا وكذب بمعنى وجب كلمة اغراء تجري مجرى المثل لم تتصرف فيها ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلا ماضيا متعلقا بالمخاطب

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون

وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحنه انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما حكي ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق

مع اثقالهم وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

ان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به
ضامن بما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل
تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشي لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم انهم ما ضمنوا
لا طمعهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على
ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين
الذين يعدون الشي وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا اي اثقالا
اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن سؤال تقريع
عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم كان عمر نوح عليه السلم
الفا وخمسين سنة بعث على راس الاربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت
ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم
زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب
لفظا واملا بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلم
من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي
لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم جاء المميز
اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب
في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك
والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج
وغم طوفان الظلام الاثابا اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم
اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال
وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة والضمير
في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل
الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه
حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة
والتقوى وقرا ابرهيم النخعي وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم

انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له
اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير
قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة ان الله على كل شي قدير

تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة
دون عين الجهل العميا علمتم انه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من
تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك
مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل
واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم
لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان
يرزقوكم شيا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره
اليه ترجعون وقرئ بفتح التا فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوني
فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث
حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال
معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء
اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية
والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه
لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين
اول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت
قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد
عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السما وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه
واعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت هي حكاية
كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلم لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه كلام الله على هذا المنهاج
في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها في قصة ابرهيم
والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة
وزيد ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول
الله وان يكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من
شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا
محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من

يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات الواطية عقبها من اذيالها
وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله
وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدا وقوله ثم يعيده
ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت
كما وقع النظر في قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحو
قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه **قلت** هو معطوف بحرف العطف فلا بد
له من معطوف عليه فما هو **قلت** هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه
معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه
من معنى يعيد ذلك بقوله النشاة الآخرة على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء و
اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله و
الاولى ليست كذلك وقرئ النشاة والنشاءة كالرافة والرآفة **قلت** ما معنى الافصاح باسمه
مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدا الخلق وكان
القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الآخرة **قلت** الكلام معهم كان واقعا في
الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة
انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا
تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الآخرة فللدلالة
والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء
رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القران وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق
اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي
لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها و
ابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
وقيل ولا من في السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج
والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء
والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء بآيات الله بدلائله على

والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
ومأويكم النار وما لكم من ناصرين وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه
اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين

وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيمة
كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا
فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس
من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته
وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا قرئ جواب قومه بالرفع
والنصب قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم
القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب
حرها قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي
لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس
على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ
الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها
مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف
والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح
بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا
انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم
القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام
كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول من آمن له حين رأى
النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها
الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة
وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي
يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر
الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه **فان قلت** ما بال اسمعيل
عليه السلم لم يذكر وذكر اسحق وعقبه **قلت** قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب

ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين

فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التوراة والزبور والانجيل والقرآن ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم احداثه في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون

ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ١٤١ دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين

خفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك وان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او ببينة وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلادهم وارضهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت

فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله
السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر

العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح
التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون
ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ
بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا
يعلمون فرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا
وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا
وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير كان الجهلة والسفهاء
من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما
يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي
الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا
التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه انه تلا هذه الاية فقال العالم
من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان
تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك
لاية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
والصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه
صلاته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما
للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح
فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت
من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء
والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تامره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد
بصلاته الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته
بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما
فقد روي انه قيل لرسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي
ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان

ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد
بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء
والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي
ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى
عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم
ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا
الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او
ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى
من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته
والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب بالتي هي احسن بالخصلة التي
هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل
معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا
فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الاية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله و
قولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه ما حدثكم
اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا
لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه
مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما
انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن
آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها
الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وانت امي ما
عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب
المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب

بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون ۝ وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين ۝ اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ۝

مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه وكتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد باياتنا الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون قرئ آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة

قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ۝ ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ۝ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ۝ يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون ۝

قوم او ضلالة فهم ان يرغبوا عما جاءهم به الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات وما في الارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه معنى الآية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون

كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له ان الله بكل شيء عليم

في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عضتك في المخاطب والتقدير فاياى فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى في ارض فاخلصوها لى في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد ان شسعت ابتعه قوله كل نفس ذائقة الموت اى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالى وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقرا يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله لما امر رسول الله من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لى فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبا الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم الضمير في سألتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض فان قلت قدر الرزق وقدره بمعنى اذا ضيقه الذى رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء

ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون

لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم استحمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الآخرة لهى الحيوان اى ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمى ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من خلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفى تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجيهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كى وكذلك في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك

اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه الس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين والله اعلم

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد

بسم الله الرحمن الرحيم القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في ادانى الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربوا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون

مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وقل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للإسلام وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينتصر عليكم تارة وينصركم أخرى وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي ألف درهم عرفا لأن معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لأن ما سبقه في معنى وعد ذمهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بإصبعه فيعلم أردي هو أم جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى وأن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع في أنفسهم يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه إلا بالحق وأجل مسمى أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون

لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي متلبسة بالحق مقترنة به فإن قلت إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى أولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أي تشقها وعمروها يعني أولئك المدمرون أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة الأرض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أي عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر فما كان تدميره إياهم ظلما لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين وأن كذبوا بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أي لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر أن يكون أساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر

الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام ثم اليه يرجعون اي الى ثوابه وعقابه
وقرئ بالياء والتاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس
من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغوا وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته من
شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالاهيتهم ويجحدونها
او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائل
وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين
وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة
والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم
احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا
تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد
يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم
وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر
القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه
الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة
قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس
من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك
تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف
عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل
الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء
عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس
هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلوتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل
بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم
من اهل السموات والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه الله الى ان الآية مدنية قلت

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين

لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم
والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم
رسول الله المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه من سره
ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال
حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه
ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى
تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه الحي من الميت الطائر
من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في
قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت
واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا
للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء
من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل
انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين
الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم
سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا
مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل
بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان الالسنة
اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين
متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب
ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف
ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس
ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما و
تعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل

ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء
فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون

قد وسم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها
ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان
والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم
فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان
الواعية يريكم فيه وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وقول القائل ؎ وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير ؎ خوفا من
الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول
له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت
فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا
والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته ان تقوم
السماوات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما وارادته
لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع
المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السماوات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم
دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما
يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل ؎ دعوت كليبا دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود
او هو اسرع ؎ يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السماوات و
الارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور
قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان
صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي
فان قلت بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر
معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب
مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله

وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم

فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان
من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطأ في بعض
ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها
كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون
والمراد به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في
قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو
محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا
معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت
الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت
على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها
هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من
الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان ينتقل
في الاحوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو
ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة
من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما
محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو
القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل و
التفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل
الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت
الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع
كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون
من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في
السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء
من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل
مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قوله

الهم الشيخ الفاني من الهم الاذابة او من الهيم الدبيب

لنوا على من صفات غيره تعالى

ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون

لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله هو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول **فإن قلت** أي فرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء **قلت** الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك أي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات أي نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة الذين ظلموا أي أشركوا كقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم بغير علم أي اتبعوا أهواءهم جاهلين لأن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من أضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان فأقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله أي ما ينبغي أن تبدل تلك

منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون

الفطرة أو تغير **فإن قلت** لم وحد الخطاب أولا ثم جمع **قلت** خوطب رسول الله صلى الله عليه أولا وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الإسلام وقرئ فرقوا دينهم أي جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله ۵ وكل خليل غير هاضم نفسه ۵ الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية أي بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها ومعناه فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون ويحتمل أن يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون وإذا أذقناهم رحمة أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رضي الله عنه لا نفقة بالقرابة إلا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لأنه لا ولاد بينهم **فإن قلت** كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء **قلت** لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك يريدون وجه الله يجوز أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصا وحقه كقوله تعالى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى أو يقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة

وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون

مختلفة هذه الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربوا من ربوا ليربوا في اموالهم ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل مأخذا والاول املأ بالفائدة الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداداً له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت

قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات

ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا الفسوق والمعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده احد بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلم

وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا
فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر
إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون

اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة
بالغيث ولإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي
مع هبوب الريح وزكاء الأرض قال رسول الله صلى الله عليه إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض
وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها
وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال
لحبسها وربما عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله
فيها فإن قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى
كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها
اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى
الكلام أولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم
وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم
مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم
حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه ما من امرئ مسلم يرد عن عرض
أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر
المؤمنين فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا أي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله
في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وبإصابته العباد
إصابة بلادهم وأراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما
في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم
يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قرئ أثر وآثار على الوحدة والجمع و
قرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة إن ذلك يعني إن ذلك القادر الذي يحيي الأرض
بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا
من جملة المقدورات بدليل الإنشاء فرأوه فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها
النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على
القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف
الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه

فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون

ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على
صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل الحاصب
فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة
كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على
الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون
حرورا وحرجفا فكلاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة
حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر قرئ بفتح الضاد وضمها
وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه من
ضعف فأقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الإنسان من عجل يعني أن أساس
أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر
ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى
الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل
من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة
إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة
سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول
في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وأرادوا لبثهم في الدنيا
أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون
قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم
وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون
كذلك كانوا يؤفكون أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا
وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار
بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون في كتاب
الله في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا
عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم
البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فإن قلت ما هذه الفاء

فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل
عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسانا وآن لنا
أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن
يوم البعث بالتحريك لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي
استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى
إلى قوله غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا
ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة
وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فإن قلت كيف جعلوا غير
مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت
أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه
فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا
الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها
مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كقصة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم
وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال
مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الألطاف التي ينشرح لها
الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة
من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ
والرين إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق
خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم إن وعد الله بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله
حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم
قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب
ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين

بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب الحكيم ذي الحكمة أو وصف بصفة الله
عز وجل على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف
إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على
الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ
محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكوة والإيقان
بالآخرة ونظيره قول أوس الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا حكي عن الأصمعي
أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين
بهذه الثلث لفضل اعتداده بها اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر
بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما
لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث
وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث
عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون
حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق
به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلوة
والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن
ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين
أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي
يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فإن قلت ما معنى إضافة
اللهو إلى الحديث قلت معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه
كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث
ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد
يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل
ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري إما من الشراء على ما روي عن
النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وإما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أي
استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل

وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة
وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ولقد آتينا
لقمن الحكمة

على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الإسلام أو القرآن **فإن قلت**
القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام
واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح **قلت** فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله
الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين
وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة
فدل بالرديف على المردوف **فإن قلت** ما معنى قوله بغير علم **قلت** لما جعله مشتريا لهو الحديث
بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل
بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء
بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة
كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ
بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في أذنيه وقرا أي ثقلا
ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال **فإن قلت** ما محل الجملتين المصدرتين بكأن **قلت** الأولى
حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين والأصل في كأن المخففة كأنه
والضمير ضمير الشأن وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد
لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد
وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم
وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من
شاء وهو الحكيم لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد
برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني
فإن قلت ما محلها من الإعراب **قلت** لا محل لها لأنها مستأنفة أو هي في محل الجر صفة
للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته هذا إشارة إلى ما ذكر
من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة
مما خلقه الله وأنشأه فأروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب
عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال هو لقمن بن باعوراء ابن أخت
أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام

أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم
ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير

وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذا
كفيت وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس
رضي الله عنه لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله
ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين
النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان
عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب
لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من
بينهما كلام دقيق وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال
ألست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت
عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين
فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت
حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج
منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث
مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما
فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلثة من
السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن أن هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه
الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له
حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج إلى الشكر حميد حقيق بأن يحمد وإن لم
يحمده أحد قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما
حتى أسلما لظلم عظيم لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور
أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه أي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء
بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي
يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا
على وهن بالتحريك عن أبي عمرو ويقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله أن اشكر
تفسير لوصينا ما ليس لك به علم أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام

وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير

كقوله وما يدعون من دونه من شئ معروفا اى صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من اناب الى يريد واتبع سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ثم الى مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان فى صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التى لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الآخرة وروى انها نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه وفى القصة انها مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر **فان قلت** هذا الكلام كيف وقع فى اثناء وصية لقمن **قلت** هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمن من النهى عن الشرك **فان قلت** فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر **قلت** لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه ❊ احمل امى وهى الحمالة ❊ ترضعنى الدرة والعلالة ❊ ولا يجازى والد فعاله ❊ **فان قلت** ما معنى توقيت الفصال بالعامين **قلت** المعنى فى توقيته بهذه المدة انها الغاية التى لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعى على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابى يوسف ومحمد واما عند ابى حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابى حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اى ان كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها فى اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى يأت بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفى خبير عالم

لما اسلم سعد وكان من السابقين الاولين وكان بارا لامه قالت له امه ما هذا الدين الذى احدثته والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك يا قاتل امه ثم انها مكثت ثلثا الخ

يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير

بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروى ان ابن لقمن قال له ارايت الحبة تكون فى مقل البحر اى فى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء فى اخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة اخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا فى معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها فى سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والاشر كما يمشى كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشى مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد فى مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار وقال رسول الله صلى الله عليه سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد

من اصعر واصعر وصعر وصاعر واحد بمعنى الاعراض عن الناس تجبرا

ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

بقطع الهمزة اي بُرْدُنِي مشيك من اقصد الرامي اذا سدّد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصّر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نُكُر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عُدّ في مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان **فان قلت** لم وحد صوت الحمير ولم يجمع **قلت** ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته **فان قلت** ما النعمة **قلت** كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة **فان قلت** لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان **قلت** لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه **فان قلت** ما معنى الظاهرة والباطنة **قلت** الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة

واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم

البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى صلوات الله عليه الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس معناه اَيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلّم امرك الى الله **فان قلت** ماله عدّي بالى وقد عدّي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله **قلت** معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه وقرئ يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه وقرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء **فان قلت** كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد **قلت** اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود

فاعلا للفعل الدال عليه كلمة لو لان لو تطلب الفعل فالبحر ايضا يكون فاعلا ويمده حالا اي لو ثبت البحر في حال كونه ممدودا بسبعة

ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير

بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام
والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت
زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو
كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال
التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس
الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل
فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها
نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة فيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون
الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الاية عند بعضهم مدنية وانها نزلت
بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله الست تتلو فيما
انزل عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه
وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته
القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس
الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع
كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق
والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة
والقمر الى اخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل
ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير
وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري
الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق
العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك
يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك
اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة
وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك الذي وصف من عجائب

الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا

قدرته وحكمته التي تعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون
الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الهيته وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي
الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الايات بسبب بيان ان الله هو الحق
وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل
يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين
فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه
وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل
والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم
مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في
الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط و
المقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختر اشد الغدر
ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال ، وانك لو رايت
ابا عمير ملات يديك من غدر وختر ، لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي
وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال
اجزات عنك مجزا فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف الغرور الشيطان وقيل الدنيا
وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية
ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين
وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها
غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد
لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية
وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين
وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم
ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على
الطريق الاكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه
لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه

ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير

لمن ولد منك روي ان رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني قد علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي زمان ارسائها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيث اي بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم للسورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون

والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتريه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتريه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتريه قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتريه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتيهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله كما كان لعل على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف

يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء
خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون

بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من
السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات
هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا
ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع
اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان
المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم
من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء
الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان
مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون
بالتاء والياء احسن كل شيء خلقه حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته
المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته
اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء
وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه نسله ذريته سميت نسلا لانها تنسل منه اي
تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل سواه قومه كقوله في احسن
تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك
عن الروح كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابي بن خلف
ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ءانا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا
مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله
وآب مضلوه بعين جلية وقرا علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا
الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت
بم انتصب الظرف في اءذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد
خلق لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء
اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده

قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون

الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا
معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس
وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته
اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته
واستقضيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت
يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله وفيه وجهان
ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله
كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له
تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية
قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوا حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل
احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه
وكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله
بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية
واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك
ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي
الرجعة الى الدنيا ثم بين ان كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر ولكننا بنينا الامر على الاختيار
دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء
الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان
العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك
في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على
المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم
من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام
منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء
وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة اذا ذكروا بها

انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون

اى وعظوا بها خروا سجدا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله فاما الذين امنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار اى ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم

ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اى يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة ... يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من

ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات
افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح
ان كنتم صادقين

مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على
موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين
الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن
من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين
وقيل من لقائك موسى ليلة الاسرا او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضى
والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل
الله التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق
في دينه من المبطل الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف
والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة
لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه
كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون
والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ
يمشون بالتشديد الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل
ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض
اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ
ياكل بالياء الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان
الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي
وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين
واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت
قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم
في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب
ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني بكم وقد
حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا
فان قلت من فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد

قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا

نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم
في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم
انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرا ابن السميفع
منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون
لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه من
قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال من قرأ
الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة
الاحزاب قلت ثلثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول
ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة
في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول
في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وترك نداءه
باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله فان قلت
ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت
ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين
النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره
في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون
على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت
عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم
على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين
لا يريدون الا المضارة والمضادة روي ان رسول الله صلى الله عليه لما هاجر الى المدينة وكان
يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان

وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم

يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى ان ابا سفين بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونقض الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى ان اهل مكة دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعى الحكمة واتبع ما يوحى اليك فى ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذى يوحى اليك خبير بما تعملون فموحٍ اليك ما تصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وامومة فى امرأة ولا بنوة ودعوة فى رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير فى حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة فى النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب فى جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهرى وكان يقول

ان لى قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروى انه انهزم يوم بدر فمر بابى سفين وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلى فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سها فى صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فى ان الواحد يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى والتنكير فى رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة فى جوفه فان قلت اى فائدة فى ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائى بياء وهمزة مكسورتين واللاى بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت على كظهر امى ونحوه فى العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى فى اصله الذى هو بمعنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت على كظهر امى قلت ارادوا ان يقولوا انت على حرام كبطن امى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجئ به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ فى تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا فماله جمع على افعلاء وبابه

ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو دعي وسمي قلت إن شذوذه عن القياس كشذوذ قتلى وأسرى والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بأفواهكم هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي إلا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الأخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده فإن قلت فإذا وجد التبني فما حكمه قلت إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد النبي أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب ووقاءه إذا لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله وصرفهم عنه لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة

وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما

الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رءوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرأوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فإلي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم تثبت لهن سائر أحكام الأمهات كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام وعز أهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز أن يكون بيانا لأولي الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فإن قلت مم استثنى أن تفعلوا قلت من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام واذكر حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فقالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا

يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا

مؤمنين او ليسال المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله
او ليسال الانبياء الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله على نوح فمن
بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلى الله عليه افضل هولاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من
قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الاية
على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة
والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث
عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت
فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق
ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في
بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله واعد للكافرين
قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين
واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين
اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب
فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا
لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا فبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت
التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات
القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب
عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من
غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه
بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق
بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المؤمنون
كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر

اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا

ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة
وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر
بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر تبغلون من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا
سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها
حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة راس
الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من
شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم
قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم
تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب
والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان
الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما
الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين
يستاصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو
القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال
اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء
له مجرى الوقف قال ابو عبيد ومن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا وقرئ
زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج الا غرورا قيل قائله معتب حين راى الاحزاب
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور طائفة
منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب
اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار
لكم هاهنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول
الله وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست لكم بيثرب مكان قرئ عورة بسكون
الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل

ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا

يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة
للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم
الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك
دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون
خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين
ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة
المسلمين لاتوها لجاءوها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا
الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول
الله والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو
كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه
وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على
حزبه عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم
وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا
يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به لن ينفعكم الفرار
مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك
التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية
فقال ذلك القليل نطلب فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة
الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى
قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع المعوقين المثبطين
عن رسول الله وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول
الله ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا
الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم
فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب
قل ما شهد اكم الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المومنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم

اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك
لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا

يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم في
وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون
اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم
الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم
وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه و
نصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت
للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان
ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجزى عليه فبين ان ايمانه ليس
بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان
الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب
عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت
معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون
ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم
من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا
به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم من جانب
المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا
الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد
بدئ بوزن عدى ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك
او يتساءلون الاعراب كما تقول رايت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم
وتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى
كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو
المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ
من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجوا

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
ان الله كان غفورا رحيما

الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت
زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل
والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة و
المؤتسي برسول الله من كان كذلك ووعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم
واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة
والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا
اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب
او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه واقداره نذر رجال من الصحابة انهم اذا
لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمن بن عفان وطلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه
يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر
الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه
اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول
الله فان قلت ما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في
سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة
السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد
عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما
بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله يوم
احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض
القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا
في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما

الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل
او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن
به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها
روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون
الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال
ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه
فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد
اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا
فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فأبوا فقال
على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم
فكبر النبي صلى الله عليه وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق
في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة
مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروي ان رسول الله
جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر
اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله
ورسوله وارضا لم تطؤوها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل
هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم
اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله فنزلت فبدأ بعائشة
وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي
الفرح في وجه رسول الله ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل
لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان
لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت افي هذا استأمر ابوي فاني اريد
الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا

مبلغا ولم يبعثني متعنتا **فان قلت** ما حكم التخيير في الطلاق **قلت** اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رضي الله عنه اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي انكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق **فان قلت** المتعة في الطلاق واجبة ام لا **قلت** المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما فلا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا امتعكن واسرحكن بالرفع **قلت** وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة منكن للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنى والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي

بين سبب مضاعفة عذابهن بمقدمتين الاول
ان المعصية منهن اقبح منها من غيرهن وهي من قوله
لان النعمة ... كان اسمة ...
... قوله وبحار الكفر

ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى

وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يأت بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ يقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضى رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرا بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق

الديش بن الهون بن خزيمة وربما قالوا
بفتح الدال وهو احد القارة والاخر عضل بن
الهون بن خزيمة يقال لهما جميعا القارة
عضل والديش بفتح الدال وكسرها ابنا
الهون بن خزيمة

وَاَقِمْنَ الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما

تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلى الله عليه قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه

من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم خطب رسول الله زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالياء والتاء والخيرة ما يتخير للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب

فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا

قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أن رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار **فإن قلت** ماذا أراد بقوله واتق الله **قلت** أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لأن الأولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج **فإن قلت** ما الذي أخفى في نفسه **قلت** تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد إياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما أوحي إليه لكتم هذه الآية **فإن قلت** فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فإني أريد نكاحها **قلت** كأن الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله يريد من الأنبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الأمور والتجاوب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث إرادة رسول الله قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان عيني إلى عينك هل تشير إلي فأقتله فقال إن الأنبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد **فإن قلت** كيف عاتبه الله في ستره ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء إلا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس أن تنازع إلى زينب وتتبعها لم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم إلا من أوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الأمور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول الله يقرون مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو أبرز رسول الله مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب إليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداهما وأنكحها المهاجر وإذا كان الأمر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين إلى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا فبالحري أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له إلا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وإن كان مرا **فإن قلت** الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ما هي **قلت** واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل وإذ تجمع بين قولك أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة أهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا إله إلا هو ما قرأتها على أبي إلا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على أبيه إلا كذلك ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه إلا كذلك وكان أمر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله زينب ومن نفي

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما

الحرج عن المؤمنين في اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج المتبنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع
علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لأنه مفعول بكن وهو أمر فرض الله له
قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله
اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كأنه قيل
سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع
عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة
سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الأنبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه
الاعراب الجر على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون أو على أعني الذين
يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الأنبياء بأنهم لا
يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه حسيبا كافيا
للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده
من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب
التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام
الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه
حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني أنه لو كان
له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء كما يروى أنه قال في ابرهيم حين توفي
لو عاش لكان نبيا فإن قلت أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم قلت قد
أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني
أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فإن قلت أما كان أبا للحسن والحسين
قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه
إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا
إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين فتوى ولكن رسول الله بالنصب عطفا على
أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله
من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التا بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما

وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل
في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين
ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته اذكروا الله أثنوا عليه
بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا
أي في كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم
وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وعن
مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان أعني اذكروا وسبحوا موجهان إلى
البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين
أنواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه
تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره
من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر
أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم
والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادات
فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلوة في
جميع أوقاتها لفضل الصلوة على غيرها أو صلوة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق ومراعاتها
أشد لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا
عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل
في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف فإن قلت
قوله هو الذي يصلي عليكم إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى
صلوتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون
الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك
بأن يحييك لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك
وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير
ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة

تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا

وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هو حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا

يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز: اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنته

يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين

وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداد ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منه سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم تكن عند رسول الله احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال

قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك

هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي رضي الله عنه لا يصح وقد خص رسول الله بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق

ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان
تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا

من تشاء وتمسك من تشاء ولا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك
وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى
يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او
ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى
منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت
ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان
يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني
حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن
ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل
ولم يكن لاحداهن مما يريد ومما لا يريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله
وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون و
سلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض
الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا
رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن
على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان
يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم
وقرئ كلهن تاكيدا لهن في آتيتهن لا يحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز
بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب
رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان
تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة
وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة
بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت
ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية
جويرية بنت الحارث المصطلقية من في من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج
بالتحريم وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين
لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق

والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية
كان يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه
ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وعنده عائشة من غير استيذان فقال
يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال
من هذه الجميلة الى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك
عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا
يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات
رسول الله حتى احل له النساء تعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما
بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع
الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير
وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب
والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو
تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه ان يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت
ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه
قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا
هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء
خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن
الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرا غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه
لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم
كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى
ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي
ان رسول الله اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا
ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا
طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق

وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما

إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع قيل إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فأعلم الله أن ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم إيذاء رسول الله ولا نكاح أزواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء

إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

أن الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله عما يلاحظ ذلك إن تبدوا شيئا من نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإسماعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريقة التقوى وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن إن الله على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيد لا يتفاوت في علمه الأحوال قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم فإن قلت الصلاة على رسول الله واجبة أم مندوب إليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار فإن قلت فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا قلت أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رضي الله عنه

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما

فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء في ذلك تفصيلا وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبونه به رسول الله من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن

مطلب افراد غير النبي عم بالصلوة كما يفرد هو مكروه لان ذلك كان شعارا لذكر رسول الله ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض

لعل احدا قال انه عم تزوج بنت يهودي

تم كلام الفضيل

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المرأة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كذلك ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما

يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها

عُطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال
المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أينما
ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا كان المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة
استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله عمّى وقتها في التوراة وفي كل كتاب
فأمر رسول الله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بيّن لرسوله أنها قريبة
الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان
قريب السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد وقرئ تُقلَّب على البناء للمفعول وتَقَلَّب بمعنى تتقلب
ونُقلِّب أي نقلب نحن وتُقلِّب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة
تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها
عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع
على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو
اذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم
الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي
كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا
تكثيرا لأعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله
يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن
زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها
قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك
فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم
ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه وجيها ذا جاه
ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف
بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله
وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرأها وقراءة العامة أوجه
لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فإن قلت قوله
مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة
منه قلت المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا

بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول
بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما
خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسدّ قولهم في كل باب لأن
حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم
فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة
سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية
مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ
اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر
الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق
بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة وهو يريد بالأمانة الطاعة فعظم أمرها
وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد
انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة
التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات
مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يصح منه
من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل
حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة
لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها
مجاز وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها
حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو
حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا
هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل له النصرة ويسامحه
بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل أخوك الذي لا تملك الحس نفسه
وترفض عند المحفظات الكتائف أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين
ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى
أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين

قوله فمعنى فأبين متعلق بقوله وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان الخ

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

ان لا يؤديها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها **فان قلت** قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول **قلت** الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن منها واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات والارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب **فان قلت** ما الفرق بين الحمدين **قلت** اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزؤ والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ **فان قلت** هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى **قلت** نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا **فان قلت** الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليه

مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد

قلت لما انكروه جحد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له فرئ ليأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب والغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولو العلم يعني اصحاب رسول الله ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم أفترى على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن

قوله كل تبديد يشير به الى ان الممزق بمعنى المصدر

قوله بل الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه

الحق وهم غافلون عن ذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه ينبئكم فان قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيابهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وكسفا بفتح السين وسكونها وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب

ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا
آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته

عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من
حيث لا يراه الجنى المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى
عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد
من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **فان قلت** كيف استجاز سليمن
عليه السلم عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم
والكذب وعن ابى العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور
الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة
الرؤس وروى انهم عملوا له اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابى الحياض الكبار قال ع تروح على آل المحلق
جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق ع لان الماء يجبى فيها اى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات
الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع
راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب
شكرا على انه مفعول له اى اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة
يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اى شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى
اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن
يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه
فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس
من يشكر على احواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه
جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم
يصلى وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء
فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانا ادعوه ان يجعلنى من ذلك القليل فقال
عمر كل الناس اعلم من عمر قرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الارض الارضة وهى الدويبة التى يقال
لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ
بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان
اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه ينسأ بها اى يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة

والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها
شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه

والاوب اى رجّعى معه التسبيح او ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى
تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود
وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها و
قرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوّزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على
فضلا بمعنى وسخرنا له الطير **فان قلت** اى فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا
تأويب الجبال معه والطير **قلت** كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة
على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم
اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت
الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع
يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما اوتى من شدة القوة
وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان
يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين
ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض
الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله
فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال
فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد
نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله وسخرنا لسليمن الريح فيمن نصب ولسليمن الريح مسخرة
فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى
كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه
بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمن نحن نزلناه و
ما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله
القطر النحاس المذاب من القطران **فان قلت** ماذا اراد بعين القطر **قلت** اراد
بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر
باسم ما آل اليه كما قال انى ارانى اعصر خمرا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ
منهم ومن يعدل عن امرنا الذى امرناه به من طاعة سليمن وقرئ يزغ من ازاغه وعذاب السعير

فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

قلبًا وحذفًا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنسأته على مفعالة كإبقال في الميضأة ميضاة ومن سأته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب أو علم الجن كلهم علمًا بيّنًا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبينًا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في صلتها لأنه بدل وفي قراءة أبي تبينت الإنس وعن الضحاك تبانت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أنه كان من عادة سليمن أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عمّ على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الناس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئًا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلوته إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمن قد خر ميتًا ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارًا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيًا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي أن داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلم فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمن فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي أن أفريدون جاء ليصعد

لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل

كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمن ثلثًا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه قرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفًا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح **فإن قلت** ما معنى كونهما آية **قلت** لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن يجعلهما آية أي علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره **فإن قلت** كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت **قلت** لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامّها كأنها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له أتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم تكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربًا غفورًا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقًا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله إليهم ثلثة عشر نبيًا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمه عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرًا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلم وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة والأكل الثمر والخمط شجر الأراك وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله والأثل شجر يشبه

ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور

الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً ووجه من نوّن أن أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف و
أقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده
فلأن أكل الخمط في معنى البرير فكأنه قيل ذواتي برير والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن
الأثل لا أكل له وقرئ وأثلاً وشيئاً بالنصب عطفاً على جنتين وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب
من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون
وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب
العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر
وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم

وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة صح

بكفرهم قيل وهل نجازي إلا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل
يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام إنما
أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا
وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاماً فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي
لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرى التي باركنا فيها
هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها وهي ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة
متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل
في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً ولا يحتاج إلى حمل
زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم
أمروا بذلك وأذن لهم فيه فإن قلت ما معنى قوله ليالي وأياما قلت معناه سيروا فيها
إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين
لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياماً وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة
أعماركم فإنكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعّد ويا ربنا على
الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل
البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن
يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة وقرئ
ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخ

ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير

وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى
خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم يتشاجون على
ربهم ويتحازنون عليه أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقناهم تفريقاً اتخذه
الناس مثلاً مضروباً يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا قال كثير
أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ... فلم يحل بالعينين بعدك منظر
لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب
وجذام بتهامة والأزد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم قرئ صدّق بالتشديد والتخفيف ورفع
إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً ومن خفف فعلى صدق في ظنه
أو صدق يظن ظناً نحو فعلته جهدك وبنصب إبليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقاً
ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم يقول صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على
صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم
ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف
عزماً منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله الملائكة أنه
يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه إما لأهل سبا أو لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله إلا
فريقاً لأنهم قليل ولا تجد أكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء
إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد
ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل أخوان قل
لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون
الله والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون
أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضر في
السموات والأرض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما أشهدتهم خلق السموات
والأرض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال
الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فإن قلت أين مفعولا زعم قلت
أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون
أو محذوفاً فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاماً ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك
وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفاً تقديره

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير

زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله استخفافا
لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة
الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على
معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن
له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع
لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت
بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام
من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم
او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه
قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون
مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم
بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا
قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه فاذا
اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول
وقرا الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل
عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما
تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم
حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة
انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة
افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط
مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك
ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره
بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله قل الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما

قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا
ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم

ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق
مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون
عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا
يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السموات والارض
قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام
والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين
يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف
الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة
ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين
ولكن التعريض والتورية افصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل
شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه
اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين
على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال
كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في
ضلال مبين هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل
الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي
العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار فان قلت
ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في
الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك
به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله
العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو
ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها

وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض
القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
بل كنتم مجرمين

اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ
فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما
عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يركب هذا
الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني
فلا بد له من ارتكاب الخطأين قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان
او زمان وهو هاهنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم **فان قلت**
فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يوما **قلت** اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير
سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما وايد يوما من صفته كيت
وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم **فان قلت** كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم **قلت**
ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال
على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه
الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله روي ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم
يجدون صفة رسول الله في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر
فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله او ان يكون
لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه السلم
او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب
فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون هم الرؤوس والمقدمون اولي الاسم اعني نحن
حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم
عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد
اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم
الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا
فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها **قلت**
قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ
جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد لما انكر المستكبرون بقولهم
انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم
واختيارهم

١٨٢

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون

كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان
الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى
مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه
او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين
وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه **فان قلت**
ما وجه الرفع والنصب **قلت** هو مبتدأ وخبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم
سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار **فان قلت** لم قيل قال الذين استكبروا بغير
عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا **قلت** لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب
محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول
فان قلت من صاحب الضمير في واسروا **قلت** الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين
والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم
والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه
بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة
اظهروها وهو من الاضداد هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه مما مني به من قومه من التكذيب والكفر
بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين
والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل
قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر
الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم
ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على
الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه
كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع
عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه
قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة
اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون
التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ

وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا
معاجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون

الحسنى اللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى
والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى
ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من
علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول
اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف
لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان
يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها
وفي الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما
آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق
مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر
ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه خير
الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او
رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع
المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا
يشتهي هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جاره
ونحوه قوله عز وعلا أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى
منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل
ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك
لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي
والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله
ومعاداة الكفار براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك
بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت الشياطين لهم صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول
بالنون والياء الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار

وقيل عطف من حيث المعنى على قوله حيث الآخر يريد ان المراد بعبادة الشيطان طاعتهم او انهم عبدوا وصوروا او عبدوا من الجن الاصنام

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا
الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى

ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس
فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين
بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك الاشارة الاولى الى رسول الله والثانية الى القرآن والثالثة
الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا
وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر
دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة
المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا
القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها
برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس
لهم عهد بانزال الكتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه
متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون
الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية
كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا
رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء
وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها
بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع **فان قلت** ما معنى
فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما كان معنى قوله وكذب الذين
من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان
يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه ويجوز ان ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك
ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله بواحدة
بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن
مجلس رسول الله وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب
في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي
ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به اما

قوله عنده حال عن مجتمعهم ولا يجوز ان يكون متعلقا به لان اسم المكان لا يعمل

ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد
قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب

الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رأيا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلث فالغيوب

قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب

كالبيوت والغيوب كالصيود وهو الامر الذي غاب وخفي جدا والحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد «اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد» والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فيما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى جوابه محذوف بمعنى لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف

وهو عبيد بن الابرص اقفر اي خلا من اهله وهلك وذلك ان المنذر بن ماء السماء كان ملكا وكان له يوم في السنة يذبح فيه اول من يلقى فاتفق اليوم اشراف عبيد فامر بقتله فقيل امدح فقال حال الجريض دون القريض فقال انشد ما قولك اقفر من اهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب فقال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد الجريض الغصة من الجرض وهو الريق يغص به على هم وحزن ملحوب موضع وكذلك القطبيات والذنوب

وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ آمنا به بمحمد صلى الله عليه لمرور ذكره في قوله
ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه
ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون
وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد
ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش
بهمزة الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادؤر وعن ابي عمرو والتناؤش بالهمز التناول من بعد
من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت * تمنى نئيشا ان يكون اطاعني * اي اخيرا ويقذفون
معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد
وهو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه
سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر
وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول
اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في
طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف
شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء
الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما
نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان
يعذبنا قائسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة
لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز
بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم من
كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب الرجل اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار
ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان
يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك كما تقول شعر شاعر
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم * فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها عن مجاهد عن ابن عباس

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير

ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا
بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما
في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك
انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن
تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدول والمعدول عنها الا تراك تقول
مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان
اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء
اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين
ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من
الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان
يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء
من الله وعن رسول الله صلى الله عليه انه رأى جبريل صلوات الله عليه ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي
انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله
في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى
يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف
لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل
الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه في قوله يزيد
في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين
والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في
البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان
ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف استعير
الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي
من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون

والإبهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه **فإن قلت** لم أنث الضمير أولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط **قلت** هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها **فإن قلت** لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره **قلت** يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه **فإن قلت** فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس **قلت** إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس رضي الله عنه إن قاله فمقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها من بعده من بعد إمساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء **فإن قلت** ما محل يرزقكم **قلت** يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله **فإن قلت** هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل **قلت** نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الإثبات فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك نعي به

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون

على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها **فإن قلت** ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له **قلت** معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي **فإن قلت** ما معنى التنكير في رسل **قلت** معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم صلوات الله عليه وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل إلا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله قال لا فقال فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس: اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله

والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا

فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ... حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسي ... حسرات وذكرهم لي سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا

باني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا

ولا ادهب بيان للمتحسر عليه فانه لما قيل لا تذهب فلا تذهب نفسك حسرات فقال على من فقيل عليهم على ان عليهم معلوم بمحذوف يفسره هذا الظاهر بناء على ان حسرات لا تعمل فيما قبل لكونها مصدرا

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير

اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وعلا فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين يمكرون المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك
فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير

كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله
اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على
الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا
وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد
كتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين
العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته و
عطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان
وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها
تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله
من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء
مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات
الذي يكسر العطش والسائغ المري السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف
وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين
بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري
الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله ذلكم مبتدا والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة
واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله
صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة
الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل
لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم يكفرون
بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر
مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى
ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء فان قلت

يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى
وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
والى الله المصير

لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت
الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان
افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من
ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت
لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد
وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد
المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم
لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس
يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة
للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة
الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت
لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف
توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين
وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى
كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء
قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ
لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث
وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى
قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت لم ترك ذكر المدعو قلت
ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت
هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله
وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى
حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج
من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل

وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير

او المفعول اى يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله من اصحابه فكانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعنى انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمردهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكى والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب **فان قلت** كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله **قلت** لما غضب عليهم فى قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم والله عز وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤدى اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل **فان قلت** لا المقرونة بواو العطف ما هى **قلت** اذا وقعت الواو فى النفى قرنت بها لتاكيد معنى النفى **فان قلت** هل من فرق بين هذه الواوات **قلت** بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعنى انه قد علم من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى الذى قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفى عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك فى ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اى ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدى المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك فى المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من احد الضميرين يعنى محقا او محقين او صفة للمصدر اى ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفى حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر **فان قلت** كم من امة فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير **قلت** اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه **فان قلت** كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الاية بعد ذكرهما **قلت** لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل

وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور

ذكرها على ذكرها لاستيما وقد اشتملت الاية على ذكرها بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهى المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء فى جنسهم اسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبى جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هى الجبال الطوال السود **فان قلت** الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذى ابعد فى السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك **قلت** وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذى بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعنى ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهرى جدد بالضم جمع جديدة وهى الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابى ذؤيب جون السراة له جدائد اربع وروى عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اى كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفى الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبى افتنى ايها العالم فقال العالم من خشى الله وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه **فان قلت** هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول فى هذا الكلام او اخر **قلت** لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده

إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وهما معنيان مختلفان **فان قلت** ما وجه اتصال الكلام بما قبله **قلت** لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به **فان قلت** فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة **قلت** الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر إن والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور أي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده أجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلوة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر إن قوله إنه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة الكتاب القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب **فان قلت** ما معنى قوله ثم أورثنا الكتاب **قلت** فيه وجهان أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيمة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني أنه قدم إرساله في كل أمة رسولا وإنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب

ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب

المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية **فان قلت** فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك **قلت** لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استغرقها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه **فان قلت** لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق **قلت** للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقرئ جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولؤلؤا بتخفيف الهمزة الأولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع

والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا

او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت **فان قلت** ما الفرق بين النصب واللغوب **قلت** النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة فيموتوا جواب النفى ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له فى حكم النفى اى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء يجزى وقرئ نجازى ونجزى كل كفور بالنون يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كان صرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته **فان قلت** هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذى كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه **قلت** فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر وركوب المعاصى ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعنى فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ فى المتطاول اعظم وعن النبى صلى الله عليه العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءكم النذر **فان قلت** علام عطف وجاءكم النذير **قلت** على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تانيث ذو فى نحو قول ابى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغنى عنى ذا انائك اجمعا المعنى ما فى بطنها من الحبل وما فى انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهى معها وذو موضوع لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه فى ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذى ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله اى جعلكم امة خلفت

قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا

من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغى ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان من قبلكم ارونى بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبرونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة ارونى اى جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة فى خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفى والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الآية بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله كذبوه وفى احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازى لانه هو السبب فى ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا فى الارض او حال يعنى مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا **فان قلت** ما وجه قوله ومكر السيئ **قلت** اصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ اى يحيق الله عليه ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرات فى التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك فى كتاب الله تعالى فقرا الآية وفى امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق

قال ابو على الفارسى هو على اجراء الوصل مجرى الوقف

اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
بسم الله الرحمن الرحيم يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون

وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الامم قبلهم وجعل
استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها
اي لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم
في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه
ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد
بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد
الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن انس رضي الله عنه ان الضب ليموت هزلا في
جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده بصيرا
وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي
باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ ياسين بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين
وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه
يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على
السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق
بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين
فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم
قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته و
انما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن
الرسل الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط
مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على
اعني وبالجر على البدل من القران قوما ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم على الوصف ونحوه قوله
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر اباؤهم على اثبات
الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول
الثاني لتنذر قوما ما انذره اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق
بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم
انذارهم هو سبب غفلتهم

لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون

وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل
فان قلت فكيف يكونون منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الاخر قلت لا مناقضة لان
الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم
فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد آباؤهم
الادنون دون الاباعد القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول و
ثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم
بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون
رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم
متعامون عن النظر في آيات الله فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال
واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن
حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا
والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان
الابل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن
جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا
على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة
قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب
من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل
اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل
الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد
المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم
فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم
فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى
محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده
حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره
فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تنصح

الباء في بان جعلهم كالباء في قولك كتبت بالقلم وضربت بالسوط اي جعل تصميمهم

وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون

هذه التقفية لو كان الإنذار منتفيا **قلت** هو كذلك ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن نخرجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس أحبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه قال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير ورقي حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا

قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى

فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل صيحة فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون **فإن قلت** لم ترك ذكر المفعول به **قلت** لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأنما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه إنما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن إلا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل **فإن قلت** لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمرسلون آخرا **قلت** لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال المدعي والله إني لصادق فيما أدعي ولم يحضر البينة كان قبيحا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا أو بشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم أي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وإن حرف الشرط وآإن ذكرتم بألف بينهما بمعنى أتتطيرون إن ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وإذا شئتم المكان بذكركم كان بحلولهم فيه أشأم بل أنتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل الله وتذكيرهم أو بل أنتم

قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم و أظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أوأنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله ومالي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى إلى قوله وإليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال إني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدأكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم إني آمنت بربكم فاسمعون أي اسمعوا إيماني تشهدوا لي به وقرئ إن يردن الرحمن بضر بمعنى إن يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها **فإن قلت** كيف مخرج هذا القول في علم البيان **قلت** مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا في اكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب

وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون

كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه وقرئ المكرمين **فإن قلت** ما في قوله بما غفر لي ربي أي المائات هي **قلت** المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق **فإن قلت** وما معنى قوله وما كنا منزلين **قلت** معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا **فإن قلت** فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين **قلت** إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار وأولاه أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يؤته أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك إن كانت الصيحة إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة أي ما وقعت إلا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيحة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وبيت ذي الرمة

وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وقرأ ابن مسعود إلا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم

ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون وإن كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون

المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز
أن يكون من الله عز وجل على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط إنكاره
له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لأن المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على
الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث إنها موجهة إليهم ويا حسره على العباد على إجراء الوصل مجرى
الوقف ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام
أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا أن زيدا لمنطلق
وإن لم يعمل في لفظه وأنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة
إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وعن الحسن كسر إن على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود
ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس
أنه قيل له إن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه
قرئ لما بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد
بمعنى إلا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من
المضاف إليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة
وقيل محضرون معذبون فإن قلت كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لأن
كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى
مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعا القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان وأحييناها
استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما
الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالأفعال ونحوه ولقد
أمر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به
معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد حضر
الهلاك ونزل البلاء قرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى
وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما
عملته أيديهم من الغرس والسقي والإبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعني أن
الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا
فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل وتترك الأعناب

سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم

غير مرجوع إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات
كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال أردت كأن ذاك ولك
أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأول وما عملت
من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير
الأزواج الأجناس والأصناف ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها
بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم
به لأنه لا حاجة لهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم
بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده وأعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه
سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه
عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا لمستقر
لها لحد لها موقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو
لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع
فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب
وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت
الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري إلى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها
أي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب
الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته
على كل مقدور والمحيط علما بكل معلوم قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل بعده ومن آياته
القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس
القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها
لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة
وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة

لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين

الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى كلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله ومن مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ فلا مغيث او فلا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال

ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

وقرأ الحسن نغرقهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله

واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون

وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولم يشأ اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين وقرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية وقرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم

الحدث والفنال ومنه صدقني سن بكره من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف
طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباكم به الرسل الا انه جي به على طريقة
سيئت بها قلوبهم وتبعث اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به و
كانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو
البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين
الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في
الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة
التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي
اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي
من مشاق التكليف ومضائق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة
ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في
التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل
عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وبفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ
ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم
رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر ويحتمل ان يكون مبتدأ
وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون وعلى ان ازواجهم يشاركونهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء
على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرا ابن مسعود متكئين
يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد
فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم
ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو
به اهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان
الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه
قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم
ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم

وامتازوا اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون

والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما
نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون
ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل
خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض العهد
الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع
وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز
في حروف مضارعه الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب
يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية
الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد انيابها
العلى لا فقر مني انني لفقير اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم
معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط
يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي
عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال
الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل
لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض
عن نصائحه قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة
وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الاجيال
يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ
يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا
من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي
والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يامر
الاعضاء بالكلام والشهادة الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من
ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل

ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين

الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى على انه لو شاء لمحا أعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا او يعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك ديدنهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ ننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالتاء والياء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله: انا النبي لا كذب: انا ابن عبد المطلب: وقوله: هل انت الا اصبع دميت:

أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا [يشكرون واتخذوا] من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون

الطيبي:

وفي سبيل الله ما لقيت: قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله: اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا: اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل: يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير: وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير:

ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب اتخذوا الآلهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لهم معدون يحضرون ويخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون

اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم

وانا مجازيهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك ما يوجب شيئا الا ترى الى قوله التحت ان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كانك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادى كفر الانسان وافراطه فى جحود النعم وعقوق الايادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى القحة حيث قرره بان عنصره الذى خلقه منه هو اخس شىء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهى المكابرة التى لا مطمح وراءها وروى ان جماعة من كفار قريش منهم ابى بن خلف الجمحى وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم ابى الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح كما قال او من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فان قلت لم سمى قوله من يحيى العظام وهى رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهى انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيى العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا

قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون

عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه فى انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا للمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابى حنيفة فهى عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شىء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى اقدر وفى معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعى حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اى فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شىء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فان قلت فما وجه القراءتين فى فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شىء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شىء هو مالك كل شىء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شىء ومملكة كل شىء وملك كل شىء

سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا

والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل يا سين وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يا سين من قرأ يا سين يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يا سين نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يا سين وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها

سورة والصافات مكية وهي الا وهي سورة يا سين مائة واحدى وثمانون وقيل واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون والمجنحة في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك

ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب

على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمشارق للشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء او غير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها الضمير في لا يسمعون لكل شيطان مارد لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينتصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها

قوله بالتخفيف يعني بتخفيف الميم وسكون السين وقوله والتشديد يعني بتشديد السين والميم

سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا

والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل ياسين وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن ياسين من قرأ ياسين يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة ياسين نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ ياسين وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة ياسين

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون وقيل واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف الملئكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قيل الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملئكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما

ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب

على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها ... زيناها بالكواكب

الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب

نعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طردا او على انه قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتّبعه اهم وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب

بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم

مثله حيث قالوا أإذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والثاقب الشديد الاضاءة بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ أو آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله والرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان تختلط بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون ويحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه اي نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباؤهم عن النبي صلى الله عليه وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنى مع اهل الزنى واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم

وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون
انا كذلك نفعل بالمجرمين

فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف
ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم
غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا
يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون
بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الاعسر
معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان
رسول الله صلى الله عليه يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب
السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه
فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان
من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه
من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على
نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير
وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال
حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها
يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا
على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين
بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من
تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا
لذائقون يعني وعيد الله باننا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى
الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه
قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف
احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم
فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا
اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب
كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام

انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب
الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون

ارتكبه استوجبه انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين
يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين
وقرئ على الاصل لذائقون العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد
الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت
لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة
مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص
خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي
يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان يتوق اليه نفوس ذوي
الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان ينفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم التقابل اتم للسرور وآنس
وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال
وكاس شربت على لذة وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين
من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به
الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة اما
ان يوصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه
فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب
وفي امثالهم الغضب غول الحلم ينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال
للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه كله ونزحت الركية حتى
نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب
اذا ذهب عقله او شرابه قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا
ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتها دخلا في
القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها
فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم

وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين

او غير ذلك ولا هم منها ينزفون وهو اعظم مفاسدها فافرده وافرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن
أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون شبههن
ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فان قلت
علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة
الشرب قال ٥ وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام ٥ فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم
وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين
مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال
واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين او من
المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون
يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لأريكم
ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول
لأهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فأطلع وفاطلع بالتشديد
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع فأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم
الاطلاع فاعترضوا فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه
اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا
للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله ٥ هم الآمرون
الخير والفاعلونه ٥ او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف
لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر
كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان
كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ونعمة
ربي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء او انعام الله بالثواب وكونه
من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك الذي عطف عليه الفاء محذوف
معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم
وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت

افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم

كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا
بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم
جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم
وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى
ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع
في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل
شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا
يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام
للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لأرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول
ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن
المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم
ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم
قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم
واغصانها ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة
لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان
مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه
شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا
في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا
تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الأستن خشنا
منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين الا قصدا
الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون
بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم
العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال
في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت

التشبيهين التشبيه التخييلي وهو قوله
الشيطان مكروه مستقبح الى آخره
او ما ذكره من ان الشيطان
حية عرفاء الخ

انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام
على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم

في الأول وجهان أحدهما أنهم يملأون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون
الا بعد ملي تعذبهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني أنه ذكر الطعام
بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام
ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي
الدركات التي أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يتملأوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم
ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقذهم الى الجحيم علل استحقاقهم للوقوع
في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع
الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش
منذرين أنبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا الا عباد الله الذين
آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال المنذرين في الأمم الخالية
وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين أيس من قومه واللام الداخلة على نعم
جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة
والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة وأوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام
منهم بأبلغ ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي أنه مات كل من كان معه
في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية
نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو
السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الأمم هذه الكلمة وهي
سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها
فان قلت فما معنى قوله في العالمين **قلت** معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو
أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم
علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر
بأنه كان محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم
ويرغبك في تحصيله والازدياد منه من شيعته ممن شايعه على أصول الدين وان اختلفت شرائعهما أو
شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء
وعن ابن عباس من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان

اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين
فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون

بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة **فان قلت** بم تعلق الظرف **قلت** بما في الشيعة
من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر
بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض
فيتناولها كلها **فان قلت** ما معنى المجيء بقلبه ربه **قلت** معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك
منه فضرب المجيء مثلا لذلك أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول
على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على افك وباطل
في شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به يعني أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله
فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته الى
عبادة الأصنام والمعنى أنه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أي شيء هو
من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره
في النجوم في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب
أنظر اليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة
في علم النجوم على أنه يسقم فقال اني سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام
عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس
معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل **فان قلت** كيف جاز له أن يكذب **قلت** قد جوزه بعض الناس
في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب
حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام وقد نوى به أن
من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي
أصحيح من الموت في عنقه وقيل أراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية
من روغة الثعلب الى آلهتهم الى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله أين شركائي ألا تأكلون ما لكم لا
تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم
ضربا لأن راغ عليهم في معنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ
صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما
وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام

قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال إني ذاهب
إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين

ويزفون من أزف إذا دخل في الزفيف أو من أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون
على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن
بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه **فإن قلت** كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع
خلقه وعملهم عليها جميعا **قلت** هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال
والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها
الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي الشكل الذي يريدونه
فإن قلت فما أنكرت أن يكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة
قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو
عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد
المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه
ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن
قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن
أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن **فإن قلت**
اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم **قلت** بل الإلزامان في
عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير
محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون
حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي
الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل
نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه
أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم
وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة
إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي سيهدين سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني
ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى
كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه
أمره إلى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى صلى الله عليه عسى ربي أن يهديني سواء السبيل

فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله
من الصابرين

٢٠٥

هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ
في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له إسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنه حين هنأه بولده علي أبي الأملاك شكرت الواهب
وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب وقد انطوت
البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه
حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله
الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله إن إبراهيم
لأواه حليم إن إبراهيم لحليم أواه منيب لأن الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في
أشغاله وحوائجه **فإن قلت** معه بم يتعلق **قلت** لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح
تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون
بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في
اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه
لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه و
تقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جرأه على احتمال تلك البلية العظيمة
والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة
فلهذا قال إني أرى في المنام أني أذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة
رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك
بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان
فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة فلما أمسى
~~رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة~~ ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم
يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له
أوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري من الرأي ماذا تبصر من
رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي افعل ما تؤمر أي ما تؤمر به فحذف
الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول
وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به **فإن قلت** لم شاوره في أمر هو حتم من الله **قلت** لم يشاوره

فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين

ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المفاجأة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك **فان قلت** لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة **قلت** كما ارى يوسف عليه السلم سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لا يكذبون لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احديهما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **فان قلت** اين جواب لما **قلت** هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلم استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده

سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت** قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لبني اسرائيل يقولون ذلك قال ان ابرهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني وان اسحق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك اجود قال يا رب وانا ابن اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم احبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله عز وجل لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصيمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله

وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين

انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحى الى ابرهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهر الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي ابرهيم عليه السلم والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم بمنع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه فان قلت لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف تجعل نبيا

وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين

حالا مقدرة والحال صفة للفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من حق زان يكون التوراة عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرا ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله

السادن خادم الكعبة وبيت الاصنام والجمع السدنة صحاح

الله ربكم ورب آبائكم الاولين فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين

الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون **فان قلت** فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخوانه **قلت** لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل

وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون

وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدبا وفائدة الدبا ان الذبان لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر **فان قلت** ما معنى وانبتنا عليه شجرة **قلت** انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرآى الناظر اي اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون **فان قلت** لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة **قلت** ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق

قوله او يزيدون وجه عطفه على ما ذكر

الضيزى الجائر يقال ضازه يضيزه اي جاره

مثل يضرب للمكاشف بالعداوة

اشارة الى النوع الاول من انواع كفرهم

اشارة الى النوع الثاني من انواع كفرهم

ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين

المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي **فإن قلت** اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات **قلت** جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والأعمش وهذه القراءة وإن كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وإنهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر أم لكم سلطان أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم في ذلك كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد وما الأساليب التي وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا أن تجعله معتقدا وتتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة نسبا وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة **فإن قلت** لم سمى الملائكة جنة **قلت** قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوي بيني وبين عبدي وإذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في إنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان وعن الحسن أشركوا الجن في طاعة الله ويجوز إذا فسرت الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون أن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم إلا عباد

فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين

الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به والضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها **فإن قلت** كيف يفتنونهم على الله **قلت** يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه ويجوز أن يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وإن كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال إلا من هو ضال مثلكم أو يكون في أسلوب قوله فإنك والكتاب إلى علي كدابغة وقد حلم الأديم وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف **فإن قلت** كيف استقام الجمع مع قوله من هو **قلت** من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجري الإعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت بإجراء الإعراب على العين وما منا أحد إلا له مقام معلوم فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من أرمى البشر مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه لنحن الصافون نصف أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلواتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

على جملة قوله إلا عباد الله المخلصين استثناء

فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم
حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين
وابصر فسوف يبصرون

انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ونجعله واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء
بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن
الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل
هو من قول رسول الله صلى الله عليه يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه
عما يصف به من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين
يعني الذين يصفون الولد الى الله تعالى
الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر
الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا
فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره الكلمة قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم
كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا
وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد
وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله والخلفاء
الراشدين مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها
ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من البلاء
والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود
على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة
يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم
وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد
والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة
لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون
للوعيد لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه
بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم
بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا

الحجاج المحاجة والملاحم جمع الملحمة وهو موضع القتال

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم
ص والقرآن ذي الذكر

وان تقع في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي يحس بها ويروقك موردها على
نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى
الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام
في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله يوم الفتح بمكة
وعن انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد
والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة
زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف
المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة
لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد
انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر
ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة
من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب
العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا
عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى
من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

هذا الحديث يؤيد البيع الثاني بل يدل على وجه ثالث وهو نزوله بخيبر

عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء
الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم
والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى السورة وقد
صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة
والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض
القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين

بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص

كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ولرسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء

فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي

وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد

فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل

منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه ماذا تسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال الملأ اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا عنه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا على

ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب

في عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ انطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهي مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على ان يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجه الاول والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في انفسهم اما وانا وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال

والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود

في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب

له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها **فان قلت** كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه **قلت** كأنه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اوتي ما اوتي من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد واياد كل شيء ما يتقوى به اواب تواب رجاع الى مرضاة الله **فان قلت** ما دلك على ان الايد القوة في الدين **قلت** قوله تعالى انه اواب لانه

آد الرجل يئيد ايدا اشتد وقوي والايد القوة قال في الصحاح الاياد تراب يجعل حول الحوض او الخباء يتقوى به او يمنع ماء المطر قال ذو الرمة يصف الظليم حولها من تربه باياد نقول طردناه عن بيضه

انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه

تعليل لذى الايد والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو
وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى دخل علينا رسول الله صلى
الله عليه فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانى هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن
ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى
والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلم وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية وعنه
لم يزل فى نفسى من صلوة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها فى هذه الاية يسبحن بالعشى والاشراق وكان لا يصلى
صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس انى لاجد فى كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس
فقال انا اوجدك ذلك فى كتاب الله تعالى يعنى هذه الاية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا فى الشرق
ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير واراد وقت صلاة الفجر
لانتهائه بالشروق ويسبحن فى معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت
نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شئ وحالا
بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار فى يفاع تحرق
ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة فى مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح
من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شئ جئ به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن
على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شئ والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل
على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت
فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اى لاجل
تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع
رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب
مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اى كل من داود والجبال
والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا
على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف
فى قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه فى المنام
ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحى فى اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذنى بهذا الذنب
ولكن بانى قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه الحكمة

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب

الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل
بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفى كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل فى نقيضه
فصل اى مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب
به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف فى كلمة
الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله
بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت
كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين
الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير
الملك والمشورات وعن على بن ابى طالب هو قوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من
الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم فى الامر الذى
له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله
اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء
فى صفة كلام رسول الله صلى الله عليه فصل لا نزر ولا هذر كان اهل زمان داود عليه السلم يسأل
بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة فى المواساة بذلك قد اعتادوها
وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل
يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهى ام سليمن
فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان
تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك
والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على
خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب
فقال يا رب ان آبائى قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلى
ابرهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء
فاوحى اليه انك لمبتلى فى يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلى
ويقرأ الزبور فجاءه الشيطن فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد
اليها فطارت فوقعت فى كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة اوريا

وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على
التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله على يده
وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج
امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام
الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن
عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما
ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على
نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل
عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب
فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من
قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا
فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة
بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب
الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح
ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان
ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا
بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من
الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على
الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه
خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت
معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان
خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض
المراد بقوله بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان

التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم
جميعا خصما في قوله نبا الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم
صحت التسمية به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف
فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبا لان
النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا
فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى
الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط
المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه
ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه
المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة
اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم
ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس
حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ
ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة
الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه اخي بدل من هذا او
خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى
وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح
التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه
ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني
خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة
وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست
فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل
ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به

قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه

والستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة
رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده
على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل قوله وان كثيرا من
الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما يستقيم طريقة
التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير
ان اجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله * يا شاة ما قنص لمن حلت له *
فرمت غفلة عينه عن شاته * وشبهها بالنعجة من قال * كنعاج الملا تعسفن رملا * لولا ان الخلطاء
ياباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا ولقصتهم فان قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان
يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسألة وفرض
لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة
وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا
لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا
ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال امرأة انثى للحسناء الجميلة و
المعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وابلغ في تكسرها وتثنيها الا ترى الى
وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله * فتور القيام قطيع الكلام * وقوله * تمشي رويدا تكاد تنغرف *
لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف
الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى
نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر
قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم
ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا
وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت
كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد
خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رضي الله عنه يعتبرها فاذا كان الرجلان
خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما
وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحول مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كان لهما

وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق

اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت
لواحد وعند ابي حنيفة رحمه الله لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه فان قلت هذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما
شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رضي الله عنه وعند ابي
حنيفة رحمه الله لا شيء عليه فان قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة
الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء
الذي عليه اكثرهم مع التأسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء
اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها *
وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من
قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس * وحديث ما على قصره *
وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن
انما فتناه اي ابتليناه لا محالة بامرأة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه
من قوله * لئن فتنتني لهي بالامس افتنت * وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن
الساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن
لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة
فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب ورجع الى الله
بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا
بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه
راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا
على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش
خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا
خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسراري والثاني معسرا ما له
الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين
وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته خليفة في الارض اي استخلفناك
على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه

ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب

او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت
على ما كان عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضائك
وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن
دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها بما نسوا يوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم
يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض
خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان
الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا
هذه الآية باطلا اي خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماوات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا
هنيئا موضع المصدر وهو موصوف اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا
نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف
واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون
اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا **فان قلت** اذا كانوا مقرين بان الله خالق السماوات
والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله فيم جعلوا ظانين انه خلقها
للعبث لا للحكمة **قلت** لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها
عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم
من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر
بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام
فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد
واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على
الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة
درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم
لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت
منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق

[illegible]
على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان
له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي
الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره **فان قلت** ما معنى
احببت حب الخير عن ذكر ربي **قلت** احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن
ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان
ان احببت بمعنى لزمت من قوله: مثل بعير السوء اذ احبا ... وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك
خيرا وقوله انه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير
لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد
الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير
وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل
فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخبأة بحجابهما والذي
دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جرى ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي
حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب
الشمس من ورائه فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها يقول مسح علاوته
اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها

فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب

هنا موضع المصدر او موصوفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن لنحق الحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتامل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرا هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرات القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق

واضاعة حدوده والله ما هو بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن الذي في قوله: الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل منه المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله: مثل بعير السوء اذ احبا. وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله انه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخباة بحجابها والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها يقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كشف عراقيبها وضرب اعناقها

اراد بالكشف القطع ومنه الكشف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل
مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها. **فان قلت** بم اتصل قوله ردوها على. **قلت** بمحذوف تقديره
قال ردوها على فاضمر واضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمن لانه موضع مقتض للسؤال
اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وقرئ بالسؤق
بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤق فقد جعل
الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء
بالواحد عن الجمع لامن الالباس قيل فتن سليمن بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة
وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك
فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل فيه على ربه
فاستغفر ربه وتاب اليه وروى عن النبي صلى الله عليه قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق
رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمن
وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمن فالله اعلم
بصحته حكوا ان سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى
عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب
بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها
يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمن بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده
الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل
للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان
صاحب البحر وهو الذي دل سليمن على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن
فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمن وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير
سليمن عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور
على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك
فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء

ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء حيث اصاب

بني اسرائيل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمن فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل
بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمن
فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد
عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك
فيها فقال له اصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون
قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم
على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز
ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان
ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشيطان
منابه نبوا ظاهرا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم
امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي دوني **فان قلت** اما يشبه الحسد
والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمن عليه السلم ناشئا في بيت
الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة
خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة
حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله
احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال
علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت
الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه
عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد
بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك
ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة
الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم فترك
الريح والرياح رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب قصد

والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب
واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب

وحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه
ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك
خيرا والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل
وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول
من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب
والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به
العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك
وقول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال
ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه كوعده
واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد
يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك
التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا
فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك
في ذلك ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه
ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما
فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب
وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز
ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد
نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته
اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب
في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان
يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله
في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة
من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر

٢١٨

اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار

في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية لما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض
وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به
وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب
من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها
ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير
اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما
يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك
وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه
باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه
انه اتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان
يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب
وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين
وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم
فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر
برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت
كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا
ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان
اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب
الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء
على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم
كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره
الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني
قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا
ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا

انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب

جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابرهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكرهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم

فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب

متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا

بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال [...]ن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ [...]ت سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد [...] وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم [...] كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى [...] لمهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش [...]م اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه [...]زلة فاياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه [...] النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها [...] وقطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب [...] عن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس [...] فس واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر [...]يدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وآخر اي وعذاب آخر او ومذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه

بين الصفة والموصوف ظاهرة واما على قراءة من قرأ بالافراد فتوجيهه غير ظاهر اذ المطابقة منتفية وتوجيهه على احد الوجهين اللذين ذكرهما المصنف

فوج مقول له لا مرحبا ومرحبا منصوب على المصدر

انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب

جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله
ابيك ابرهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم
وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كا...
عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي ال...
في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يست...
جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصا...
في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل...
وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء وال...
اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخ...
لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكد...
على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما هم...
دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكير...
شان الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار ال...
فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة ...
من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم
المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت
او ميت واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع
فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر اي هذا نوع
من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد
ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ
في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر
هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال
هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى
من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن انتصابها على انها عطف بيان
لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب

متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا فليذوقوه حميم
وغساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا

بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال
وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ
محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم كان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد
وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم
قرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى
كل نفس ما عملت هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه
ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه
والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها
وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب
ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس
اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر
ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وآخر
اي وعذاب آخر او ومذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة
وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج
مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد
بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم
تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا
في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى
كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا
مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا
بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب
او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه

فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك لحق تخاصم أهل النار

قيل أنتم قدمتموه لنا لجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه **فإن قلت** فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له **قلت** كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الأتباع أيضا فزده عذابا ضعفا أي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الأشرار من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا أتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله أم زاغت عنهم الأبصار له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخريا إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا يفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر إن ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم أهل النار وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس **فإن قلت** لم سمى ذلك تخاصما **قلت** شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل

قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون

أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن يعتقدوا أن لا إله إلا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ إليه أو قل لهم ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن تخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه قل هو نبأ عظيم أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير أي لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلي إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة **فإن قلت** بم يتعلق إذ يختصمون **قلت** بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم وإذ قال ربك بدل من إذ يختصمون **فإن قلت** ما المراد بالملإ الأعلى **قلت** أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم **فإن قلت** ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله وبينهم لأن الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم وإما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملإ الأعلى **قلت** كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق **فإن قلت** كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل **قلت** وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فإذا سويته فإذا أتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات **فإن قلت** كيف ساغ السجود لغير الله **قلت** الذي

الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه
خلقتنى من نار وخلقته من طين

لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا
ان يعرف الله فيه مفسدة فينهى عنه **فان قلت** كيف استثنى ابليس من الملئكة وهو من الجن **قلت**
قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه فى قوله فسجد الملئكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء
متصلا وكان من الكافرين اراد وجود كفره ذلك وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق فى جنس الاوقات
الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين فى الازمنة الماضية فى علم الله
فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدى **قلت** قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله
بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت
يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته
وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدى **فان قلت** فما معنى
قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى **قلت** الوجه الذى استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف
منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم
مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله
عليه فى المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم
الملئكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم
ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود
له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بان يقتدى بهم ويقتفى
اثرهم ويعلم انهم فى السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل فى عبادته منهم فى السجود له لما فيه من طرح
الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى ما منعك من السجود لشئ هو
كما تقول مخلوق خلقته بيدى لا شك فى كونه مخلوقا امتثالا لامرى واعظاما لخطابى كما فعلت الملئكة
فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التى تشبث بها فى تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة
وقد امرك الله به يعنى كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره
ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى على
سقوطه يريد هلا اعتبرت امرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه وفيه انى خلقته بيدى
فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملئكة بان تسجد له لداعى حكمة دعانى اليه من انعام عليه بالتكرمة
السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفنى عن الامر بالسجود له وقيل معنى

قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم

لما خلقت بيدى لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخى وبيدى على التوحيد من العالين
ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت
من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او
بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى
لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف
عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والايضاح منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التى
انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم
بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد
رمى بالحجارة على اثره والرجم الرمى بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب **فان قلت** قوله
لعنتى الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع **قلت** كيف تنقطع وقد قال الله تعالى
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن
له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت **فان قلت** ما الوقت المعلوم الذى اضيف اليه اليوم
قلت الوقت الذى يقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى
المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر فبعزتك اقسام بعزة الله وهى سلطانه
وقهره قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله فى ان عليك الله ان تفعل وجوابه
لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق
اما اسمه عز وعلا الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به
ومرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اى فالحق قسمى لاملان والحق اقول اى
اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن
والحق اقول اى ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا
الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب
الثانى وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم
فان قلت اجمعين تاكيد لماذا **قلت** لا يخلو ان يؤكد به الضمير فى منهم او الكاف فى منك
مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها
من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد

قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون

الانبياء وغيرهم عليه من اجر الضمير للقران او الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون
ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة
واتقول القران ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه
اي ما يأتيكم عند الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق
وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود
عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف
او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب
من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او
حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران وعلى الثاني انه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين
من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام
كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان
يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد
وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص
الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على
الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص
شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة
وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين
ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في
موضع الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر
من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر
فما موضع القول المضمر قلت يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل

ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار

كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا
على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر
والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى
الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها
حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم
يرجون شفاعتهم وتقربهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا
وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير
في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين المراد بمنع
الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم
قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان
يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي
من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به
وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاد جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام
والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا
انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم
كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن ان يكون
له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون
له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت ان يكون له صاحبة لم يتأت
ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء آلهتهم
فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر
وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد
لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه اوجه منها
ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما ألبسه ولف عليه كما يلف
اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب ع تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء
بابواب التفاريج ع ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم

عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حوا من قصيراه الا ان احدهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا وانزل لكم وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السما حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما وقد انزل الما فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانتم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه لكم بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها خوله اعطاه قال ابو النجم

اعطى فلم يبخل ولم يبخل … كوم الذرى من خول المخول

وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه كان

ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة

يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل بفتح اليا وضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ماويهم جهنم قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلم افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعا المصلي قائما وساجدا وقائما حال وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة واراد بالذين يعلمون العاملين من علما الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدرا عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلما ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجا قوله فتلا هذه الآية وقرئ انما يذكر بالادغام في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان يقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر

انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين

واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا فى بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن اخلص كان سابقا **فان قلت** كيف عطف امرت على امرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شئ والامر به ليحرز القائم به قصب السبق فى الدين شئ واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه تنزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها فى اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين فى اسطاع عوضا من ترك الاصل الذى هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام فى قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفى معناه اوجه ان اكون اول من اسلم فى زمانى ومن قومى لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بى فى قولى وفعلى جميعا ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى ان الله امرنى ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلى العقل والوحى فان عصيت ربى بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه **فان قلت** ما معنى التكرير فى قوله قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى **قلت** ليس بتكرير لان الاول الاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص

٢٣٣

قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

والثانى اخبار بانه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره فى الاول فالكلام اولا واقع فى الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها فى هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل فى الجنة يعنى وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ومن تحتهم اطباق من النار هى ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذى يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادى الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ها هنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل الاشتمال لهم البشرى هى البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة [...]سنة رسله وتتلقاهم الملئكة عند حضور الموت مبشرين [...]ين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم [...]عون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا [...]تناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير [...]ى الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران [...]المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر [...]بينهما على الشك واقواها عند السبر وابينها دليلا وامارة [...]لا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون [...]معون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو

انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين

واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه نزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحي وان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله

قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ومن تحتهم اطباق من النار هي ظلل لاخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملئكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير واراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا وامارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو

شيئا من النوافل فقدموا الواجب وهو قضاء الصلوة

أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله
لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما
إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه

والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساوٍ فيحدث
بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقف من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون ويرفعه
على الابتداء وخبره أولئك أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل
عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب
تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد
معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر
وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاء حذف
فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم
النار حتى نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله
أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد
غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق
العذاب بتحصيل الإيمان فيه غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فإن قلت ما معنى قوله
مبنية قلت معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها تجري من
تحتها الأنهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد
لأن قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك أنزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء
ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض عيونا ومسالك ومجاري
كالعروق في الأجساد مختلفا ألوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه
من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته
ويذهب حطاما فتاتا ودرينا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك
كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله إنما مثل الحيوة الدنيا واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا أفمن عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح
صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه
وقرأ رسول الله صلى الله عليه هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال إذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد

والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من أجل ذكره أي
إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وقرئ عن
ذكر الله فإن قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت
من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره
سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش عن ابن مسعود
رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله
مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لإسناده
إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر
الأحاديث وكتابا بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه
بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق
وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت ويجوز
أن يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى
مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه
وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز
أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى
كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فإن قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت
إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن
أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك
الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها
فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون
منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فإن قلت
ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر
عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه أن يكرر
عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر
الجلد إذا انقبض انقباضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف

وسعديك مع لبيك خاصة بمعنى مساعدة بعد مساعدة والحنان الرحمة قال الله تعالى وحنانا

افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون

رابع وهو ان لا يكون رباعيا وداله على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته لان بالى قلت ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت او اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه ولطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اولئك ورآهم خاشعين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره امن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون

ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد

وقد اتاك يقين غير ذي عوج ... من الاله وقول غير مكذوب

واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت

فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون

فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته يقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين إشارة إليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به فإن قلت ما معنى إضافة الأسوإ

أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون

والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما **قلت** أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوإ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسواء الذي عملوا جمع سوء أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله وبكاف عباده وهم الأنبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ويحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم بالذين من دونه أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف **فإن قلت** لم فرض المسألة في نفسه دونهم **قلت** لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزلت قل حسبي الله **فإن قلت** لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه **قلت** أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها وبعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعير عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان **فان قلت** حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف **قلت** للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حالة لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنه في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون

ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا له وهاهنا الشرطان مفقودان جميعا اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها **فان قلت** بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون **قلت** بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم تذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه **فان قلت** ما العامل في اذا ذكر **قلت** العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وعيد لهم كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفين الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم

وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين

احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا واياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر

او لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين

بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين فقيل لهم او لم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين

وهو يريد اخوانا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري • اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع • وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله • ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج • ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تغيير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها

وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون

ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفي قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه

قدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم
حال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية
بال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسيره
كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي
بالي ولا الحزن عنهم بمفازتهم من العذاب اي بمنجاة منه لان
الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال
سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح
على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب
ل فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب
مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان حافظ الخزائن
ه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح

ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربي المبين والفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمن رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمن ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض ويكون مجازا برتبتين لان المفازة اطلقت على المنجاة

او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين

وهو يريد اخوانا من الكرام يفصرونه لا كويما واحدا او نظيره رب بلد قطعت ورب بطل فارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتاي على الاصل و يا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الا ... الا ترى الى قوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ... لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك ا... هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض ... على معنى في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذ... وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة ... في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت ... ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب ع... في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه و ... وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها

وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون

ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفي قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال اذا كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان اذا كان من رؤية القلب وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال له مقاليد السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربي المبين والفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمن رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمن ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض

ويكون مجازا بمرتبتين لان المفازة اطلقت على المنجاة ...

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون
أفغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون
استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني
وتقولون لي أعبد والأصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ألا تراك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير
الله تأمرونني أن أعبده وأفغير الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد
بالنصب وقرئ تأمرونني على الأصل وتأمروني على إدغام النون أو حذفها وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على
البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك **فإن قلت** الموحى إليهم جماعة فكيف قال
لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول
كسانا حلة أي كل واحد منا **فإن قلت** ما الفرق بين اللامين **قلت** الأولى موطئة للقسم المحذوف
والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط **فإن قلت** كيف صح هذا
الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم **قلت** هو على سبيل الفرض والمحالات يصح
فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على
سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه **فإن قلت** ما معنى قوله
ولتكونن من الخاسرين **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة
من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا
يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما
أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف
الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم
وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد لما كان العظيم من الأشياء
إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق قدره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله
حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة
التخييل فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام
إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة
ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما روي أن جبريل صلوات الله عليه جاء إلى رسول الله

فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيمة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع
والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله تعجبا مما قال
ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه
علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة
والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان ولا تكتنهها
الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة
من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل
المشتبهات من كلام الله وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت
فيها الأقدام قديما وما أتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم
الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل
عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث
الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم
في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله
جميعا وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده
بالجميع أتبع الجمع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن
عن الأراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار
المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه
نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن
قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته
أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فذة من جرعاته
وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة **فإن قلت**
ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب **قلت** جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم مطويات من الطي
الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته
ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها
ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين

بكلام الله المعجز بفصاحته وما عني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد دون العلماء
قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات
عطفا على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى ما ابعد من
هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء **فان قلت** اخرى ما محلها من الاعراب **قلت**
يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ
نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها
ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت
اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانهم
لتحيرهم قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك
والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات
والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل ويبسطه من القسط
في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق
العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق
بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي
يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء
والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا
بقسطك كما تقول اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح
الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت
به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى
باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون
في سبيل الله الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر
وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم
وقرئ نذر منكم **فان قلت** لم اضيف اليهم اليوم **قلت** ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا
ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم

قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها • وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس
وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى
المتكبرين جهنم حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف
وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق
موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب
جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن
مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها **فان قلت**
كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق **قلت** المراد بسوق اهل النار طردهم
اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل
والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار
الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين
طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب
والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها
من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة
وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي
انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود الارض عبارة عن
المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها
واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه
في انفاقه طولا وعرضا **فان قلت** ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره **قلت**
يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا
يحتاج الى جنة غيره حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين
لا متعبدين **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله بينهم **قلت** يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان
ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان
ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في
اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق **فان قلت** قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك **قلت** المقضي بينهم

لا يدخلها الا كان طاهرا عن كل المعاصي
والى هذا اشار بقوله فما ابعد احوالنا
من تلك المناسبة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة
نصوحا تعريضا

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير

إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوه وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها إنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ بإمالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل **فإن قلت** كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة تقتضي أن يكون مثله معارف **قلت** أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل إنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية

ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب

إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال **فإن قلت** ما بال الواو في قوله وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه

سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه إن جدالا في القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز من جدال وجدال **فإن قلت** من أين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث إنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا يرجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه وقوى لا يغررك الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولها وقرئ برسولهم ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ فأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما

اثر ذلك وهذا التقرير فيه معنى التعجيب انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين **فان قلت** ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون **قلت** فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شي الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله

فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل

وان يكون حالا **فان قلت** تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شي **قلت** الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شي في المعنى والاصل وسع كل شي رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شي **فان قلت** قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات بحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة **فان قلت** ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد **قلت** هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس **فان قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة **قلت** كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد

عن رسول الله صلعم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السموات والارض فجعل منها في الارض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيمة اكملها بهذه الرحمة

ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب
فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون

صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي
بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياآت وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احداهما غير معتد
بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور ويستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من
الصعقة في قوله الا من شاء الله **فان قلت** كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا **قلت**
قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي
فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج
سريع او بطيء من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه
اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم
ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله
حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله
لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كأن الحرورية اخذوا قولهم
لا حكم الا لله من هذا يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر
لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع
الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين
له الدين من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة
اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا
وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد
الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن
ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات
ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي
هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال او من كان ميتا فاحييناه لينذر الله او الملقى
عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول
وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل
يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء

لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب
لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع

من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما
جاء في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم وعن
ابن مسعود رضي لا يخفى عليه منهم شيء **فان قلت** قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم
والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه **قلت** معناه انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون
من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس
يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار حكاية لما يسأل
عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه
اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضاء
كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك
لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان
الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله
في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا اخذ في حسابهم لم يقل
اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها الآزفة القيامة سميت بها لازوفها اي لقربها ويجوز
ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم
عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا
ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا **فان قلت** كاظمين
بم انتصب **قلت** هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين
عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي
ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا
عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين الحميم
المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك

يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير

فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه وما معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة عن الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والهتكم والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء هم كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة

اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد

وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك والفساد في الارض التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون لما سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر

وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب

يشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد فى عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بنى اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله ربى الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اى وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له **فان قلت** لم قال بعض الذى يعدكم وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه **قلت** لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق فى جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمى بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب **فان قلت** فعن ابى عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ۞ او يرتبط بعض النفوس حمامها

يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد

قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امره فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلى الله عليه كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا ظاهرين فى الارض فى ارض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برأى الا بما ارى من قتله يعنى لا استصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأى الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم **فان قلت** بم انتصب مثل الثانى **قلت** بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى الاعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعنى ان تدميرهم

ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار

كان عدلا وقسطا لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي
إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيدا كان من الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما
ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم
لأنهم كانوا ظالمين التناد ما حكى الله في سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى
أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من
بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من
الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب
تولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير
معجزين هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا
عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم
بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى إذا قبض قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم
رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده
مضموم إلى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف
في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف **فإن قلت** كيف جاز إبداله منه
وهو جمع وذاك موحد **قلت** لأنه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف **فإن قلت** فما فاعل
كبر **قلت** ضمير من هو مسرف **فإن قلت** أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون
قلت بلى هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه
وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون
على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون
كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتا
مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل
والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب

من حد أشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر
لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله عز وجل فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو
الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب قيل
الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر وأسباب
السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه
فإن قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموات **قلت** إذا أبهم الشيء
ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه
لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب
فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي
بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين إما
الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه
التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله
على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها
على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك وصد وصد معطوف على سوء عمله
وصد [illegible] وقومه قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها
لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة
في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال
سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين
دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر
واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة
للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا
دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح
أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة
قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل قرئ يدخلون
ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد

وياقوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد

على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة
فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت اما تكرير النداء ففيه
زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم
ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم
سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابرهيم صلى الله عليه في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء
بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في
امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما
يقال هداه الى الطريق وهداه له به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك
به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه
اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب
من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي كسب ذلك الدعاء اليه
بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد
فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى
لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع
لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي
عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم
وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان
يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته
لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في
الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشأه الله حيوانا
تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او
دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة
كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء
بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا

فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب

وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا واشد الله مكرهم وما هموا به من الحاق انواع
العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار
بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره
يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام
الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون
عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم
بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام
هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل
فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع
عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم
لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار
ويسمى ذلك حيقا لانهم هموا بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء
بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل
نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات
عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون تبعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر
وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها
فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة
كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم
وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت
هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار
قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر
على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف
وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا
تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء
والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك

قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان
وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون

ولا تنفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافر في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملئكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه ليكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ يقوم ولا ينفع بالياء ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولي الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجري عليك من قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدراك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود كانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار

وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم لا اله الا هو

البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء اعم لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لا يؤمنون لا يصدقون بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى النعمن بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرها ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين صاغرين مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعي حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو

اختيار وحركة الطبع من الحرارة وحركة الاختيار من الخطرات المتتابعة بسبب الحواس فجعل الليل باردا ليسكن الحركة مظلما ليسد

فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل

اخبار مترادفة اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شىء وانشائه لا يمتنع عليه شىء والوحدانية لا ثانى له فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شىء نصبا على الاختصاص ويؤفكون بالياء والتاء هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهى انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اى قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله فى احسن تقويم فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضى الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين **فان قلت** اما نهى رسول الله صلى الله عليه عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه **قلت** بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادل على العقل وادلة السمع اقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما فى ذلك من العبر والحجج فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شىء واسرعه بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب **فان قلت** وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس **قلت** المعنى على اذ الا ان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم

يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك

فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره: مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب: كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون فى النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اى ملئ ومعناه انهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بجوارك ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم **فان قلت** اما ذكرت فى تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم **قلت** يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم فى سائر الاوقات وان يكونوا معهم فى جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اى تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شىء فاذا هو ليس بشىء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخف به مثواكم او جهنم **فان قلت** اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل فى المسجد الحرام فنعم المصلى **قلت** الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثوى فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك **فان قلت** لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما فى جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذى نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذى هو نتوفينك بقى المعطوف عليه بغير جزاء **قلت** فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه

وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتي باية الا باذن الله فمن لي بان آتي باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيمة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات فانكروها وسموها سحرا الانعام الابل خاصة **فان قلت** لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم **قلت** في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر **فان قلت** هلا قيل في الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين **قلت** معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه فاي آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين

فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون

مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس **فان قلت** اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم **قلت** هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم **فان قلت** كيف ترادفت هذه الفاآت **قلت** اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال

بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون

الحال اى فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه **فان قلت** بم تعلق قوله لقوم يعلمون **قلت** يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اى تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون **فان قلت** هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة **قلت** نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها **فان قلت** هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني **فان قلت** من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة **قلت** من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر **فان قلت** لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة **قلت** لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين

الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اى يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وألف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين رواسي جبالا ثوابت **فان قلت** ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي **قلت** لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اى استواء والرفع على هي سواء **فان قلت** بم تعلق قوله للسائلين **قلت** بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج **فان قلت** هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة **قلت** اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان

ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم

ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثر مما كان لجوز ان يريد باليومين الاولين والآخرين اكثرهما ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يتحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيئتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين

فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون

ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السموات وما فيهما في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك او شأنها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فان اعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذ انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل

فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون

قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب فاستكبروا في الأرض أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية من أشد منا قوة كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فإن قلت** القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو أشد منهم قوة وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين شيء واحد **قلت** القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم يجحدون كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة الصرصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على أن الإذاقة للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة

وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون

على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد **فإن قلت** أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة **قلت** للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه لكفى بها حجة وقرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل أعداء الله الكفار من الأولين والآخرين يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي تستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته **فإن قلت** ما في قوله حتى إذا ما جاؤها ما هي **قلت** مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله أثم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات **فإن قلت** كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق **قلت** الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم والمعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون

وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين وإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون

وهو الخفيات من أعمالكم وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه عظيم على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وأرديكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرديكم الخبر فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين أيديهم وما خلفهم ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في أمم في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله

إن تك عن أحسن المروءة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد فإن قلت في أمم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال

من اللغا ورفث التكلم

والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والرجز وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته وكانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة والنار عطف

ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم

بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف فإن قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ممن دعا إلى الله عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه دعا إلى الإسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة

ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون

فى كل من جمع بين هذه الثلث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابى حنيفة تريد مذهبه يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير **فان قلت** فهلا قيل فادفع بالتى هى احسن **قلت** هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتى هى احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة **فان قلت** فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتى هى حسنة **قلت** اجل ولكن وضع التى هى احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس بالتى هى احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى ابى سفين بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله فصار وليا مصافيا النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه الضمير فى خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها او بريتهن او لما قال ومن آياته كن فى معنى الآيات فقيل خلقهن **فان قلت** اين موضع السجدة **قلت** عند الشافعى رحمه الله تعبدون وهى رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعن ابى حنيفة رحمه الله عند يسأمون لانها تمام المعنى وهى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يقصدوا بسجودهم الا وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه

فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمى وعربى

لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى قوله وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة وقرئ وربأت اى ارتفعت لان النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير للانحراف فى تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف **فان قلت** بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر **قلت** هو بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اى منيع محمى بحماية الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به **فان قلت** اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون **قلت** بلى ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اى بينت ولخصت بلسان نفقهه ءاعجمى وعربى الهمزة همزة الانكار يعنى لانكروا وقالوا اقرآن اعجمى ورسول عربى او مرسل اليه عربى وقرئ اعجمى والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه من اى جنس كان والعجمى منسوب الى امة العجم وفى قراءة الحسن اعجمى بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمى والمرسل او المرسل اليه عربى والمعنى ان آيات الله على اى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب **فان قلت** كيف يصح ان يراد بالعربى المرسل اليهم وهم امة العرب **قلت** هو على ما يجب ان يقع

قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد

في انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول أكتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك
لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان
يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا
على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول
لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع في غرض وراءهما هو اي القرآن هدى وشفاء
ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك **فان قلت** والذين لا يؤمنون في آذانهم
وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به **قلت** لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع
الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا
على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم
وقر على حذف المبتدأ او في آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله يعا فعميت عليكم ينادون
من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة
لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة
السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا
قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه
ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم
بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع
واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة
والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله شركائي الذين كنتم
تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا و
سمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي ما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم
وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد
بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم
وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب **فان قلت** آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا
فلم سئلوا **قلت** يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل
الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد

وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض

بتلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون
اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت من دعاء الخير من طلب السعة
في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط
يولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس
فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق
قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا
لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله وما اظن الساعة
قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي
عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم
للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة
يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة
للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار
والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك هذا
ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط
فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر
اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه
وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى
بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى **فان قلت** حقق لي
معنى قوله ونأى بجانبه **قلت** فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى
على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه
مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان
ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم
في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه

قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط

ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات ٥

سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي إليك أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك الله يعني

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم

أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فإن قلت لم قال من فوقهن قلت لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين فإن قلت كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الأرض يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا تستغفر إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا

والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن
حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير

وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون
عاما **فان قلت** قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن ينفطرن فما وجه طباق ما بعده لهما **قلت**
اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة
الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته
وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن
ينفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه
من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها
يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن
اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا
في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه
اولياء جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو
محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض
اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى
الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في
كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك
وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك
اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك
لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول
الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل
القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لان الخلائق
تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل
وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له وقرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم
فريق والضمير للمجموع لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **فان قلت** كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة **قلت**
هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما تجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين

ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء
فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات
والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه

وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على
القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تكره بادخال
همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى
ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما
يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين
بغير ولي ولا نصير في عذابه معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده
ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل
ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شان هذا الولي انه يحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء
حكاية قول رسول الله للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم
فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين
ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في
كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا
تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما
اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة
رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي **فان قلت**
هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة **قلت** لا لان الاجتهاد لا يجوز
بحضرة الرسول فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف
والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق
لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه
وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذرء
والذرو والذر اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم
واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم

العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين **فان قلت** ما معنى يذرؤكم في هذا
التدبير وهلا قيل يذرؤكم به **قلت** جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك
تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا
البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا
نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر
الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه و
بلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد
الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء
الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته
ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها
وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن
له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين
ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول وقرئ ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد
اغناه والا افقره شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك
هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو
توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما
ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع
على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم
امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد
يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري
عليهم لطفه وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد
وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى يوم القيامة
لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين
كانوا في عهد رسول الله لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة

وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت
لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة
عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب

مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك
حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق
اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا
من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما
اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما
حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم
عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب
باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا
ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم
في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم
محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته و
هذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد
ظهور الحق وقيام الحجة والالزام **فان قلت** كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل
من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء **قلت** المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة
لا المقاتلة يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام
ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان
اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق
وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالة
انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة
وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة
او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تاويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء
الساعة قريب **فان قلت** كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان **قلت**
لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع
قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف
المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده
يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين
آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات

غير مستبعد من قدرة الله والدال له الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها وبشهادة العقول
على أنه لا بد من دار الجزاء لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل
واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته **فإن قلت** فما معنى قوله يرزق من
يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم **قلت** كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره إلا أن البر أصناف
وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض
العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه
فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين
ولدا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة
الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثا
على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله
للدنيا أعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في
الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه
لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ومعنى الهمزة في
أم التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا
لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرع لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر
به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه
الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال
إبراهيم صلوات الله عليه إنهن أضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل
الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين
المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا
كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين
خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم وواصل إليهم لا بد
لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها عند ربهم
منصوب بالظرف لا بيشاؤون وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والأصل
ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف

قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا

الراجع إلى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده
روي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت
الآية إلا المودة في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا إلا هذا وهو أن
تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم
في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم
قرابتكم ولا تؤذوهم **فإن قلت** هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وما معنى قوله إلا المودة
في القربى **قلت** جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب
شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى
إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى
ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها
لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه حسد الناس
لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا
عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه حرمت الجنة على من
ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه
عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيمة وروي أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا
كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه فأتاهم
في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا
تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال
يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول
الله صلى الله عليه من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له
ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان
ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد
يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة

ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور

الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرى الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع وقرى يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرى حسنى وهي مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قال أيتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير

عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم **فان قلت** ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدا غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط **قلت** كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدا قبولي ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرى بالتاء والياء اي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين آمنوا ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلم اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتفاتن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر بتقدير يقال قدره قدرا

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء
قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير

وقدّرا خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدّر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر
ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا
فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط
لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت
لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي
والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن قنطوا بفتح النون وكسرها
وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له
اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال
ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد
المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته وما بث يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا حملا على المضاف اليه والمضاف
فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع
المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم
او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما
يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي
خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا
يغشى ومنه اذا يشاء وقال الشاعر
واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا
في مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على
ان ما مبتداه وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي
الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم
شيء من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود
ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب
باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم
للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه
وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيمة

وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص

ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا
عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه
هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من المصائب من ولي من متول بالرحمة الجوار
السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء
كانه علم في راسه نار
وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على
ظهر البحر لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل
همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين
في البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل
الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت علام
عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها
فان قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشأ يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام
فان قلت فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما
الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين
يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس
وقوله خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان
لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت
واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله
ان تأتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله
والحق بالحجاز فاستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول
فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة
المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه
منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت
كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه
ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه

فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم

مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطّأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس كبير الإثم هو الشرك هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه وأقاموا الصلاة وأتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه المدينة إذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق فإن قلت أهم محمودون على الانتصار قلت نعم لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه إذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فأولئك إشارة إلى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك منه لمن عزم الأمور وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا

ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور

سبّ رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى وعن النبي صلى الله عليه ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيمة إما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا وإما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيمة إذا رأوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده والنكير الإنكار أي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار إن الإنسان لربه لكنود والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فإن قلت لم قدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث قلت لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تداركه

وجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

ثم اخبر بهم وبهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان
الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير
وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر
وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب
لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بمصالح
العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلثة اوجه اما
على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلم في
ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلم في صدره قال عبيد بن الابرص
واوحى الي الله ان قد تامروا وابابل ابي اوفى فقمت على رجلي اي الهمني وقذف في قلبي واما على
ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي
وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته
ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملئكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملئكة فيوحي
الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملئكة او يرسل رسولا
اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال ايضا كقوله
وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز
ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا
خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام
بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه
او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو
او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا
عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي عليه السلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان
كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت
وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا
ربكم يقول فتلت هذه الآية انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة

ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين

بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق
يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح **فان قلت** قد علم ان رسول الله صلى الله عليه ما كان
يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا
من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب
الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر **قلت**
الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي
الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان
من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدى
اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه
الملئكة ويستغفرون له ويسترحمون له **سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله**
واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه
قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما
من واد واحد ونظيره قول ابي تمام

وثناياك انها اغريض

المبين البين للذين انزل عليهم
لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة
وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى
خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار
لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب
ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في
لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع
الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما
صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر
ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم
ضرب غرائب الابل قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم

وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

الكتاب

من ايات الله وحكمه وقرانا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا ويعضده قراءة من قرا صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه اخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم **فان قلت** كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت **قلت** هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وما ياتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القران في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ووعيد لهم **فان قلت** قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه **قلت** هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا الازواج الاصناف ما تركبون اي تركبونه يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين **فان قلت** فكيف قال تركبونه **قلت** غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحن الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا وقالوا اذا ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه راى رجلا ركب دابة فقال سبحن الذي سخر لنا هذا فقال ابهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لاداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم

وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين

والسائرين سيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة

واقرنت ما حملتني ولقلما ... يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا تقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد **فان قلت** كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون **قلت** كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا

ان اجزات حرة يوما فلا عجب ... زوجتها من بنات الاوس مجزئة

وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وادوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا

الهمزة لانها للاستفهام يشير بهذا الكلام الى ان ام هنا بمعنى بل والهمزة ومعنى بل فيه ترك الاول والاخذ فيما سواه

وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم أومن ينشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون

وتمثيلاً أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادّعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزئين وأعلاهما وترك له شرّهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور بما ضرب للرحمن مثلاً بالجنس الذي جعله له مثلاً أي شبهاً لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومماثلاً له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتمّ واربدّ وجهه غيظاً وتأسّفاً وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت: ما لأبي حمزة لا يأتينا ❁ يظلّ في البيت الذي يلينا ❁ غضبان أن لا نلد البنينا ❁ ليس لنا من أمرنا ما شئنا ❁ وإنما نأخذ ما أعطينا ❁ والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسودّ ومسوادّ على أن في ظلّ ضمير المبشَّر ووجهه مسودّ جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ في الحلية أي يتربّى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلّ ما تكلّمت امرأة فأرادت أن تتكلّم بحجتها إلا تكلّمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربّات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشنوا وتمعددوا وإن أراد أن يزيّن نفسه زيّنها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشّأ ويُنشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء وقد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخسّ النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفّوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثاً وأُنُثاً جمع الجمع ومعنى جعلوا سمّوا وقالوا إنهم إناث وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكّم بهم يعني أنهم يقولون ذلك كلاماً من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرّهم إلى علم ذلك ولا تطرّقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا

وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون

لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان أيضاً مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة ❁ فإن قلت ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادّين لكانوا مؤمنين ❁ قلت لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادّعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذمّ والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءاً وأنه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثاً وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيّات قبل هذا المحكيّ الذي هو إيمان عنده لو جدّوا في النطق به مدحاً لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادّين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولاً على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءاً لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذّب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادّاً كان أو هازئاً ❁ فإن قلت ما قولك فيمن يفسّر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله ❁ قلت تمحّل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذّب الذين من قبلهم الضمير في من قبله للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولاً قالوه غير مستند إلى علم ثم قال أم آتيناهم كتاباً قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجّوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة على دين وقرئ إمّة بالكسر وكلتاهما من الأمّ وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤمّ أي تقصد كالرحلة للمرحول إليه والإمّة الحالة التي يكون عليها الآمّ وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبّون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفكّ عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى وقرئ برآء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبرآء نحو كريم وكرام وبرآء مصدر

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم

كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متعنا فان قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد

حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون

ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدا قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به واراد بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد هذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما

ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن

يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة الدنيا كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة

نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون افانت تسمع الصم

متى تأته تعشو الى ضوء ناره ... اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم ... اعشو اذا ما جارتي برزت ... حتى يواري جارتي الخدر ... وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان لكل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من منى بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء ... أعزي النفس عنه بالتأسي ... فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره ... اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ... اي تبين اني ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده

أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون

على سبيل الإلجاء والقسر كقوله إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ما في قوله فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فإنا منهم منتقمون أشد الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن نجزي في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي أوحى إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرناه إلى اليوم الآخر فكن متمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وإنه وإن الذي أوحي إليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة قلت لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم

وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه

بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قروتهم رجلا رجلا فإن قلت فهو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حال واحدة قلت الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري ولقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها لعلهم يرجعون إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان فإن قلت لو أراد رجوعهم لكان قلت إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وأن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فإن قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون قلت قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن

قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين

يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي
به بينهم وقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك و
نهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري
نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري
خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس
من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على
صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما
قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر
أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون
حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه أم
أنا خير أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون
لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن
تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم
عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول
أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير
وقرئ أما أنا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات
الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة
وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا
أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب مقترنين إما مقترنين به من قولك
قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن
بينه وبين موسى صلوات الله عليه ووصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا
إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره وقرئ
أساورة جمع أسوار وأساور جمع أسورة وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير
وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاستفزهم

فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون

وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزهم من قولهم للخفيف فز
آسفونا منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة
للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا
أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا
بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم
قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم
بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم
فرعون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة
لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب
الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى
يعبدونهما وعزير والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن
وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت
لهم ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل
رسول الله بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون ترتفع لهم
جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه بجدله
كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود
أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما
لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما وقالوا آلهتنا خير أم هو يعنون أن آلهتنا عندك
ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا ما ضربوه أي ما
ضربوا هذا المثل لك إلا جدلا إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق
والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن
قوله تعالى إنكم وما تعبدون ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم
ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى
بخبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن

إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون

المراد أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريق المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدل وقرئ آلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن نعبده وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد أنعمنا عليه حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وإنه وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة أي شرط من أشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث إن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب

وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون

ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن وأن القرآن به تعلم الساعة لأن فيه الإعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول الله أن يقوله هذا صراط أي هذا الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير في وإنه للقرآن عدو مبين قد بانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الإنجيل والشرائع فإن قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم الأحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للأحزاب فإن قلت من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه قلت إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم أن تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة فإن قلت أما أدى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لأن معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون يومئذ منصوب بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل إلا المتقين إلا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط يا عبادي حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لأنه منادى مضاف أي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون إكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب وإما مستلذة في العيون وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة والتي

لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام
يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون

أو رفعتموها خبر المبتدأ والتي أورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف
كما في الظروف التي تقع أخبارا وفي الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها
بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورّثتموها منها تأكلون من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها
باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها لا يفتر عنهم
لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس
اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى
فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها أي في
النار وقرأ علي وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف
وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن
بعضهم حسّن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السرار
الغنوي يا مالُ بالرفع كما يقال يا حارُ ليقض علينا من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى
عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا فإن قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعدما وصفهم
بالإبلاس قلت تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون
أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج ويغوثون أوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون
وفيه استهزاء أو المراد خالدون وعن ابن عباس إنما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم
ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك
كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب أم
أبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم
كقوله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر
رسول الله فإن قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه
أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد
الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها

قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم

للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق
إن كان للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول
من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه
وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه
وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد
وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو
في صورة إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره
أن يقول العدلي للمجبر إن كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا
أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن
يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي
ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه والشهادة القاطعة بإحالته
والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه وقد تمحل الناس
بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد
على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين
قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد
من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين وقيل هي إن النافية
أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر بن عبد الدار
بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن
المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له
وقرئ وُلْد بضم الواو ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ
الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره
فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على أن ما يقولونه
من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون
البتة وإن ذكر في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وإيعاد
بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض
لحظي لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك صح

وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام
فسوف يعلمون

كما تقول هو حاتم في طيّ حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كانك قلت هو جواد
في طيّ جواد في تغلب وقرئ وهو الذى في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو
الله في السموات وفي الارض كانه ضمّن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول
محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذى قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل
في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذى واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة
وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفى الالهة التى
كانت تعبد في الارض ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون
بالتاء ولا يملك الهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند
الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص
هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون
من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال وقيله قرئ
بالحركات الثلث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب
زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه
على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذى
قالوه ليس بقوى في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن
اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف
القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اى
تسلم منكم ومتاركة فسوف تعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله
لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية

وقيل الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الاية وهى سبع وخمسون اية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين

بسم الله الرحمن الرحيم ٧ الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم
تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم
مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر
وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك
وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك
ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده
المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هى مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة
فيها قال رسول الله صلى الله عليه من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك
ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا
وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلم ان الله يرحم امتى
في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب وحصول المغفرة قال عليه السلم ان الله تعالى يغفر لجميع
المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على
الزنا وما اعطى رسول الله من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في
امته فاعطى الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطى
الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم
زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه
في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملئكة والروح فيها باذن
ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الاقاويل
في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة
من السماء السابعة الى سماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل ينزله
على رسول الله صلى الله عليه نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما
موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذى
هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من
العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة
وهذه الليلة يفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التى

فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك

تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به
بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم منها الى الاخرى
القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في
ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق
والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى
قلوبهم هيبته وقرئ نفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق
الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي
مفعول على ما يقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر
على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر
جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر
امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر
الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان
واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في
انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال
كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت
يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا
القرآن لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا
ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها
به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر
من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب
الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم
للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية
تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه
على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له

انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك
يلعبون فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم

٢٦٦

انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ
رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو ان كنتم
موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال
الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون
بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد
الذي تسامع الناس بكرمه واشتهر سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان
يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا
عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب يوم تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته
وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وبه اخذ الحسن انه دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون
راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت
اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه اول الايات الدخان ونزول
عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا
رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين
يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر
والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان
ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم
فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا سأحدثكم ان قريشا لما استعصت
على رسول الله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان
وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه
الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم
بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل
الجر صفة للدخان وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون

ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله انى لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين

ويقولون منصوب على الحال اى قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيامة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اى ننتقم منهم فى ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم المعاصى واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم فى نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى هى ان المفسرة لان مجئ الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث ادوا الى وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى كقوله فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى فى وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله

وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين

ووحيه ولا تستكبروا على نبى الله بسلطان مبين بحجة واضحة ان ترجمون ان تقتلونى وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة عنى او فخلونى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ان هؤلاء بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى يعنى فاسر ببنى اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

اى مشيا ساكنا على هينة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثانى ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى فجوة مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لانهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او فى موضع الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير

تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

وقالت الخارجية

ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل

ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين

مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا من فرعون بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وفي قراءة عبد الله من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا مسرفا على علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون وتفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هولاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شأنها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بآبائنا خطاب

اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم طعام الاثيم

للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال باسم الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادري أكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون ويسمى الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان اي ان يوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن اي مولى كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينتصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بكسر الشين وفتحها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد

كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين

انها اجازة كلا اجازة بل لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يوخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرا به على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين

لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقيهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها

لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين وهي البيضاء تعلوها حمرة وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش

وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم
يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم

سيبويه لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان
أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها وتعضده قراءة ابن
مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها أو
على التكرير ورفعها بإضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما
يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات
والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا
فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض
من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر
الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض
بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص
يقينهم وسمي المطر رزقا لأنه سبب الرزق تلك إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات
آيات الله ونتلوها في محل الحال أي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى
الإشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله وآياته أي بعد آيات الله كقولهم
أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه
كقوله الله نزل أحسن الحديث وقرئ تؤمنون بالتاء والياء أفاك كذاب أثيم متبالغ
في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من إصرار الحمار على العانة وهو أن
ينحي عليها صارا أذنيه مستكبرا عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها
معجبا بما عنده وقيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل
بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فإن قلت ما معنى ثم
في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها
وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها
والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها
وعاينها شيء مستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من
تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره
عن الإيمان بها كأن مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله

وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء
ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون

كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال أي يصر مثل غير السامع وإذا بلغه
شيء من آياتنا وعلم أنه منها اتخذها أي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس
بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند
ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراض
ابن الزبعرى قوله عز وعلا إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله
وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث أراد عتبة وقرئ علم أولئك
إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف
أو قدام قال أليس ورائي إن تراخت منيتي أدب مع الولدان أزحف كالنسر
ومنه قوله عز وجل من ورائهم أي من قدامهم ما كسبوا من الأموال في رحلهم ومتاجرهم
ولا ما اتخذوا من دون الله من الأوثان هذا إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله والذين
كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد
رجل تريد كامل في الرجولية وأيما رجل والرجز أشد العذاب وقرئ بجر أليم ورفعه
ولتبتغوا من فضله بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري
وغير ذلك من منافع البحر فإن قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الإعراب
قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده
يعني أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدإ
محذوف تقديره هي جميعا منه وأن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله
ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وأن يكون وما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ
ابن عباس منة وقرأ سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي
أو على أنه خبر مبتدإ محذوف أي ذلك أو هو منه حذف المفعول لأن الجواب دال عليه والمعنى
قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون أيام الله لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع
العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها
قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل

من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

من غفارهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراد الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة **فان قلت** قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف **قلت** هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزى قوما اي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما الكتاب التورية والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اي هذه الآيات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي

وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين

مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم ومماتهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق السموات والارض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة ومن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلث وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تذكرون نموت ونحيى نموت نحن ونحيى اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره **فان قلت** لم سمي قولهم حجة وليس بحجة **قلت** لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسمي حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع

قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله
حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين

كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف
وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث
وكذبوا الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل
هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا و
اصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون
شيء عليه عامل النصب في يوم تقوم يخسرون ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة مستوفزة
على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على
اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة
وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة
الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه اليوم تجزون محمول على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل
قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة
فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق
عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم
تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما الذين
كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
المعطوف عليه وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها
ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا
معناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه
وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين سيئات ما عملوا اي قبائح
اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننساكم نترككم
في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به
كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت
ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم
لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم

ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب
من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم

ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات
والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه
فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله
صلى الله عليه من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح
وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم
الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز
ان يكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو
القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب
الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة
غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة
على اثارة من شحم اي على بقية من شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اي من شيء اوثرتم به و
خصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء
فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما
الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار
ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر
على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة
احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم
اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة
وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي
العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد
كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب
وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة التهكم بها
وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين

بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم إن محمدا افتراه ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجب كأنه قال دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات قل إن افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ثم قال هو أعلم بما تفيضون فيه أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكأنه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أي ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحي إليهم

قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين

ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله علمها عند ربي وما أدري لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما نستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه إن أتبع إلا ما يوحى إلي وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أو أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أي يفعل الله عز وجل فإن قلت إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملا عليه لتناوله وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي أي الله عز وجل جواب الشرط محذوف وتقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب فتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو أمه فقال عليه السلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت

وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم

اى اذ لم يهتدوا بالقرآن فسيقولون انه كذب وسبط

رسول الله يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اى على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من
المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى
وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى وكذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من
عند الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت
الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارأيتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد
فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله
كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك
واعرضت لم نتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان
اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه
به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في
قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى صلوات الله عليه
وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان
نتيجة ذلك للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط
يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء
وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع
لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر
ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا
ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه
فان قلت لا بد من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون
وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال
فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من
قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم

عبد الله بن سلام قلت ودليله ان قوله وشهد شاهد عطف على الشرط فيكون شرطا وجواب كل منها

ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته
كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضيه واصلح لي في ذريتي

فسيقولون هذا افك قديم لهذا المضمر وصح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله
فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع
ناصبه وقوله افك قديم كقولهم اساطير الاولين كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا
مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب
موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه
كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى
او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير
الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة
ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اى يصدق ذا لسان عربي
وهو الرسول وقرئ لينذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل
النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما
وفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه
على الحال اى ذات كره او على انه صفة للمصدر اى حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله
وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين
لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر
وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان
مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال
ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل
مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي
بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي
السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين
وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم
يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد
والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل
المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت

بجوز ٦

إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين

معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فإن قلت ما معنى قوله في أصحاب الجنة قلت هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لأن قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر والذي قال مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا إلي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما وقرئ أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعداني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن طرح أحدهما أن أخرج أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك

أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك في أمم نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على آمن بأن وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما فإن قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون

قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون
فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك
نجزي القوم المجرمين

بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله و
الذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت
وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
اعتراضا بين أنذر قومه وبين أن لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك
والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم الإفك الصرف
يقال أفكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت صادقا
في وعدك فإن قلت من أين طابق قوله إنما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت
من حيث إن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم
لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه
بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به وقرئ بالتخفيف
أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط
الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين
غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح
أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي
يعرض في أفق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل
وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة بل
هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلم والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ
قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله قل تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم
الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك لا ترى
الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي
عن الحسن لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة ... وما بقيت
إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى إلا مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم
وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة
وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما
عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون
بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون

بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم
وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح
عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا
ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة
وعن النبي صلى الله عليه أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير
ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء
وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم
عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت
الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه
وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه
إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير
المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء
ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب ... وما ضره لو اقتدى
بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك إن ما بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة فيما أنشده
الأخفش يرجي المرء ما إن لا يراه ... ويعرض دون أدناه الخطوب وتؤول بأنا مكناهم
في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا
ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار
من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون
قلت بقوله فما أغنى فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل
والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما
ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ما حولكم
يا أهل مكة من القرى من حجر ثمود وقرى قوم لوط وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك
قال لعلهم يرجعون القربان ما تقرب به إلى الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله
حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني

وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم

آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنه أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والأفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الإفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك صرفنا إليك نفرا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله ويعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك

ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون

فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى فإن قلت لم بعّض في قوله من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا بقادر محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأول أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين أولو العزم أولو الجد والثبات والصبر ومن يجوز أن يكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة قال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن يكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وإنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك إلا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلّغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم

قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلثون آية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد أضل أعمالهم أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الإيمان به تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم وأصلح بالهم أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الأول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها

أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم **فإن قلت** أين ضرب الأمثال **قلت** في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان أثخنتموهم أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم **فإن قلت** كيف حكم أسارى المشركين **قلت** أما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره حنيفة أن لا يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعي رضي الله عنه فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه من على أبي عزة الجمحي وعلى أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة
عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم

مع فتح الفاء أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع قال الأعشى
وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها
بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها
يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا فإن قلت حتى بم تعلقت
قلت لا تخلو من أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند
الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك
إذا لم تبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب
والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين
وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن
يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك أي الأمر ذلك أو افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم
منهم ببعض أسباب الهلكة من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف ولكن أمركم
بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين
بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد
وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من
ضل وعن قتادة أنها نزلت يوم أحد عرفها لهم أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزله ودرجته
من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ
خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه
فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم
كنوح القماري وعرف كفوح القماري أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفروزة
عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والأرف الحدود إن تنصروا دين الله ورسوله
ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام والذين
كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعساً لهم كأنه قال أتعس الذين كفروا
فإن قلت علام عطف قوله وأضل أعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعساً لأن المعنى
فقال تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم وتعساً له نقيض لعاً له قال الأعشى فالتعس أولى لها
من أن أقول لعا يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس

ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها
ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم
أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار

يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار كرهوا القرآن وما أنزل الله فيه من
التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ
فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى
دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين
أمثالها الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا
سنة الله في الذين خلوا مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود
ولي الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه كان في الشعب يوم أحد وقد فشت
فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل
فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله
عليه قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما
قتلاكم ففي النار يعذبون فإن قلت قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق مناقض
لهذه الآية قلت لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده جميعاً على معنى أنه ربهم ومالك
أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا
أياماً قلائل ويأكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها
غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام وقرئ وكائن بوزن
كاع وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من
قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك فإن قلت كيف قال
فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك أهلكناهم فهم لا
ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله
ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات
هو رسول الله صلى الله عليه وقرئ أمن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على
لفظ من ومعناه فإن قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار كمن
هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه
تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن
كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي

من ماء غير آسن وأنهار لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم

كمثل جزاء من هو خالد في النار فإن قلت فلم عري من حرف الإنكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل:

أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية:

لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فت على ماء العناقيد

من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ماء حميما قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم

هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم

فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض

عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم قيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين أن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك فإن قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا ينفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين قلت بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الأسود:

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن يكون غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال

ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم

إذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام نظر المغشي عليه من الموت أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك من عزم الأمور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم عسيتم وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوبيخ فإن قلت ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض قلت معناه هل يتوقع منكم الإفساد فإن قلت كيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وبما يكون قلت معناه أنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توليتم أي إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم

وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع أولئك إشارة إلى المذكورين لعنهم الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن إبصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها أفلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة إذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا فإن قلت لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها قلت أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ إقفالها على المصدر الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لإن كقولك إن زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني وقرئ وأملي لهم يعني أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله إنما نملي لهم وقرئ وأملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فإن قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التورية وقيل هم المنافقون الذين قالوا القائلون هم اليهود والذين كرهوا ما أنزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الأمر التكذيب برسول الله أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الأمر في بعض ما تأمرون به أو في بعض الأمر الذي يهمكم والله يعلم أسرارهم وقرئ إسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت إحدى تاءيه إن الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنه

ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم

لا يتوفى احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله ورضوانه الايمان برسول الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ... واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستنصرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسألكم اموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم

اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء وفتحها ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه

...تدعون في سبيل فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجة اليه وهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت الحرام وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر

ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء

وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل جاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة ثم الزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه وقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير

ويعذب ... وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا

والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير وكذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا يضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه بالياء والخطاب لرسول الله ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان وانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسيؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ

عن حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا مثل ان تشبه الحال اذا وجد بها

فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون

شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التأنيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا وهو وعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا الحسد ان نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي بأس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي رضي الله عنه

على قوله الاسلام لما وجب ان يقاتلوا بالسيف ان لم يسلموا فكانه تقبل منهم احد الامرين

فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما

لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابى بكر الصديق رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى ايام رسول الله ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم اعطا الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى ايام رسول الله قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معى ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم كما توليتم من قبل يريد فى غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على يقاتلونهم اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفى قراءة ابى او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا نفى الحرج عن هولاء من ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون هى بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبى صلى الله عليه حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعى رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضى الله عنه ليبعثه فقال انى اخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى ادلك على رجل هو اعز بها منى واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله جالسا فى اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدى غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اى الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر عند انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة ياخذونها هى مغانم خيبر وكانت ارضا ذات

وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا

عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمى بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة وهى ما يفى على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعنى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم يعنى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رآى رسول الله صلى الله عليه فتح مكة فى منامه ورؤيا الانبيا وحى فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اى قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتدا لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب فان قلت قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة فكف الاعدا لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله فى موضع المصدر المؤكد اى سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلى ايديهم ايدى اهل مكة اى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ تعملون بالتاء والياء قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما

عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وان تطأوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بان تطأوهم يعني ان تطأوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير فان قلت قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا اذ جعل يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم

اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق

او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخيف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ويبطشوا وامنه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هم اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج رأى رسول الله صلى الله عليه قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم

والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص
وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا
ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما
اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه
وعلى الاول هو جواب قسم محذوف فان قلت ما وجه دخول ان شاء الله في
اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده
ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وان
يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل
الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق
بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل
فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه
قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره
ليعليه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين
والجاحدين من اهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام
دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر
وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد الله من الفتح وتوطين
لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على
الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن
عن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك محمد اما خبر مبتدأ اي هو محمد
لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن
ابن عامر انه قرأ رسول الله بالنصب على المدح والذين معه اصحابه اشداء على
الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار
انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ
من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه

تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود

والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة
رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه
ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن
حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا
على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام
متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق
السجيحة ووجه من قرأ اشداء رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح
او على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم علامتهم
وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي
تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي
من التأثير الذي يؤثره في السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين
وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما
احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن
آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه فان قلت فقد
جاء عن النبي صلى الله عليه لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه
انه رأى رجلا قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا
تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته
على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه
ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض
المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي
فترى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الارؤس ام خشنت الارض
وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله
وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن
المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت
وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلوته بالليل حسن
وجهه بالنهار

من قوله من كثر صلوته الى قوله بالنهار من الاحاديث الموضوعة

ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما

ذلك الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشان فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من المؤازرة وهى المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو فى معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع فان قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون

سورة الحجرات مدنية وهى ثمانى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفى قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما تقدم والثانى لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذى يحيى ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا الا ان الاول اوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اى لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشىء باسم غيره اذا جاوره وداناه فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذى يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام العريان وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك المسلك فى هذا التمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بنى سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بنى عامر لانهم اعز من سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله ونزلت اى لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله وعن مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فى اليوم الذى يشك فيه

فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله ان يعيدوا ذبحا اخر وهذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله الا ان تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدى وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لو كان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسألة في مجلس رسول الله صلى الله عليه لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا لحاجة وان يستأنى في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله

ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم

وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر ابي عروة السباع اذا ... اشفق ان يختلطن بالغنم

زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي

رفعت عيني بالحجاز الى ... اناس بالمناقب

وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون التشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها

على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثاني أن تعلق بنفس الفعل ويكون المعنى
أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط جعل كأنه فعل لأجله
وكأنه العلة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فإن قلت لخص الفرق بين الوجهين
قلت تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضموما إليه المفعول له كأنهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا
صبا وفي الأول يقدر النهي موجها إلى الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فإن قلت بأي النهيين تعلق
المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا إضماره عند الأول كقوله آتوني أفرغ عليه قطرا
وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط
العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لأن ما بعد الفاء لا يكون إلا مسببا عما قبله فيتنزل
الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الإبل إذا أكلت
الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن
أخواته حبجت الإبل إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر
إذا غفر وهو نكسه وترامية إلى الفساد جعل العمل السيئ في إضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض
لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الأعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن
فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط ولعله
عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ
امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لأمر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع
به غير وان والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة
لأن تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام
متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الأمر أي كائن له ومختص به قال: أنت لها أحمد
من بين البشر. أعدى من لليعملات على الوجى. وهي مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم
بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى أي لتثبت فتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لأن حقيقة
التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن
الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها
والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وأنشد
أتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت آطالها. قيل أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما

من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين
أصواتهم اسما لإن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف
الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة في الدلالة على غاية
الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض أصواتهم وفي الإعلام بمبلغ عزة
رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما
استوجب هؤلاء. والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلمته من خلف أو قدام ومن لابتداء
الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان فإن قلت أفرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وبين
ما تسقط عنه قلت الفرق بينهما أن المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء
وفي الثاني لا يجوز لأن الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون
مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها
ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والإنكار لم يتوجه عليهم من
قبل أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج
مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الأرض
المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الإبل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة
وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد
حجرات نساء رسول الله وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات
متطلبين له فناداه بعضهم من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه
من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله ولمكان حرمته
والفعل وإن كان مسندا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا
فقد ذكر الأصم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والإخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون
يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا إلى نفي أن يكون
فيهم من يعقل فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم روي أن وفد بني تميم أتوا رسول الله وقت الظهيرة وهو راقد
فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج إلينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم
من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا
يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله وإجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل

قال الحماسي
قليل التشكي للمهم يصيبه
كثير الهوى شتى النوى والمسالك

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم

لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الإضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة إلى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه أنهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين والقتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه إلا حر فإن قلت هل من فرق بين حتى تخرج وإلى أن تخرج قلت إن حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز وإلى عامة في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله عليه السلام إليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء إليه فإن قلت فأي فائدة في قوله إليهم قلت فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم لكان خيرا لهم في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا بعث رسول الله صلى الله عليه الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا إلى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان

مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء إذا أخرجته عن يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة قيل إن جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور أن تصيبوا مفعول له أي كراهة إصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة والإصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام لأنه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوبه أدمن الأمر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بأنه لا يفارق صاحبه الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لأدائه إلى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو وأنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على أمثلته ولو فعل ذلك لعنتم أي لوقعتم في العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أي يطلب ما يؤديه إلى الهلاك وقد أعنت العظم إذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم الله بقوله ولكن الله حبب إليكم الإيمان أي إلى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها إلا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى

وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم

وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله اى اولئك المستثنون هم الراشدون تصديقا لما قلته فان قلت ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع راى رسول الله لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه فان قلت فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم راى في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هى مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى ان يثنى عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت الذى سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضى واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطا المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضى لما امر به الشارع والعرق العاصى العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات حلهن الضوء من صم الرشاد وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التى هى اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين

عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم عن ابن عباس رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابى بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروى حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا والبغى الاستطالة والظلم واباء الصلح والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابى عمرو حتى تفى بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان قلت ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرا ابن ابى عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسى من شىء ما وجدت من امر هذه الآية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرنى الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روى عن النبى صلى الله عليه انه قال يا ابن ام عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغى صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغى الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتى بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق

إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكر وان الغرض
اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من اعمال العدل ومراعاة
القسط **فان قلت** لم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال في اول الآية
ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شأنهما اصلاح
ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة
واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر
باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله
على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط
يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور
هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين
اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن
غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا
في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهي
من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه
ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظه منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع
قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في
شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم
والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف
حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه
واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه
وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم القوم
الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون وقال عليه السلام النساء لحم على وضم
الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية
بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال

يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم
ولا تنابزوا بالالقاب

صريح في الآية وفي قول زهير أقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور
والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن
وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان تقصد افادة الشياع
وان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما
باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولان
مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر
وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى
تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد
مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى
وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر
الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل
فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق
في محادثته فلعله اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة
بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا
يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو
سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه
القراءة ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله عسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن
والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها
ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه اذكروا
الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها
الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته
فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله
يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل هيهات دون
ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن
فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون

والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنابزون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي صلى الله عليه من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى ابي حذيفة فنزلت وعن عائشة انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت بين الفصل بين كثيرا حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة

يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم

مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هذي النوى بي فعلة ... اصاب النوى قبل الممات اثامها

والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم ان الله عليم خبير
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا

ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرّهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت
هلا عدّي بالى كما عدّي في قوله وكرّه اليكم الكفر وايهما القياس قلت القياس تعدّيه بنفسه لانه ذو مفعول واحد
قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديه بالى فتأول واجراء الكره مجرى بغّض لان
بغّض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من
يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزّل
صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم فانكم
ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
ويسوّي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله فقال
ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما
ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت * من ذكر وانثى من آدم وحواء
وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر
والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة
والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ
تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب
لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتتعلموا كيف تتناسبون ولتتعارفوا
والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا
بالآباء والاجداد وتدّعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب
الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقرئ ان بالفتح كأنه قيل لم لا تتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم
عند الله اتقيكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم
عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية
وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مرّ
رسول الله في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه
رجل فكان رسول الله يراه عند كل صلوة ففقده فسأل عن صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ايام فقيل هو لما به
فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة
النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم

ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون

فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان
فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن
قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم
تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي
هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون
تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا
آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدّرة بكلمة الاستدراك محمولة
على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان
خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد
قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا
هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا
حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال
على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه اشد الألت وهي لغة غطفان ولغة
اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه
الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى لا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما
كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب
لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا
الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت ارتاب
مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام
لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون
مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب
قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر
فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه
لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال

قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون بسم الله الرحمن الرحيم
ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب

لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخي
إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز أن يكون المجاهد
منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة
بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة
وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم
الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق
وإيمان حق وجد وثبات يقال ما علمت بقدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله أتعلمون الله
بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد إذا أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا تستثيب
مسديها من يزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير
أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنيعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف
ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منوا على رسول
الله ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به
من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لا تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاما عندي لا
إيمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم
له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم و
إيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين
في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود إذ هداكم وقرئ
تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم
ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على
صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل
الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط
علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله
بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته

أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج أفلم ينظروا
إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد

فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفقا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم
مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير
وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى
اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول
على أحد الإنكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب أبدا إشادة لا له على أن تعجبهم من البعث أدخل
في الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون
على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع
بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة
ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا
به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد
أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل
إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن
النبي صلى الله عليه كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في
الأرض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه
وكتب فيه بل كذبوا إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب
بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج مضطرب
يقال مرج الخاتم في إصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون
على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه
إياهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق
العالم بنيناها رفعناها بغير عمد من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع
ولا خلل كقوله هل ترى من فطور مددناها دحوناها رواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت من كل زوج
من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به ونتذكر كل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في
بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ماء مباركا كثير المنافع وحب الحصيد وحب
الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما باسقات طوالا في السماء

المعنى وأما ههنا لما كان
بطريق الخبر لزم أن يكون
التقدير بعد أن نرجع

والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد

وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة وقد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق جديد له شان عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاء خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعنى يعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب الى الانسان

اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد

من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات عن النبي صلى الله عليه ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد القاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله جاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد

يقال لأحدهما جميعا هو للبر والفاجر. ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف أي وقت ذلك يوم الوعيد والإشارة إلى مصدر نفخ. سائق وشهيد ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة. قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كأنها غطاء غطي به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديدا لتيقظه. وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته. هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها بإغوائي وإضلالي. فإن قلت كيف إعراب هذا الكلام قلت إن جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وإن جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف. ألقيا خطاب من الله للملكين السائقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول المبرد أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل ألق ألق للتأكيد والثاني أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الألف في ألقيا بدلا من النون إجراء للوصل مجرى الوقف. عنيد معاند مجانب للحق معاد لأهله. مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الإسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت. معتد ظالم متخط للحق. مريب شاك في الله وفي دينه. الذي جعل مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ويجوز أن يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فألقياه تكريرا للتوكيد. فإن قلت لم أخليت هذه الجملة من الواو وأدخلت على الأولى قلت لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون. فإن قلت فأين التقاول ها هنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له. ما أطغيته ما جعلته طاغيا وما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله

قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود

وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي. قال لا تختصموا استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم به وما أنا بظلام للعبيد فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب. والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أي قدمت إليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته إليكم موعدا لكم به. فإن قلت إن قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب. قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة. فإن قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وأن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك. قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال. وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله لأملأن جهنم والثاني أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة. والمزيد إما مصدر كالمحيد والمميد وإما اسم مفعول كالمبيع. غير بعيد نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل. قرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية. ولكل أواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم. وهذا إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت. والأواب الرجاع إلى ذكر الله. والحفيظ الحافظ لحدوده. ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لأن من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من

لم يمسنا من لغوب ... ثم يعينا بون منها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون

لا يزال محسنا احسن اليه وحذف حرف النداء للتقريب . بالغيب حال عن المفعول اى خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذى اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد

فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهى الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اى سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود . ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد . فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة : نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال . ودخلت الفاء للتسبب عن قوله هم اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة

وهو ان تنقب خف البعير ...

ونقبت كما تنقب اخفاف ...

اى قلب واع لان من لا يعي ...

من لا يحضر ذهنه فكا ...

من اهرهة والفتى بمصقله ...

بعض الشهداء في قوله لبكا ...

بعيته عنده وقرأ السدى ...

فحسب ولم يحضر ذهنه و ...

بالفتح بمعنى القبول والولـ ...

ايام اولها الاحد وا ...

من التشبيه في هذه الامة ...

وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا

وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره وعلى الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يعنى واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبى صلى الله عليه انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم ينادى والمنادى اسرافيل ينفخ في الصور وينادى ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى اقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور . علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهى ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم : الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا جريا ذا يسر اى ذا سهولة الفلك ومعنى يسرا سهلا

لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون

يا ايها المحسنا اخشن ايا وحذف حرف النداء للتقريب . بالغيب حال عن المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشي مع ان المخشي عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود . ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه اماتيهم حتى يشاؤوه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد . فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة : نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال . ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرا فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال : ما مسها من نقب ولا دبر . والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او من الموت . لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له . والقى السمع اصغى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من ياخذ عنه : ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاباذ لسقي الزروع . او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرا السدي وجماعة القي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القي غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القي سمعه او السمع منه . اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ . فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه

وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا

وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال . بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره وعلى الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم . واستمع يعني واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلى الله عليه انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية . والصيحة النفخة الثانية

فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك

والمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد يتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه واما على الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر ان ما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير: مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم

قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون

في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فيم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان تكون ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال: قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله

ومن اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون

لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل
الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي
لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره
حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين
فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة
وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم
والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم
ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في
برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين
للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام
نافذة كلما راوا آية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم
في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير
فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن
والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة
على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما سوى
في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل
فتبارك الله احسن الخالقين رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة
منه وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون
الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى
كله مقدر مكتوب في السماء قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا
مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما
انك ترى وتسمع ومثل ما انك هاهنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي
صلى الله عليه وسلم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل
قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله

هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء
بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم
فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم

وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما
وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي
قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل
غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف
لم يصدقوه بقوله حتى الجاؤه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه هل اتيك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس
من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه
وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك معهما جعلهم ضيفا لانهم كانوا
في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم
امراته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر
باكرام ابرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه
واصله نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة
على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين
وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام
او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا
وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى
اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يباده بالقرى من غير ان يشعر
به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء بعجل والهمزة
في الا تاكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن
انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق
وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد
هو اسمعيل في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة
قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل
فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت
ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب عجوز انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك

قال كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين
مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون
العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهو مليم وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين
وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين

الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل قال لها
انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا اجذوعه مورقة مثمرة لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله
رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبتكم الى قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من طين يريد
السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل
واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا
سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم الضمير في فيها للقرية ولم
يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل
كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان
محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر
منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى معطوف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى
وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل
فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر مليم آت بما يلام عليه
من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه فان قلت كيف وصف نبي الله يونس
صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى
حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى
الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة
العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء
وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب والرميم كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك
حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة
وهي المرة من صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون وكانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة
كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل
هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح و
يقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم
نوح بايد بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة
والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة فنعم الماهدون

والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا
الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين

فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء اي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض و
الليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى
فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا
فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به
وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل
كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى
تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى
لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم رسول
الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم
قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان
هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج
فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير
والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المومنين اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان
او تزيد الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله واشتد ذلك على اصحابه ورأوا
ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة
ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما
اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع
كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة
مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما ملكوهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة
ليفيء ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق
او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق
فاما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي
ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي
المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة

فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون بسم الله الرحمن الرحيم
والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي
كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون

والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه اني انا الرزاق
الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال
لنا ذنوب ولكم ذنوب ؛ فان ابيتم فلنا القليب ؛ ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس
من نداك ذنوب ؛ قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيبا من عذاب
الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم من يومهم من يوم القيمة
وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد
كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون وقيل ثمان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين والكتاب
المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ
وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء
الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين
والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل
يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سال يهوديا اين موضع النار في كتابكم
قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله
صلى الله عليه اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت
خوفا من ان ينزل العذاب تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض
كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم
كالذي خاضوا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم
الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرا زيد بن علي يدعون من الدعاء
اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا
تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم سواء خبر محذوف
اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون
قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر

ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم
بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم
مما يشتهون

على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم
بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون
من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت
علام عطف قوله ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى
فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا
واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا
مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل
مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا هاهنا هناكم
الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا
اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين
آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة
بمؤانسة الاخوان المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه ان الله يرفع ذرية المؤمن
في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في
انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان
كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان
قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعناهم ذريتهم وذرياتهم
وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما
نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم
انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ التناهم وهو من بابين من الت يالت ومن الات يليت كامات يميت و
آلتناهم من آلت يولت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ
بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل
عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت

يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون

يتنازعون يتعاطون ويتناولون هم وجلساؤهم من أقربائهم وإخوانهم كأساً خمراً لا لغو فيها في شربها ولا تأثيم أي لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ ويطوف عليهم غلمان لهم أي مملوكون لهم مخصوصون بهم كأنهم لؤلؤ مكنون في الصدف لأنه رطباً أحسن وأصفى أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين أرقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقّانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة إنا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير إليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية إنه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي إذا عُبد أثاب وإذا سُئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لأنه فذكّر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين وقرئ نتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال أمن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الأصل فعول من منّه إذا قطعه لأن الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي أم تأمرهم أحلامهم عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فإن قلت ما معنى كون الأحلام آمرة قلت هو مجاز لأدائها إلى ذلك كقوله أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقوَّل لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب وقرئ بحديثٍ مثله على الإضافة والضمير لرسول الله ومعناه أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادراً

أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن رحمة ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم

فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن أم خلقوا أم أحدثوا وقدّروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدّر أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكّون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم أم عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة أم هم المسيطرون الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد أم لهم سلّم منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدّق استماع مستمعهم أم له البنات ولكم البنون ثم سفّه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون أم تسألهم أجراً على التبليغ والإنذار فهم من مغرم من غرامة أن يلتزمهم الإنسان مما ليس عليه أي لزمهم مغرم مثقلون فلذلك زهدوا في اتباعك أم عندهم الغيب أي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب أم يريدون كيداً وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون وإن يروا كسفاً قطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون يموتون وقرئ يُصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق وإن للذين ظلموا وإن لهؤلاء الظلمة عذاباً دون ذلك دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريباً واصبر لحكم ربك بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فإنك بأعيننا مثل أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله ولتصنع على عيني وقرئ بأعينّا بالإدغام حين تقوم من أي مكان قمت وقيل من منامك وإدبار النجوم وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح يعني في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشائين وإدبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعّمه في جنته

سورة النجم مكية احدى وستون وقيل ثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم الثريا وهو اسم غالب لها قال إذا طلع النجم عشاً ابتغى الراعي كساءً أو جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيره يريد النجوم إذا هوى إذا غرب أو انتثر

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى
وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى

يوم القيامة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا
هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت
رسول الله صلى الله عليه اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم
اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها فقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره
ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه
اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة
فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان: من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع
ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض
الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من القرآن ليس بمنطق
يصدر عن هواه ورايه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب
بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى شديد القوى
ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن
قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف وراى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض
المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة في دينه
فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في
صورة دحية وذلك ان رسول الله احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو
افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه مرتين مرة في الارض
ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي
الثمر المعلق وقال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى
قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرا زيد بن علي قاد وقرئ
قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع
ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من
الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا

فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ
يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى

فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت
هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم
كقوله او يزيدون الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم
للوحي الذي اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب فؤاد محمد
ما راه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه
راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه
من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا
وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا: لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال
مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت
النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل نزلة اخرى
في صورة نفسه فراه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش
ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها
احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهي اليها ارواح الشهداء وقرا علي
وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها انكرته وقالت من قرا به فاجنه
الله ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله
اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن
رسول الله صلى الله عليه رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف
من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ بصر رسول الله وما طغى اي اثبت ما
راه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها
ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد راى والله لقد راى من آيات ربه الايات التي هي كبراها وعظماها
يعني حين رقي به الى السماء فاري عجائب الملكوت اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات
فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
ويعكفون للعبادة اي يلتوون عليها اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن

الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى

بالزبيب ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز وبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ ومناءة وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اى تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اى وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهن آلهة تلك اذا قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى فعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضيزى من ضازه بالهمز وضيزى بفتح الضاد ان هي الضمير للاصنام اى ما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او صفة للاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربى ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الآخرة والاولى اى هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى به من علم اى بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اى بالملائكة او التسمية

وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات والارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى

لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء وقرئ لنجزي ونجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اى النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر اكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روى ان عثمن رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمن ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء

أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى

نزلت ويعني تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل فهو يرى فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق وفي قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء أو بمعنى وفر وأتم كقوله فأتمهن وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله بشيء إلا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين إبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم إبراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما إليكم فلا وعن النبي صلى الله عليه وفي عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول إذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون إلى حين تظهرون وقيل وفى سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف أن لا تزر أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما فقيل أن لا تزر إلا ما سعى إلا سعيه فإن قلت أما صح في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الأضعاف قلت فيه جوابان أحدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الأضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى أو أبدله عنه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا وأن إلى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله وإلى الله المصير أضحك وأبكى خلق قوتي الضحك والبكاء إذا تمنى إذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى وعن الأخفش تخلق من منى الماني أي قدر المقدر قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة وأقنى وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا عادا الأولى قوم هود عاد الأخرى

والعبور أشهر مما ضيا وخصت بالذكر لأن أبا كبشة ...

وأنه أهلك عادا الأولى وثمودا فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأي آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون
فاسجدوا لله واعبدوا بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر

إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الأشراف وقرئ عادا الولى وقرئ وعاد لولى بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود أظلم وأطغى لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة والمؤتفكة القرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات أهوى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله أو للإنسان على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الأولى إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة أزفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وأنتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجارية اسمدي لنا أي غني لنا فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق

سورة القمر مكية بمحمد وجحد به بمكة وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم :: انشقاق القمر من آيات رسول الله ومعجزاته النيرة عن أنس أن الكفار سألوا رسول الله آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حالة قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات

ودنت دنوا قريبا لأن في اقترب من المبالغة ما ليس في قرب وكذلك اقتدر لأن أصل افتعل طلب إعداد الشيء بالمبالغة

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر
فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم
عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر

وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء
اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار
ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع
الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد سيصير الى غاية
يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر
على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر
اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا
على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله من الانباء من القرآن المودع انباء
القرون الخالية وانباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى
هو في نفسه موضع للازدجار ومظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر
بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما
فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت
تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي او انكار وما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر
فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداعي بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط
الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل او جبريل كقوله يوم يناد المناد الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس
لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين
فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي
لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طيئ ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله: وجدته حاضراه الجود والكرم. وخشوع
الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من
الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض
جاءوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين
اليه لا يقلعون بابصارهم قال: تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع. قبلهم قبل
اهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا
فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم

فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح
ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر

نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة
الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين
وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرئ
اني بمعنى فدعا باني مغلوب واني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم
الياس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل
الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع
اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون
الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي النوعان
من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال: لنا ابلان
فيهما ما علمتم. وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها الله
كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء
بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان على ذات الواح ودسر
اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل
بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك: ولو في عيون النازيات
باكرع: اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع
والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من
دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك
جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلم نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد
الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف
الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر اي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جرا اي مجازاة الضمير في تركناها
للسفينة او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي
دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا
وادغام الذال فيها وهذا نحو مذجر والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذن لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر

بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسرنا قته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه قال وقمت إليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت أصنع ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلونها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن ونذر وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في أيام نحسات قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بأيدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كأنهم أعجاز نخل منقعر يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية أبشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام كأن يقول إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كأن بها سعرا إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب فإن قلت كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا أبشرا إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة أشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة من الكذاب الأشر أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حذر وحذر وحدث وحدث وجلز وجلز وأخوات لها وقرئ الأشر وهو الأبلغ في الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الأنباري يقول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره مرسلو الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون

ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر

واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف صيحة واحدة صيحة جبريل والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد مرت بأعلى السحرين تذأل وصرف لأنه نكرة ويقال لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه نعمة إنعاما مفعول له من شكر نعمة الله بإيمانه وطاعته ولقد أنذرهم لوط عليه السلام بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا أعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة بكرة أول النهار وباكرة كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منصرف يقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير وبكرة وغدوة إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة فإن قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن تقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان النذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الإنذار بآياتنا كلها بالآيات التسع أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم

أي يحضره القوم يوما وتحضر الناقة يوما وقيل فعل بهذا يكون المراد بكل شرب شرب الماء وشرب اللبن فالمعنى يحضر القوم الماء في نوبة القوم ويحضر القوم اللبن في نوبة الناقة

ما يمنع الصرف الآن تقدير العلمية مع العدل عن الألف واللام

ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على
وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل
صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه
البيان

بتلك البراءة نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه
يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت
هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما راى رسول الله صلى الله عليه يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف
تاويلها ويولون الدبر اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الادبار ادهى اشد وافظع والداهية
الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والاسر وقرئ سيهزم الجمع في ضلال
وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة مس سقر كقولك مس الحمى وذاق
طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر
بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة
اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتانيث كل شيء
منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي
خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما
قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اراد
قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم في الزبر في دواوين
الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر وانهار اكتفى
باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في
الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها
والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم
القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل الا آية واحدة وقيل فيها مكي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم عدد الله عز وعلا آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء
ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى
مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة
واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق
الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله
وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح
المعرب عما في الضمير

الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان

والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد
كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه
بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم
السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق ويسجدان ينقادان
لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان
الجملتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود
له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول
ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر
ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل
ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض
لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر
وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس الانسان آدم وعنه محمد صلى الله عليهما وعن مجاهد النجم نجوم
السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره
ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع
الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقسطاس
ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به
من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا لئلا تطغوا او هي ان المفسرة وقرا عبد الله لا تطغوا
بغير ان على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر
بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم
السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف
الجار واوصل الفعل وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن
الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفة وسعفة
وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف
الكفرى بضم الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء كم النخل لانه يستر ما في جوفه والجمار شحمة النخل

رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان

والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ
والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرى والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام
والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل
معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان
او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه والخطاب
في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان الصلصال الطين اليابس له
صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز
وجل من حما مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا
ثم حما مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل
المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله من نار قلت هو بيان
لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى وقرى
رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين ارسل البحر الملح
والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان
لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وقرى يخرج ويخرج من اخرج وخرج ونخرج اي
الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ
وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا
كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول
خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
الجواري السفن وقرى الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت
المرفوعات الشرع وقرى بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم
وهو الجبل الطويل عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة
يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على
صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك
او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه
الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك

يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان ٣١١

فان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك كل من اهل السموات والارض
مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شان
اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه تلاها فقيل له وما ذلك
الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله
يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر
يوم القيمة فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسال
بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني
ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله انه يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي
معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير
ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل
وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة
وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال
الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله خص هذه
الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان
ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم
هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه سنفرغ
لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا
يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها
وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل
ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرى سيفرغ لكم اي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مكسورا ومفتوحا
وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم
الثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان
ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على
النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء ودونك

يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام فبأي آلاء ربكما
تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان

أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة
أحاطت به شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد
تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس
إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعاً عطفاً على شواظ ومجروراً عطفاً
على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ
نرسل عليكما شواظاً من نار ونحاساً فلا تنتصران فلا تمتنعان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال
كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام قال كأنهما مزادتا متعجل
فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الأديم الأحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت
سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم
إنس بعض من الإنس ولا جان أريد ولا جن أي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن
كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون
لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فإن قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم
أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسئولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون
في آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون
وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن
فراراً عن التقاء الساكنين وإن كان على حده فيؤخذ بالنواصي والأقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته و
قدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام حميم آن
ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا
من النار جعل غياثهم الحميم وقيل إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم
في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً وقرئ
يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها
تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة
الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب
يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم
عليه أي حافظ مهيمن من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته

ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما
تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان

وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين
يريد ونفيت عنه الذئب فإن قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما
جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي
لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل لقوله وزيادة خص الأفنان
بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار
وقيل الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش
أخضر ناضر عينان تجريان حيث شاءتا في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان
بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب
على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن
من الإستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد
والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن
لا ينظرن إلى غيرهم لم يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن
يطمثون كما يطمث الإنس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر
أنصع بياضاً قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء
هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة يعني
أن كل من أحسن أحسن إليه وكل من أساء أسيء إليه ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين
جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة نضاختان فوارتان
بالماء والنضخ أكثر من النضح لأن النضح غير معجمة مثل الرش فإن قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة
وهما منها قلت اختصاصاً لهما وبياناً لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل
وميكائيل أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة
رحمه الله إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيّرات فخففت
كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ
خيّرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة
وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر

وبين أنه يجوز عود ضمير جمع المؤنث
إليهما لاشتمالهما على أماكن فلذلك
يكون في معنى الجمع

حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة
خافضة رافعة

الجنتين ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب
عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني
نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الوجه لصحته فان قلت
كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان
ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه **سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة و
المراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر
نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك
يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا
تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر
النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي
او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم
كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال
به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم
الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث
والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب
اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب فيما حدثته به نفسه من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير
اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي
خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها
ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما
انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب
وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال رجت حركت تحريكا شديدا

اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين

حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها
كقوله وسيرت الجبال منبثا متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام
بنت الخس عينها هاج وصلاها داج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت
هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه
عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر
بعضها مع بعض ازواج فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها
بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال
اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشؤمهم بالشمائل ولتفؤلهم بالسانح
وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم
وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما
دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم
داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة
فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال
ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون
السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري
كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون
خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على السابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على
الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة المقربون في جنات النعيم الذين
قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم والثلة الامة من الناس الكثيرة
قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على
الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الامم وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى
ان السابقين كثير من الاولين وهي الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليهما وقليل من الآخرين وهم امة محمد وقيل
من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه الثلتان جميعا من امتي
فان قلت كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين

على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون
وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة

وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا فان قلت فقد روي انها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول
الله يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في
السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين
ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم مثل
تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل
بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها
من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في
اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد
الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات
فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام
اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته
لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله
يومئذ يصدعون وتصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقهم يتخيرون ياخذون خيره وافضله يشتهون
يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج
او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى
يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك
كله جزاء باعمالهم سلاما سلاما اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا
بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ
سلام سلام على الحكاية السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر
الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله
نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه
انه قرأ وطلع وما شان الطلح وقرأ قوله طلع نضيد فقيل او نحولها قال اي القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول
وعن ابن عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط
لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم
الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا

لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم
وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون

ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على
وهناك فاكهة كقوله وحور عين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة
على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على
الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا انشاناهن وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل
عليهن انشاناهن انشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد
انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه ان ام سلمة سألته عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة
هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما
اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله ليس هناك
وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي
فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية عربا وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب
وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين وازواجهن ايضا كذلك
عن رسول الله صلى الله عليه يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلثين واللام
في لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء حار متناهي الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال
سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل
من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة
وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو
كذلك والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث
في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج او آباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف
فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة
كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ او آباؤنا وقرئ لمجموعون الى ميقات
يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به
الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ايها الضالون
عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية
لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم

أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد
علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون
بل نحن محرومون

فقد جعل الضمير للشجرة وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم قرئ بالحركات
الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي
ما يشرب به الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة: فأصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها. وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء
وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم
من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملأوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى
شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم فإن قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما
لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا متفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم
على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا
صفتين مختلفتين النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشعر الضبي
وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا. وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض
على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون
به وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا ما تمنون ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام من النطف
وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة إذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه
قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم
من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه
منه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي
على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر
على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي
على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها وقرئ النشأة والنشاءة
وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى أفرأيتم ما تحرثونه من الطعام
أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي إلى أن يبلغ الغاية
وعن رسول الله صلى الله عليه لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة أرأيتم إلى قوله أفرأيتم الآية و
الحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الأصل
تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها

أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم
أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم

وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم إذ غار ماؤها
فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون أي يتندمون إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك
رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون محارفون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى
علينا هذا وقرئ أئنا الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب والمزن السحاب الواحدة مزنة
وقيل هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب ماء أجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فإن قلت لم أدخلت
اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا قلت إن لو لما كانت داخلة على جملتين
معلقة ثانيتهما بالأولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى
الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب
علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن
الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى
إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالي حذفه
وإثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس: حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا. وحذفه لم أر فإذن
حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة
مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التأكيد لا محالة فأدخلت في آية
المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب
من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت
تحت قول أبي العلاء: إذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا أضيافهم شبما زلالا. وسقي بعض العرب فقال
أنا لا أشرب إلا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب تورون تقدحونها وتستخرجونها من
الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما
بالفحل والطروقة شجرتها التي منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا
بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وأنموذجا
من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم
ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال
أقويت من أيام أي لم آكل شيئا فسبح باسم ربك فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك
والعظيم صفة للمضاف أو للمضاف إليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده قال فأحدث

فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين
افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون

التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط آلائه واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لا فعل في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر رضي الله عنهما احب الي ان لا يقرا الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرا علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث

فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة وروى عائشة عن رسول الله صلى الله عليه فروح بالضم وقرا به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الواقعة في كل ليلة ابدا لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح ويصح فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء

هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم

واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدركه الحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ اى علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم مستخلفين فيه يعنى ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بالانفاق منها انفسكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل فى ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اى وما لكم كافرين بالله والواو فى والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ليخرجكم الله بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته الا تنفقوا وقرئ ان لا تنفقوا اى ان لا تنفقوا ولله ميراث السموات والارض يرث كل شئ فيها لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى واى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوى منكم من انفق قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس فى دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق فى سبيل الله القرض الحسن الانفاق فى سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اى يعطيه اجره على انفاقه

من قبل الفتح صح

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

٣٢١

مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم يعنى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه وقرئ فيضعفه وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على فهو يضاعفه يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اى ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذى يلى الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرا زيد بن على رضى الله عنه فضرب بينهم على البناء للفاعل الم نكن معكم يريدون موافقتهم فى الظاهر فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وغرتكم الامانى طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فدية ما يفتدى به هى مولاكم قيل هى اولى بكم وانشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هى ناصركم اى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل يتولاكم كما توليتم فى الدنيا اعمال اهل النار الم يان من اتى الامر يانى اذا جاء اناه اى وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يانى ولما يان قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان

الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل المسلم اى مخلقة ومجدرة وعن ابى عبيد معناه ان هذا مما يعرف به فقه الرجل وهى مفعلة من ان التوكيدية وحقيقتها مكان لقول القائل انه لعالم وانه لفقيه

ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم

عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ ينزل ونزل وانزل ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف يسوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول

وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز

فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه من يشاء وهم المؤمنون المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبراها يعني الانفس او المصائب ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال لكيلا تاسوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما آتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرئ فان الله الغني وهي في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه باس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله

ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن
مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته

باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه
ولا يبصرونه إن الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في إهلاك من يريد إهلاكه عنهم وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا
به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب والكتاب والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا
وكتابة فمنهم من الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أي
فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل
والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لأن الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب وقرئ رآفة على فعالة
أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة أصحاب رسول الله رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم
في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين
بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا
الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ
ورهبانية بالضم كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره
الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم
لم نفرضها نحن عليهم إلا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد أهل
الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن يكون الرهبانية
معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم إلا
ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا
بذلك رضى الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية
أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا أيها الذين آمنوا يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من
أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فإن كان خطابا لمؤمني أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى
آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين أي نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة
نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما أسلفتم من الكفر والمعاصي
لئلا يعلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة أن لا يقدرون أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا
يقدرون يعني أن الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله أي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة

ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله
سميع بصير

لأنهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وإن كان خطابا لغيرهم فالمعنى
اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله أولئك يؤتون
أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله روي أن رسول الله
صلى الله عليه بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب
له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فأذن لهم فقدموا مع
جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا
بأموالهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن
من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين
وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على
غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم
لأن يعلم بادغام النون وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام
وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة أن وأدغمت نونها في لام لا فصار
للا ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشد
أريد لأنسى ذكرها وقرئ أن لا يقدروا بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يشاء إلا
إيتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع
سمعه الأصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان
إذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك أي تراجعك الكلام وتجادلك أي تسائلك هي
خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها
فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله فقالت إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب
في فلما خلا سني ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت له إن لي صبية صغارا إن ضممتهم
إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا فقال ما عندي في أمرك شيء وروي أنه قال لها حرمت عليه فقالت
يا رسول الله ما ذكر طلاقا وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله
فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله فنزلت في زوجها في شأنه ومعناه إن الله

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور

يسمع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر **فان قلت** ما معنى قد في قوله قد سمع الله **قلت** معناه
التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها
الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة
دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم
وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام
وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة
انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن
بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن
بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات
في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا
باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام
ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة
ووجه اخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد
غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما
كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول
منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس
والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم
بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب
الله عليه **فان قلت** هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ **قلت** نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به
عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا اخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ
او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من
الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي رضي الله عنه لا يكون الظهار الا
بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين
يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله
ونسوه والله على كل شيء شهيد

اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون
ظهارا **فان قلت** فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه **قلت** لها ذلك وعلى القاضي
ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر
بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها **فان قلت** فان مس قبل ان يكفر **قلت** عليه
ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله ظاهرت من امراتي ثم ابصرت
خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر **فان قلت** اي رقبة تجزئ
في كفارة الظهار **قلت** المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي رضي الله عنه لا تجزئ
الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذي
ادى شيئا فان لم يؤد جاز وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز **فان قلت** فان اعتق بعض الرقبة او صام
بعض الصيام ثم مس **قلت** عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي
يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى **فان قلت**
كم يعطي المسكين في الاطعام **قلت** نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضوان الله عليه
مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه **فان قلت** ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند
الكفارتين **قلت** اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على
المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستانف كما يستانف
الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء **فان قلت** الضمير
في لم يتماسا الام يرجع **قلت** الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام
والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه
في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب
اليم يحادون يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت من قبلهم من اعداء الرسل قيل
اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين
بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم
جميعا كلهم لا يترك منهم غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم
وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه
الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي

والله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شيء عليم ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله

وإنما تحفظ معظمات الأمور ما يكون من كان الناجية وقرئ بالياء والتاء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن
فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو إما أن تكون مضافة إلى ثلثة أي من
نجوى ثلثة نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلثة فحذف الأهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة كقوله
خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون لأن نجوى يدل عليه أو
على تأويل نجوى بمتناجين ونصبهما من المستكن فيه فإن قلت ما الداعي إلى تخصيص الثلثة والخمسة قلت
فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة
فقيل ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا أدنى من عددهم ولا أكثر إلا والله معهم
يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان
ابن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا و
قال الثالث إن كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها لأن كونه
عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى
والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل واحد وإنما هم طائفة مجتباة من أولي النهى والأحلام
ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال
وحكم به الاستصواب ألا ترى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم
يتجاوز بها إلى سابع فذكر عز وعلا الثلثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والأربعة
وقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله
خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا وقرئ ولا أدنى
من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى
كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول
ولا قوة إلا بالله وأن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا
هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم
ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف كانت اليهود والمنافقون
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله
فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته
وقرئ وينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله يعني أنهم يقولون

ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم
درجات والله بما تعملون خبير

في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها
الرسول ويا أيها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا
الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يا أيها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم
ويجوز أن يكون للمؤمنين أي إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى
وعن النبي صلى الله عليه إذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروي دون
الثالث وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود إذا انتجيتم فلا تنتجوا إنما النجوى اللام إشارة إلى النجوى بالإثم
والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين
آمنوا ويحزنهم وليس الشيطان أو الحزن بضارهم شيئا إلا بإذن الله فإن قلت كيف لا يضرهم الشيطان
أو الحزن إلا بإذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن
أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي
الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وقرئ في المجالس
قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو
الجلوس أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه
من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس
رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا إلى الصلوة والجهاد
وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر
رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما يعملون قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه بين
العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة
ثلثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله
وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وقال
عليه السلم أوحى الله إلى إبرهيم يا إبرهيم إني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك

يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين
يدي نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا
قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون

من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم
فالى ذل ما يصير وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال بين يدي نجويكم استعارة ممن له يدان
والمعنى قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم
ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان
الناس اكثروا مناجاة رسول الله بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من
اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول
في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا
وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من
نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله وعن
ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه
الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالاية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة
ءاشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه
فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون قرئ بالتاء والياء كان المنافقون يتولون اليهود
وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين
ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب
اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب
بحت فان قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء
علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له
كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى
اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل فقال عليه السلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت عذابا شديدا نوعا من
العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه

اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون
استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او
عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان

او هي حكاية ما يفعل لهم في الاخرة وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه
جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا
يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزي
لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب من الله من عذاب الله
شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا فيحلفون
لله تعالى على انهم مسلمون في الاخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس
العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد
دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب
والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم
عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف
العلماء في كذبهم في الاخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الاية وفي قوله والله ربنا
ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم انهم على شيء من
النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل
عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب
حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والاخرة استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا
جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق
اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ان يذكروا الله
اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده في الاذلين في جملة من هو اذل
خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما لا تجد قوما
من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه لا ينبغي
ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب
في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا
بقوله ولو كانوا اباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان
بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو
الاخلاص بعينه كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه

التخييل ان لا يكون للمشبه به تحقق كما في هذا الموضع فان امتناع وجود مؤمنين يوالون المشركين تخييل واما
انه ينبغي ان لا يوالوا المشركين فامر محقق فشبه هذا المتحقق بذلك الممتنع للمبالغة

وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر

بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحيوة القلوب وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابى رواد انه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروى انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى ابى عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفى ابى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر عليه السلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابى المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام فى لاول الحشر تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحيوتى وقولك جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام

ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين

وعن عكرمة من شك ان المحشر هاهنا يعنى الشام فليقرا هذه الآية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتيهم امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك فان قلت اى فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه قلت فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فاتاهم الله اى فاتاهم الهلاك والرعب الخوف الذى يرعب الصدر اى يملاه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان فى ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها بايدى المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوه اياهم فاعتبروا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعنى ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم فى الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بنى قريظة ولهم سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعنى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل اى شئ قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما فى قوله او تركتموها لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها

وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

كالدينة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها لين وقرى قوما على اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن او اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرى قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه حين امر ان يقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رايتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال فان قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرى بهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وادیل لفلان ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد

كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة

من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرى دولة بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة يعني كيلا تقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما في كل ما آتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرا علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او جعلوا الايمان مستقرا ومستوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا

المعنى تبوؤا الدار اخلصوا الايمان او قلت جعلوا الايمان مستقرا تمعن من قبلهم من قبل

ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون

ودِيارنا ونؤثرهم بالقسمة ولا نشاركهم فيها فنزلت. الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال. يمارس نفسا بين جنبيه كزة إذا هم بالمعروف قالت له مهلا. وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما أمرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فأولئك هم المفلحون الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوقّ والذين جاءوا من بعدهم عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد لإخوانهم للذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولأنهم كانوا أولياءهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم أحدا من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة لكاذبون أي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب. فإن قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله. فإن قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد قلت معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوما أولي بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين إلا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد الله ونصرته معكم وقرئ جدْر بالتخفيف وجدار وجَدْر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي ألفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم

كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون

على قتالهم قوم لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم كمثل الذين من قبلهم أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. فإن قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا وبال أمرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم إلى قوله إني بريء منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ أنا بريء وعاقبتهما بالرفع كرر الأمر بالتقوى تأكيدا أو اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالأمس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد. فإن قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله لا يرتد إليهم طرفهم هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه قوله وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصّدّعا على الإدغام وتلك الأمثال إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح

هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة

والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله صلى الله عليه آمن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروي عزيرا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر

وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء فقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله بسبب المودة فان قلت وقد كفروا حال مما ذا قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استئناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيكم في موالاة الكفار

قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد

بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من
اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب
حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا
لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام
هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة و
البغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد
بشانكم ولا بشان آلهتكم وما انتم عندنا على شيء فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت
من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة
يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال
قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت
اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال
انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل
الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه
وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابرهيم وقومه في البراءة
منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ
برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر
والبراء والبراءة كالظماء والظماءة ثم كرر الحث على الائتساء بابرهيم وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذلك
جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر
وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه
الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى
الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم
فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي
ما تم وقيل تزوج رسول الله ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة
وقد كانت ام حبيبة اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية

عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن

فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها
اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذاك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك
حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين
والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم
من المشركين انبهم وهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا
ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة
متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم
من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن
عن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر
امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول
الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم
وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين
به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم اذا جاءكم المؤمنات سماهن
مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات
لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق
ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض
زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا
لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن
ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو
الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن
المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن
من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد
اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه بالحديبية
فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت
لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط كان في الرجال دون النساء

اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار

وعن الضحاك كان بين رسول الله وبين المشركين عهد ان لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى الله عليه من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر **فان قلت** كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن **قلت** ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم **فان قلت** فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه **قلت** فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما ان يبين لهم ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد **فان قلت** هل لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة **قلت** نعم الفائدة ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا

فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم

في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بالعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلى الله عليه مهور نسائهم من الغنيمة ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف **فان قلت** ولو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يأمر الا بمعروف **قلت** نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن

الولد فيكون كناية والتحقيق ان يقال ذكر المبهوت واراد المبهوت به وهو الولد

يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون

فقالت ان ابا سفين رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفين
ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة
قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية
ما زنت منهن امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم
وكان ابنها حنظلة بن ابي سفين قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين
ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك
في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا
بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان
عمر يصافحهن عنه روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل
لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله
وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التورية كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء
وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تيقنوا قبح
حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء

سورة الصف مكية وقيل مدينة وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل
عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعلام والام وانما حذفت الالف لان ما والحرف
كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة
هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقاء حركة
الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا اذا
انبئنا بأحب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله
على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت
ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب
وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي عليه السلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال
عمر قتله صهيب قال كذلك يا ابا الحسن قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداهم بالايمان

ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين

تهكم وبما بهم هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت
ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج
عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون
مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه
قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه
عند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك
وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل
مقت الله في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت
قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء
وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص
بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة
كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه
الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان واذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال
لهم ما كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه
وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة و
التكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا
اني رسول الله وقضيته علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان
من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله
لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع الطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد
كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى
لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التورية وفي حال
تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من
بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح
الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير

قوله دلالة مفعول له لتعجب يريد انه عدل عن ان يقال
ان قوله طيبا تمييز
للعا الفاعل وليس خلاف

واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

من الرزق ويرضى الله عنهم بالتيسير من العمل **فان قلت** بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام بالیكم **قلت** بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ارسل نبيه تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا وتؤمنون استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا **فان قلت** لم جيء به على لفظ الخبر **قلت** للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت **فان قلت** هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه **قلت** وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم **فان قلت** فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنه تؤمنوا وتجاهدوا **قلت** وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملنا فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون

يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين

ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم **فان قلت** ما معنى قوله ان كنتم تعلمون **قلت** معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل **فان قلت** علام عطف قوله وبشر المؤمنين **قلت** على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك **فان قلت** لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا **قلت** يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا قرئ كونوا انصار الله وانصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم **فان قلت** ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصاري الى الله **قلت** التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله **فان قلت** ما معنى قوله من انصاري الى الله **قلت** يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواري من امتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فامنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فايدنا

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين

مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكانت وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد الأمي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث في الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرئ في الاميين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرأها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان في وان كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل مثلا

من كلام المصنف

يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع

مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها وقرئ حملوا التوراة اي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني هاد يهود اذا تهود اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ زيد بن علي انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجمعون

فيه كل سبعة وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم
السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة
فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكّرهم فسمّوه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول
جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا
نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسّس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد
لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلث افتخروا بانهم اولياء
الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب
لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة
وعن النبي صلى الله عليه خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل
الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه
عليه السلام اتاني جبرئيل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون
لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد
وعنه ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضّل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلم من مات يوم الجمعة كتب الله
له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب
المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت
الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون
بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكّر
فرأى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع
اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه الله الا في مصر جامع لقوله عليه السلام
لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود
ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها
وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود
والجمعات فان امّ رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يكن

الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند
الشافعي رضي الله عنه باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى
ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن
مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من
اقرأك هذا قال ابيّ بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط
ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى
فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على
النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه ان ابن عمر سمع الاقامة وهو
بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة
والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار
يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال
الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام
فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر
عليه احد وعند صاحبيه والشافعي رضي الله عنه لا بد من كلام يسمى خطبة فان قلت
كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء
عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما
ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن
ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا
افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام اراد الامر
بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم
يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم
واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة
وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع
عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا
واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه متقارب

ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

فان قلت فاذا كان البيع فى هذا الوقت مامورا بتركه محرما فهل هو فاسد قلت عامة العلما على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة فى الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شىء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون هممهم فى جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشىء من امور الدنيا نظرا فى هذه الآية روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقى معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات فى كل مقدم عير فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام فى صلوة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقى وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابى حنيفة يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها فى امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون فى قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة فى الحقيقة

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم

فهم كاذبون فى تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اى فائدة فى قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله فى موضع اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين فى استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اى ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اى ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت فيه ثلثة اوجه احدها آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اى وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثانى آمنوا اى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن على فطبع الله كان عبد الله بن ابى رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤسا المدينة فكانوا يحضرون مجلس رسول الله فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت

رجل جهير اى ذو منظر

كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون

شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في وإذا رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشْب جمع خشبة كبدنة وبُدْن وخُشُب كثمرة وثُمُر وخشَب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خُشُب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعاً بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فإن قلت حقه أن يقال هي العدو قلت منظور فيه إلى الخبر كما ذكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك أنى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجباً من جهلهم وضلالتهم لووا رؤوسهم عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان جهجاهاً جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمداً إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة

يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا

ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني أضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال إذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصارياً فقال وكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وقال عليه السلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وإن زيداً لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروي أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن الله صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال إن حباباً اسم شيطان وكان مخلصاً وقال وراءك والله لا تدخلها حتى يقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيساً في يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً فلما بان كذب عبد الله قيل له نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي فزكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعاً لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلباً لهمزة الوصل ألفاً كما في آلسحر والله ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السموات والأرض وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى

لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين

اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عند الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن على البناء للمفعول وقرا الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة والغلبة والقوة لمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكوة والله لو راى خيرا لما سال الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرا عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة لولا اخرتني وقرئ اخرتني يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرا ابي فاتصدق على الاصل وقرئ واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرا واكون على النصب فعلى اللفظ وقرا عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح

ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير

ولن يؤخر الله نفي للتاخير على وجه التاكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية وقيل مكية الا قوله يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم الآية

بسم الله الرحمن الرحيم قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا

يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور الم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير

واليه مصيركم فجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه **فان قلت** كيف احسن صورهم **قلت** جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في احسن تقويم **فان قلت** فكم من دميم مشوه الصورة تقتحمه العيون **قلت** لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفية عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران من العباد لن يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم **فان قلت** قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا **قلت** معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا اهل مكة وبلى اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف وعني برسوله والنور محمدا صلى الله عليه والقرآن وقرئ يجمعكم ويكفر ويدخله بالياء والنون **فان قلت** بم انتصب الظرف **قلت** بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر

فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم

ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا الا باذن الله الا بتقديره ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول الله على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو

انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة

وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا ومنعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم باذائهم فنزلت فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا ما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم خص النبي صلى الله عليه بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة

رسول الله صلى الله عليه في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلثا في ثلثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله عنه لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي رضي الله عنه يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو اثم لما روي عن النبي صلى الله عليه ان رجلا طلق امراته ثلثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والايسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف يفرق عليهن الثلث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت هل يكره ان تطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء

واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضى عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هى الزنى يعنى الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن ويؤكده قراءة ابى الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه الامر الذى يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى رضى الله عنه هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعى الباقى ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اى ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شىء قدرا واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائى لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا

فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضائق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبى صلى الله عليه انه سئل عمن طلق ثلثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعنى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك الاشجعى اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية بالغ امره اى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع اى نافذ امره وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال قدرا تقديرا او توقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شىء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل روى ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لا يحضن فنزلت فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائى لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابى وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن على وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التى في البقرة يعنى ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام سلمة ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال لها قد حللت فانكحى يجعل له من

الاقصر والمراد بسورة النساء القصرى من سورة الطلاق

ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف

امره يسرا ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء
المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة
عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك
استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في
قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن فان قلت
من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا
من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة
ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه فان قلت فقوله من وجدكم قلت
هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة
وعند مالك والشافعي رضي الله عنه ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة
لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله لا سكنى لك ولا نفقة
وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت
النبي صلى الله عليه يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا
عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او بشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن
الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها وقيل هو ان
يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة
الشرط في قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت
فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فان قلت
فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع
على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله
بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن
لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية
فآتوهن اجورهن فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستئجار
اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار

وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله
بعد عسر يسرا وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها
خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا
من الظلمات الى النور

بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم بعضا والخطاب
للآباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما
شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة
غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى
سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وقوله له اي للاب سيجد الاب غير معاسرة
ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من
الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ
لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق وقرا ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت
بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا عتت عن امر
ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا
وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون
من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان
المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد وقوله اعد الله لهم عذابا
شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك يا
اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات و
استقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل
وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين رسولا هو جبريل صلوات
الله عليه ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله
منه او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف
اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او
جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم
كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا
اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول
انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم
كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون

عتت صفة واعد خبرا ويكون المراد بقوله
فحاسبناها الى آخره ما اشار اليه بقوله احصاء السيئات
الى آخره وحاصل الوجه الاول ان عتت جواب كاين
واعد الى آخره تكرير وبيان والمراد بقوله الجواب
جواب لان كاين بمعنى كم الخبرية

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم

قرئ يدخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب
الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من
الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة
عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن
وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه
وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق
ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالتاء والياء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان رسول الله صلى الله عليه خلا بمارية
في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان
ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في
يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين
ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلم
وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في
بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير
وكان يكره رسول الله التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين
او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد
ان يحرم ما احل الله لان الله عز وعلا انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان
ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك
حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقتها
وذلك ان تقول ان شاء الله عقيبها حتى لا تحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها
قوله عليه السلم لا يموت لرجل ثلثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة
قليلا كتحليل الالى فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا

والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به
قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير

في كل شيء وتعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى
وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم تكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق
بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين
في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما
نوى ولا يراه الشافعي رضي الله عنه يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق
فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم ان الحرام يمين
وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلث وعن زيد واحدة بائنة وعن
عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن
الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير
بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين
تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع
منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفره ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اي
منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر
رسول الله صلى الله عليه لذلك قلت عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله اعتق رقبة في تحريم مارية
والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم
ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من
نصائحكم لانفسكم بعض ازواجه حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين
نبات به افشته الى عائشة وقرئ انبات به واظهره واطلع النبي عليه السلم على الحديث
اي على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه اعلم ببعض
الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك
للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير
في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية
وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة

إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا

التي خص الله بها أباها **فإن قلت** هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه **قلت** ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرف وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه بكرمه وحلمه لم توجد منه إلا الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ذكر المنبأ كيف أتى بضميره إن تتوبا خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وإن تظاهرا عليه وإن تعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من بريء منهم من النفاق وقيل الأنبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم **فإن قلت** صالح المؤمنين واحد أم جمع **قلت** هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه **فإن قلت** قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله أعظم وأعظم **قلت** مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا وقرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي أبلغ وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون

إلى أن يجيء وقت إفطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن في هذه الأمة سياحة إلا الهجرة **فإن قلت** كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين **قلت** إذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله **فإن قلت** لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار **قلت** لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل **فإن قلت** أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم **قلت** لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا يتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرا إذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أي ذو وقودها عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاة أقوياء أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه ما أمرهم في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله تعالى أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم **فإن قلت** أليست الجملتان في معنى واحد **قلت** لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه **فإن قلت** قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين **قلت** الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على

يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي
والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير

الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا
تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد
المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة
للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد
الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع
موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب
اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على
الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان
لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها
حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن
حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه
الحياء من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة
الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة
الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص
من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله
الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا زيد بن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو
مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما
ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى
الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه
قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض
بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم
يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين

يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين

اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور
له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على
قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط
وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت
كيف يشفقون والمؤمنون آمنون ام من ياتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر
او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة
البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقرب حيث يطلبون
ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل
الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين
باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله عز وجل حال الكفار
في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر
لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب
وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امراة نوح وامراة لوط
لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج
اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل
حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله
بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة
العظمى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين
مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول
السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه
واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
واشارة الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا
تتكلا على انهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض
بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله واسرار التنزيل ورموزه

وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا

في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره **فان قلت** ما فائدة قوله من عبادنا **قلت** لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده **فان قلت** ما كانت خيانتهما **قلت** نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وامراة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلم آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ابتني وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملئكة **فان قلت** ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة **قلت** طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء فاتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للحملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل

وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير

الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا

بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه **فان قلت** ما كلمات الله وكتبه **قلت** يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملئكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل **فان قلت** لم قيل من القانتين على التذكير **قلت** لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سالت رسول الله كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله احكم واسلم من ذاك عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحيوة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر **فان قلت** من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى **قلت** من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ايزيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا **فان قلت** اتسمي هذا تعليقا

انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها انها ستقع وستوجد لكنه تعالى لا يعلمها قبل وقوعها انها واقعة لان ذلك لا يكون علما

وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين

قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو
وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا
بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك
علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا ابل اخلصه واصوبه لانه اذا كان
خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله
والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا
قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله
وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه
وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث
والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب
موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم وهو العزيز الغالب
الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة طباقا مطابقة بعضها فوق
بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق
او على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا
من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة
ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض
الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف
فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا
واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها
على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك
الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى
التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة
ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره
فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامرنا بتكرير البصر
فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع

ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب
جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ

اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد
عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة
والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية
التكرير بكثرة كقولك لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل
دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت
امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم
بصره ثم يعاوده ويعاوده الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور الدنيا
القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت
بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف
الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا
الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى
الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء
ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به
وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون
النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين
ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب
انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة
كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه
وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب
السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ
عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب
في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن
تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها
المنكر الفظيع بالشهيق تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة

كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية ألم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فأمر به وأوعد على ضده فإن قلت إن أنتم إلا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله إنا رسول رب العالمين أي حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع الإنذار سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين وقيل إنما جمع بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم إليهم حادي عشر وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما ثم علله بأنه عليم بذات الصدور أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الأشياء وحاله أنه اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد فنبه الله على جهلهم فإن قلت قدرت في ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من

هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور

هو خالق لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم قلت أبت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لأنك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لأن ألا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى وإليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم من في السماء فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالتاء والياء كيف نذير إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن فإن قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ [illegible] على معنى أنهن

[illegible] الرحمن بقدرته
[illegible] تأتي منها الحركة
[illegible] من الجموع ويقال
[illegible] إليه ويقال
[illegible] إلى جمع الأوثان
[illegible] ناصر والرازق
[illegible] دوا في عناد وشراد

كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو
نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به
إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الأرض
وشقة في السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية ألم يأتكم نذير توبيخ
يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية قالوا بلى
اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه
وأنهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله
فأمر به وأوعد على ضده فإن قلت إن أنتم إلا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو
من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير
أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره
قوله إنا رسول رب العالمين أي حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة
القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب
الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع الإنذار
سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين وقيل إنما جمع بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على
أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب
الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين
قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة
عشرة لم يضم إليهم حادي عشر وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين
بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو
جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم ...
إسراركم وإ...
الألسنة ...
الأشياء و...
من خلق ...
بأشياء يظهر...
جلتهم فإن قلت ...
وأظهر باللسان ...

هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء
أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا
الرحمن إنه بكل شيء بصير أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور

هو خالق لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم قلت أبت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف
الخبير لأنك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لأن ألا
يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم
بكل شيء المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب
أرق شيء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها في الذل بحيث
يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فإذا
أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى وإليه نشوركم فهو سائلكم
عن شكر ما أنعم به عليكم من في السماء فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم
عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني
أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه
من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان
أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك
بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالتاء والياء كيف نذير أي إذا رأيتم المنذر به
علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لأنهن
إذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن فإن قلت
لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران
في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ
على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصيل بلفظ الفعل على معنى أنهن
صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته
وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري
في الجو إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب أمن يشار إليه من الجموع ويقال
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه أم من يشار إليه ويقال
هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان
لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق
ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد

فعلى هذا شبه حال جبال الأرض بالمناكب ثم ذكر المناكب
وأريد الجبال فهو استعارة مصرح بحقيقته والضمير من قوله
جوانبها يعود إلى الجبال أي مناكبها جوانب جبالها

افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قل أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن آمنا به

عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ
ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة
كتاب سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب
دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف
قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض
وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور
والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو
ويجوز ان يراد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي
الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي
الله فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عنى به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى
الله عليه وقيل حمزة بن عبد المطلب فلما رأوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال
او الظرف اي رأوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد
وجوههم بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او
يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون
به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه
تلاها في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر ولعمري انها
لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك
فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة
او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب
النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر
هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن
يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن
يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير
الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت
لم اخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب

وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم

ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه
من رجالكم واموالكم غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب
ماء عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
الملك فكأنما احيى ليلة القدر

سورة النون مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام
وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم
هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا
او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من
موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه و
يكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره
او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان
او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة
نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه
من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره
الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون
لهم كأنه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة
فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل
مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك
ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب
على الحال كأنه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها
زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا
وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل
وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير
مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس

يستبصرون ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم

بتفضل ابدا او انا لا تمن الفواضل لا ال‍أجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عايشة ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون المفتون المجنون لانه فتن اى محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اى بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون افبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون

فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اى فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم مدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب يخاطب النار

تشبى تشبب النميمة ... تمشي بها زهرا الى تميمة

مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم وللحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده

ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة

بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان

وانت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرى أان كان على الاستفهام على أان كان ذا مال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا للذليل جدع انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم انا بلوناهم اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول

إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين

الله عليهم كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل الصلوة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولوا عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني إسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله فإن قلت لم سمي استثناء وإنما هو شرط قلت لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء أو هلاك طائف كقوله وأحيط بثمره وقرئ طيف فأصبحت كالصريم كالمصروم لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الإناء إذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين فإن قلت هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك هاهنا الحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد أي لم يقدروا إلا على حنق

فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون

وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

أقبل سيل جاء من أمر الله ... يحرد حرد الجنة المغلة

وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم إنا لضالون أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا أوسطهم أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة وإلا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في أن يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لأن منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت وهو راض أن يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد إنا إلى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا عند ربهم أي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة

ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون
ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة

وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في
الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين
كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كأن امر الجزاء
مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه
وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان
لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان
على يمين كذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة
متناهية في التوكيد فان قلت بم يتعلق الى يوم القيمة قلت بالمقدر في الظرف اي هي
ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما
تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين
الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم
لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به
وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء اي ناس
يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا صادقين
في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد
لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة
الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب
وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت
عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة
العذراء فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق
كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق
عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن
عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا
كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة

وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي
ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر
خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداعي الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى
هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل
بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار
عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل
للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ
تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف
اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان
كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه
تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت
لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم
والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود
وهم سالمو الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به يقال ذرني واياه يريدون
كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم
بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل
علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله وتهديدا للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله
اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا
رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي
لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين
وهو سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد
في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر
باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان
اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا

اى علم البيان

تفسير قوله بهذا الحديث

وأملي لهم ان كيدي متين ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين

لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثره في التسبب للهلاك المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس صلوات الله عليه اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا من كظم السقاء اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرا الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه بان رد اليه الوحي وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ان مخففة من الثقيلة واللام دليلها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني وياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال

يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية لما سمعوا الذكر اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه ما ارسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها حسوما جمع حاسم كشهود وقعود او مصدر كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم

كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية
إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال
فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة

وإن كان مصدرا فإما أن ينتصب بفعله مضمرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون
صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أي سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن
زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه أعوام حسوم وقرأ السدي حسوما بالفتح
حالا من الريح أي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي أيام العجوز وذلك أن عجوزا توارت في سرب
فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء وأسماؤها
الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى
سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها في مهابها أو في الليالي والأيام وقرئ أعجاز نخيل من
باقية من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان ومن قبله يريد ومن عنده
من أتباعه وقرئ ومن قبله أي ومن تقدمه وتعضد الأولى قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة
أبي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال
ذات الخطأ العظيم رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء
يربو إذا زاد ليربو في أموال الناس حملناكم حملنا آباءكم في الجارية في سفينة نوح لأنهم إذا
كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لأن نجاتهم سبب
ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة أذن
واعية من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك
فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشيء في الظرف وعن
النبي صلى الله عليه أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد وما كان لي أن أنسى فإن قلت لم قيل أذن واعية على
التوحيد والتنكير قلت للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة
على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وأن ما سواها
لا يبالي بهم بالة وإن ملؤوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد
أسند الفعل إلى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب
مسندا الفعل إلى الجار والمجرور فإن قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه أنها
لا تثنى في وقتها فإن قلت فأي النفختين هي قلت الأولى لأن عندها فساد العالم وهكذا
الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه أنها الثانية فإن قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون

وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فأما من أوتي كتابه
بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية

والعرض إنما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان
والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وإنما
كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها
أنها تحمل الأرض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتخفيف
الحمل وهو أحد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض
حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء
ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية
ساقطة القوة جدا بعدما كانت محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد إليه الضمير
مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فإن قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة
قلت الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة
على أرجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني أنها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون إلى
أطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية أي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه هم اليوم
أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية أملاك
أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على
صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر
وروي ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر
بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم
كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله ويجوز أن يكون
الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما
تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك
بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروي أن في يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان
فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه
والهالك بشماله خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فأما تفصيل للعرض

وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين

هاؤم صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كأف وحس وما أشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم
عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الأول لقيل
اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه
الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب إيثار الوقف إيثارا لثباتها
في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والإسقاط وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة بإثبات
الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن
الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الأمر كيت
وكيت راضية منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة
بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات
أو رفيعة المباني والقصور والأشجار دانية ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا
أكلا وشربا هنيئا أو هنيتم هنيئا على المصدر بما أسلفتم بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام
الخالية الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم
عن الأكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت
شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا
هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت
القاضية أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أي ليت هذه الحالة
كانت الموتة التي قضت علي لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته
فتمناه عندها ما أغنى نفي أو استفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار
هلك عني سلطاني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود
بن عبد الأشد وعن فناخسرة الملقب بالعضد أنه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك
الأملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه إلا بهذه الآية وقال ابن عباس
ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه
إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه
في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر

فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين

على حركة وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما قال إن تستغفر لهم سبعين مرة
يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله
في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق
في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في
السلسلة لا على تراخي المدة إنه تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما له يعذب
هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم
الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل
ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل
إذا نزل الأضياف كان عذوّرا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجالهم
وتشاكسه عليهم وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول
خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو
يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه
ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم
من الصديد والدم فعلين من الغسل الخاطئون الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل إذا تعمد
الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بإبدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها
وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الأسود الدؤلي ما الخاطون إنما هو الخاطئون
ما الصابون إنما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون
حدود الله بما تبصرون وما لا تبصرون أقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير
مبصر وقيل الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم
الظاهرة والباطنة إنه إن هذا القرآن لقول رسول كريم أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة
من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون
ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل
عليه من رب العالمين وقرأ أبو السمال تنزيلا أي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل وقوله
وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا
كاهن التقول افتعال القول لأن فيه تكلفا من المفتعل وسمي الأقوال المتقولة أقاويل تصغيرا

ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم بسم الله الرحمن الرحيم سال سايل بعذاب واقع للكافرين

بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرى ولو تقول على البنا للمفعول وقيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النسا والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ضمن سال معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه استعجل بعذاب للكافرين وقرى سال سايل وهو على وجهين اما ان يكون من السوال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويويده قراة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال

ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه

على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملئكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلم افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فان قلت بم تعلق قوله فاصبر قلت بسال سايل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزا برسول الله والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرا سال او سيل فمعناه جا العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر الضمير في يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السما كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يساله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسالة يبصرونهم اي يبصر الاحما الاحما فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسالة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرى يبصرونهم ولا يسال على البنا للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون

الضمير في يرونه للعذاب وان يكون ليوم القيامة واما لو علقت في يوم بيعرج فلا يكون الضمير الا للعذاب

ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا

الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر اريد بالانسان الناس ولذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه

الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون

الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله تعالى لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه شر ما اعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكاة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل الذي يسال والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء وقرئ بشهاداتهم وبشهادتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اي وجه دل هذا الكلام على انكارهم البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشاة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اي من النطف وبالقدرة على

فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون بسم الله الرحمن الرحيم
انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون

ان نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان
من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة المذرة وهم
منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفي اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن
اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا
بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من
ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون يخرجون من الاجداث سراعا بالاظهار
والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون الى الداعي
مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة سال
سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية تسع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل
الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان
تكون مفسرة لان في الارسال فيه معنى القول وقرا ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا
نحو ان انذر في الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا
الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم
اهلكهم على راس تسع مائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون
اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر
كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير ليلا ونهارا اي دائبا من
غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى
على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم
ايمانا لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح
لاعراضهم عنه سدوا اسماعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم
طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله
وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير

قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا
واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا

للاقبال على المعاصي والاكباب عليها واستكبروا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته و
ذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا و
نهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان تكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف
قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي
في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين
الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين
اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار
فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز
ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا امرهم
بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم
من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين
كما قال واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على
الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم
ارحام نسائهم اربعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم
ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك
استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء
الصادقة التي لا تخطي وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر
وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك
رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية والسماء المظلة
لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم
والمدرار الكثيرة الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امراة
معطار ومتفال جنات بساتين لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم
لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر
لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه

ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا

وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم
علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشأكم خلقا آخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة
بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة
حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر نبههم على النظر في
انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة
على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهو في
السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن
كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما
مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل
البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء
الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور استعير
الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا
كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث
مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم
فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيامة
واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما
يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفجة واتبعوا سيم المقدمين اصحاب الاموال
والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم
التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة
لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم
الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع
والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم
عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ
بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال ولا تذرن
ودا كأن هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن

وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا

آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي
اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم
تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان
ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر
على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة
مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما
التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات
ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد اضلوا ...
ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا ...
او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله
انهن اضللن كثيرا من الناس فان قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب
انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب
انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا
قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه فان
قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال ان
يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل
يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا
تزد الظالمين الا تبارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار
الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما
اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من
خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه
وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب
به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء و
ادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا

وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن

جُعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لاقترابه ولأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لأن الله اعدّ لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا فان قلت بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين بن علي ولولديّ يريد ساما وحاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا فان قلت ما فعل صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ احي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه

فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان الضمير في به للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وعلا لان قوله بربنا يفسره جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه سفيههم ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقوّل وضع كذبا موضع تقوّلا ولم يجعله صفة لان التقوّل لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب

وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا

كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم وانكم الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسسنا من الآباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر

وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون انفه او الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الجن والانس ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد

وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه

حتى عثروا على رسول الله واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او ارادوا الطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصف الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرا الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن

ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا

على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقاموا يعني الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اى ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود عبد الله النبي صلى الله عليه فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحى الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يكونون عليه لبدا اى يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين

قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا

في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال الجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادته الله ورفضه الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل والا بلاغا استثناء منه اى لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اى قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت الا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فان له نار جهنم على فان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اى فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم

قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل

لعدده كانه لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود
انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد و
اما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما راى في اخفاء وقته من المصلحة فان قلت
ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع
في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى
يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال للكرامات
لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين
بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط
فانه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين
يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث
نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات
ربهم يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له
نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم
كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل
من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء
عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه
وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله
صلى الله عليه من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه
اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل
بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل
نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن
اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من

قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا

لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن
ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا
يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه: سهد اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم اوردها سعد
وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس
وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم
ان رسول الله قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد و
الدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى
امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس
بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن
عائشة رضي الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه
علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا
مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد
جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو
على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي
حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض
بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل
من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف
والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما
النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين
ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف
بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف
من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل
من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف
بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف
وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع

بدلا من قليلا ظهر ان المراد بالقليل النصف فيكون قد ذكر النصف بلفظ القليل

قل ان ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شئ عددا بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل

لعدده كانه لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادرى متى يكون لان الله لم يبينه لما راى فى اخفاء وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربى امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه يستقرب الموعد فكانه قال ما ادرى اهو حال متوقع فى كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية اى هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعنى انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفى هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شئ من الارتضاء وادخله فى السخط فانه يسلك من بين يدى من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحى به اليه وعن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا اى الانبياء رسالات ربهم يعنى الانبياء وحد اولا على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شئ ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شئ عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اى [illegible] رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة [illegible]

سورة المزمل [illegible]

شرح القانون للقرشى [illegible]

[illegible] اى المتزمل بادغام التاء [illegible] تخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذى زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفته واستعداده للاستثقال فى النوم كما يفعل من

قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا

لا تهمه امر ولا يعنيه شأن الا ترى الى قول ذى الرمة وكائن تخطت ناقتى من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سهد اذا ما نام ليل الهوجل وفى امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لا جرم ان رسول الله قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيمى فى وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا فى مرط لعائشة يصلى فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضى الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه على وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباى الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعنى الربع نصف الربع

بدلا من قليلا ظهر ان المراد بالقليل النصف فيكون قد ذكر النصف بلفظ القليل

إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا

كأنه قيل أو زد عليه قليلا لا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع **فإن قلت** أكان القيام فرضا أم نفلا **قلت** عن عائشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة فكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وترتيلا تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه ما لا بد منه للقارئ هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا أنزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض قال

نشأنا إلى خوص برى نيها السرى ... وألصق منها مشرفات القماحد

أو قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا إنما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل

إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا

كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الأول منه وعن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى إن ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي أشد وطئا خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وأقوم قيلا وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة إنما هي وأقوم فقال إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل إليه وانقطع إليه **فإن قلت** كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا **قلت** لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار والهجر الجميل أن تجانبهم بقلبك وهواك وتخالفهم

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا

مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعد ويشتهي ان ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يدعه واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء بافضى ما يدور حوله امنية المخاطب بما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه قرا هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلا وبيل وخم لا يستمرا لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون

السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم مرضى

الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومنفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شي منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشي بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ نصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا

واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر

بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استيناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة يعني المفروضة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومن مراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت

وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر

ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويل ثيابهم وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه وقرأ الحسن ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما انفقوا

ولربك فاصبر فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا

منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه ثرو
بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز فى الرفع ان تحذف
ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل
على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا
على العطاء من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه
ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام والفاء فى قوله فاذا نقر
للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة
صبرك عليه والفاء فى فذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير
قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين
والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير
لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر فى الناقور واختلف فى انها النفخة الاولى ام الثانية
ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر
يوم عسير فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين
فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع
بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى
ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من امور الدنيا وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين
احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي
لم يشركني فى خلقه احد او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا
ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومي
وكان يلقب فى قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهي
تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد
قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا
لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزأ بدينه ممدودا مبسوطا
كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة

٢ قوله فانا اجزيك قال يقال هذا يجزي عن هذا اي يغني او ينوب عنه ومنه البدنة تجزي عن سبعة و اجزأت عنك مجزاه فلان اي كفيت كفايته و نبت منابه

ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر

وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان
بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة
آلاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه
للتصرف فى عمل او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب
المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن
لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل
او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة
كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم
منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة
فى قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول
الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء
قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار
لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع
على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر
لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك سارهقه
صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب
الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع عليها
يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه
السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر تعليل
للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز فى الدنيا لعناده ويعاقبه
فى الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه فى تفكيره وتسميته
القرآن سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه ان
الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله
انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول

ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر

في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته الحز ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد فيدعو عليه حاسده بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمي بها ووصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله ثم أدبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فإن قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء قلت الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فإن قلت ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها قلت الدلالة على أنه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد فإن قلت فلم قيل فقال إن هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث فإن قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا لا تبقي شيئا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح

لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا

الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأسد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فإن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك فإن قلت لم قال ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر فإن قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة

كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر

مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في هذا الاخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومراده انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او ما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضمير لها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير للآيات التي ذكرت فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا

انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين

كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ ادبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التأخر ان يتقدم او يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تأخروا فهلكوا رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الملائكة في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت

وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة .

توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير
اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار **فان قلت**
ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه
قلت يحتمل الامرين جميعا **فان قلت** لم اخر التكذيب وهو اعظمها **قلت** ارادوا انهم
بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين
الموت ومقدماته اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم
لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها
تزيد في درجات المرتضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ
ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب
النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار
والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة
من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس
واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة
وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين
لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل
نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب
في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص صحفا منشرة
قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة
كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي
كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه
قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه
من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه
وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات
الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها

كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة
ولا اقسم بالنفس اللوامة

ابدا واحد كما نزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات
ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم
عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ان يذكره
ولا ينساه ويجعله نصب عينيه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة
في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن وما يذكرون
الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم
لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة وهو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا
عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس عن
رسول الله صلى الله عليه هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء
مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد
من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية او اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض
في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر
وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها
توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر
واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم
سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام
ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه
ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي
به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا
البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة **فان قلت** قوله فلا وربك لا
يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت
موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم
بيوم القيامة لا تتركون سدى **قلت** لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول

ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة

مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا
اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف
معناه لانا اقسم قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي
تلوم النفوس فيه اى في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت
في الاحسان وعن الحسن ان المومن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل
هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي
نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرا قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى
نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها
في اباعد الارض وقيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله
صلى الله عليه يقول فيهما اللهم اكفني جارى السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيمة
متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن
به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين
حال من الضمير في نجمع اى نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول
الى ان نسوى بنانه اى اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوى بنانه ونضم
سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت
فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوى اصابع يديه ورجليه
اى نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل
بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض
والتاتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اى نحن قادرون بل يريد عطف على ايحسب فيجوز
ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب
عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات
وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة
يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوأ اعماله يسال
سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد

فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قراناه فاتبع قرآنه

برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق
اى لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته
فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس
والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين
كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر
بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر
لا وزر لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ
مستقر العباد اى استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى
حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اى موضع
قرارهم من جنة او نار اى مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار
بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او
بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول
عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة
على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه
ينبا باعماله وان لم ينبا ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق
بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء
بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير
الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب
فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة
انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقرآن كان رسول الله صلى الله عليه
اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان
يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه
بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه
يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه
في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع

ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها
فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق

قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شئ من معانيه كانه كان يعجل بالحفظ والسؤال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع
لرسول الله عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه
قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل
شئ ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل
قوله

اذا اشتد كلوجه نظن يتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته ...
تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا
على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع
العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان
لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم

والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا

يذكرون صاحبها التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي
هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها
وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى
بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو
فراق الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت
رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على
ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق
اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان
لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل
ايان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد
فلا صدق ماله بمعنى فلا زكى وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان
المتبختر يمد خطاه وقيل هو المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء
وخدمتهم فارس والروم فقد جعل باسهم بينهم يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض
ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره
خلق فقدر فسوى فعدل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء
بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان
مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
والاصل اهل بدليل قوله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب
جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان
شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل
قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت
ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه
حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي والدعوى لده
ابو حي من تيم بشدتنا بفتح الشين وهي

ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها
فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق

قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل بالحفظ والسؤال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع
لرسول الله عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه
قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل
شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل

اذا اشتد كلوجه نظن ان يفعل بها فعل هو في شدته ...
تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا
على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع
العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان
لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم

والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا

يذكرون التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي
هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها
وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى
بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو
فراق الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت
رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على
ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق
اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان
لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل
ايان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد
فلا صدق ماله بمعنى فلا زكى وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان
المتبختر يمد خطاه وقيل هو المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء
وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض
ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره
خلق فقدر فسوى فعدل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء
بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان
مؤمنا بيوم القيمة سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
والاصل اهل بدليل قوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب
جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان
شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل
قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت
ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه
حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي والد عن ولده
ابو حي من تميم بشدتنا بفتح الشين وهي

إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا

أمشاج نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد ويقال أيضا نطفة مشيج قال الشماخ طوت أحشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الإفراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر الكأس الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الإلصاق آخرا قلت لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم

يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا

يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر على حبه الضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله وأسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الأسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك إنما نطعمكم على إرادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئا وعن مجاهد أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر إنا نخاف يحتمل أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم نهارك صائم روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم نضرة وسرورا أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله بما صبروا بصبرهم على الإيثار وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معهم

وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا

فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما
ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شي فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري
اليهودي ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص
على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد
مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء
واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم
اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين واقبلوا
الى رسول الله فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى
بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه
ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة **فان قلت** ما معنى
ذكر الحرير مع الجنة **قلت** المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع و
العري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي
ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب
انه في لغة طي وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة
ضيا فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر **فان قلت** ودانية عليهم ظلالها علام عطفت **قلت**
على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها
اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا
ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة
جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرى ودانية بالرفع على ان ظلالها
مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها
دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية
معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا **فان قلت** فعلام عطف وذللت
قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال
فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم

ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا

ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت
جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل
ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قواريرا قواريرا قرئا بغير
تنوين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها
في صفاء القوارير وشفيفها **فان قلت** ما معنى كانت **قلت** هو من يكون في قوله كن فيكون
اي تكونت قواريرا بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين
المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرى قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير
قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير
واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف
عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل
عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرى قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون
من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشي وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا
قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم
الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه **قال** الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا
بفيها واريا مشورا وقال المسيب بن علس وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر
وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيه
لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت
الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل
في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرى سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية و
التانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير
مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط شرا
وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته
في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه ابدع وفي شعر بعض المحدثين
سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل

ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا

يمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او منصوبة على الاختصاص شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم قرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة

ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا

وتدوسه الاقدام الدنسة ولم تجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك اي يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القران تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان ازل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تأخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له او يعني صلوة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل

ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين
اعد لهم عذابا اليما بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا

عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولة
واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم
ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم هذه
اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ
السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم
عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء
فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك
قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين
بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرا ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين
وقرا ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف
عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله

جنة وحريرا **سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن
باوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن
اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر
والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين
او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله
كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا
نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء
وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت
ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع
اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي
ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان قلت
قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا

والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال
نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك
نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين

للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر
وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعلة كالكفر
والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر
واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث
فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيمة
لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات طمست محيت
ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها
ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارجي باب الامير المبهم نسفت
كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت
بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة
قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها
الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت
تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين
الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت
اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله
مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك
ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا به يقال ويلا له وويلا
كيلا وقرا قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا
ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مثل
ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود
ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود
ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم
انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد
علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم
القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرا فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره

فنعم المقدرون له نحن
فنعم القادرون

ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون
انطلقوا إلى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين

الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال
هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب أحياء وأمواتا كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر
يدل عليه وهو تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه
على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز
فإن قلت لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعا قلت هو
تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا
بجميع الأحياء والأموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه
قد علم أنها كفات الإنس فإن قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل إفادة
التبعيض لأن في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هي معدنه
ومصبه وأن يكون للتفخيم أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني
تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا
يستطيعون امتناعا منه إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب
لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط
بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون
في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر أي وغير مغن
عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر أي كل شرارة كالقصر من القصور في عظمها وقيل
هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق الإبل
أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير
كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال
لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس
الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي
القلس وقيل صفر لإرادة الجنس وقيل صفر سود تضرب إلى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان
الخارجي: دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ... بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى. وقال أبو العلاء:
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ... ترمي بكل شرارة كطراف. فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم
في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة

هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين
إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا
إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون

جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع
الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه
بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات
وهي القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله إغرابه في طرافه
وما نفخ بشدقيه من استطرافه وقرئ بنصب اليوم ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع
يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد
الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط
في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا
عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والأولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل
لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد من جمع الأولين والآخرين
حتى يقع ذلك الفصل بينهم فإن كان لكم كيد تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل
عليهم بالعجز والاستكانة كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال
أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال
ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فإن قلت كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم
ذلك في الآخرة إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم
السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله
إخوتي لا تبعدوا أبدا ... وبلى والله قد بعدوا
يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن أدعو لكم بذلك وعلل
ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك
أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا اخشعوا لله
وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا
يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل
نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا
فقال صلى الله عليه لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب
المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا

سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبا مكية وهي اربعون او احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كانه قال عن اي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبا العظيم بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يسّاءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم نفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال كما يرسي البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل

وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا

العيش الحياة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا

النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وهاجا متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرا الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة

اوزاع من الناس اي جماعات
والاخياف المختلفات يقال
اخوة اخياف اي مختلفات

وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا

وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم
من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم
على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم
صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم
أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا
من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة
فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة
الربوا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين
يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم و
أرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان
وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم
وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ فتحت بالتشديد والتخفيف
والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض
عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير
طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير شيئا كلا شيء لتفرق
أجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هي حد
الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم
الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة
نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة
بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث
أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد
ينفك منه أحقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يستعمل
الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى
إلى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين
فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق

لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا

من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا
إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم
يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني
لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أي يسيل من
صديدهم وفاقا وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا كذابا
تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر
آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله
فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا
بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن
جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لأنهم
إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو
إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب
أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب
كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال
وكل شيء أحصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع إحصاء أو أحصينا في معنى كتبنا
لالتقاء الإحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي
صحف الحفظة والمعنى إحصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن
نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة
الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه هذه الآية أشد ما في
القرآن على أهل النار مفازا فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك
أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر والأعناب
الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والأتراب اللدات والدهاق المترعة

لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني وقدني ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا
ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بالتخفيف للاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب
بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اى
جزاهم عطاء حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب
اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب
السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفته ولا
يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون
او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به
الله ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او
ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم
ذلك ويأذن لهم فيه ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق
واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن
عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب
العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون
وقيل جبرئيل ثم ما شرطان ان يكون المتكلم منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير
مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر
ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان يكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء
قدمت يداه او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف
وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق
ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى
يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده
وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن
رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع
الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها
وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد
مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد
من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول
اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج
من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد
التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في
النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في
الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم
تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة
ما بعده عليه من ذكر القيمة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي
ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة
اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون الرادفة من قوله تعالى عسى
ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي تستعجلها الكفرة استبعادا
لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض
والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت
ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف
ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت
الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة
الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف
بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب
والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت
قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك

يقولون أئنا لمردودون في الحافرة . أإذا كنا عظاما نخرة . قالوا تلك إذا كرة خاسرة . فإنما هي زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة . هل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب إلى فرعون إنه طغى . فقل هل لك إلى أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى

فإن قلت كيف صح إضافة الأبصار إلى القلوب قلت معناه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون. فإن قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثّر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفرا إذا أثّر الأكال في أسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أي منسوبة إلى الحفر والرضا أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في أمر فخرج ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أي إلى طريقته وحالته الأولى قال: أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار. يريد أرجوعا إلى الحافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الأولى وهي الصفقة وقرأ أبو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير وإذا منصوب بمحذوف تقديره أإذا كنا عظاما نرد ونبعث كرة خاسرة منسوبة إلى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم

فإن قلت بم تعلق قوله فإنما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته ما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الأشعث بن قيس: وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها قد جبتها متلثما. أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فإذا هم في جهنم اذهب على إرادة القول وفي قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك إلى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب إليه إلى أن تزكى إلى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالإدغام وأهديك إلى ربك وأرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه فتخشى لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة

الدلجة السير من أول الليل

قوله أحافرة أي أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبى بعد أن شبت وصلعت

فأراه الآية الكبرى . فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن في ذلك لعبرة لمن يخشى . أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها

من عتوه كما أمر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا الآية الكبرى قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها لأنه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك في جيبك أو أرادهما جميعا إلا أنه جعلهما واحدة لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر وأن الطاعة قد وجبت عليه ثم أدبر يسعى أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري والآخرة أنا ربكم الأعلى هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله أنا ربكم الأعلى والأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون الخطاب لمنكري البعث يعني أأنتم أصعب خلقا وإنشاء أم السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج ضحاها وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوئها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها ورعيها وهو في الأصل موضع الرعي ونصب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى وهو الإضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فإن قلت هلا أدخل حرف العطف على أخرج قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها والسكون بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني أن يكون أخرج حالا بإضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس

اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت
الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
يسألونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها

والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي
ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح
لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى
انعامهم الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم
على القرى وهي القيمة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها
اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة
في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية
وبرزت واظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا
بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو
مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير
للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما جواب فاذا محذوف اي فاذا جاءت
الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس
الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره
تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل
او مبتدأ ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه و
ضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن
عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص
في جوفه ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل
ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء
انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها
لم يزل رسول الله صلى الله عليه يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره
لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك
على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤت علمها
احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك
وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها

انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى
وما يدريك لعله يزكى

فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت
منذر من يخشيها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من
اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة
تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر
زيد امس كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحيها ... كيف
صحت اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان قلت
فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ
يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله
لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن
حبسه الله في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس احدى واربعون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى رسول الله صلى الله عليه ابن ام مكتوم
وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده
صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية
بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله
اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني
فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية
وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في ان جاءه منصوب بتولى
او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين
وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي
انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه
بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي
في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده
العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب

او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى
كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه

الناس بادب الله في هذا ادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه
امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقف من الشرايع من بعض
اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات و
المعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير
في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك
ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى
اله موسى تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام
التاء في الصاد وقرا ابو جعفر تصدى اي يعرضك الناس اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي
له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ يسعى
يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد
فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرا طلحة بن مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر
تلهى اي يلهيك شان الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا
قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني
ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب
الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة
في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند
الله مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة
مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا
لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع
دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظايعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة
الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع
تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى
وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه راسه من الكفران والغمط وقلة
الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي شيء حقير
مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق

فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم

كل شيء فقدره تقديرا انتصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن
امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل
وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه
الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان
يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشاه النشاة الاخرى وقرئ نشره
كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن ادم الى هذه
الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه
اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا
الماء صبا يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستيناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرا الحسين بن علي رضي الله
عنهما انى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات
ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب
والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي
بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء
فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما
غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب يمشي بها غلب
الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب
والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابي بكر رضي الله عنه
انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر
رضي الله عنه انه قرا هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال
هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم
من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث
عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان
التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان
بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له و
لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه

ان لشرب نكفه ولا بابا
نقول اصلنا من قبيلة قيس
ومرعانا ومنهلنا نجد

فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت

يطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك فى غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرى يعنيه اى يهمه مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء عن ابن عباس من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله عز وعلا يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

فى التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اى يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وهى عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله يوم نطوى السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اى تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار **فان قلت** ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية **قلت** بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره الظاهر لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى فى الشمس والنجوم انها تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اى عن وجه الارض وابعدت او سيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله وهى تمر مر السحاب والعشار فى جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء

واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت

وهى التى اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرى عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرى حشرت بالتشديد سجرت قرى بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملاه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واد يئد مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته **فان قلت** ما حملهم على واد البنات **قلت** الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الواد فبه افتخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم توأد

فان قلت ما معنى سوال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها **قلت** سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى أانت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وقرى سالت اى خاصمت عن نفسها وسالت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سالت لقيل قتلت وقرا ابن عباس قتلت على الحكاية وقرى قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين

اما خوف العار واما خوف الاملاق

لا ذنب صدر عنها

فما معنى سوال الموؤدة

واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس

لا يعذبون على ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة من
الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما
تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الاية
نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر
اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما
يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم
وعن النبي صلى الله عليه انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل
الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز
ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في
يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال كشطت كشفت وازيلت
كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرا ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف
والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور سعرت اوقدت ايقادا شديدا
وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم ازلفت ادنيت
من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في
الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فان قلت
كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى
قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله
عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه وقول القائل
قد اترك القرن مصفرا انامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب
فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه
ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل
ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قرأها عنده
فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر
البرج اذ كر راجعا الى اوله والجوارى السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل

والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون
ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين

كناسه وقيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس
والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس
وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش
في كنسها عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها
ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل
الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير للقرآن رسول
كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على
حسب حال الممكن قال عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن
امره ويرجعون الى رايه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما
صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل
وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين الذكرين
حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع
الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك
بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي
بعضه غير مبلغه او يسال تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد و
كان رسول الله صلى الله عليه يقرا بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما
مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون
بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان
عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف
الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد
الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان
واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت
فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين
لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم

لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت

اي يقول بعض المسترقة للسمع ويوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم
كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في
تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين
شاؤوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانهم لم يوعظ به غيرهم وان
كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤونها
انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة اذا الشمس
كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى
بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي
ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف
وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله لا يبغيان
لان البغي والفجور اخوان بعثرت وبحثرت بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما
والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين فان قلت
ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر
بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب
فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا
من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث
خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل
بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد
الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره
حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل
ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه
وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول
قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر
وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم

واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك
فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين

دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك
اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو
وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا
متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض
الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما
لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك
وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما في ما
شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح
والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت
هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق
الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي
ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون
في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا
حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما
الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون
ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما تكذبون به من الجزاء يعني
انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم
تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما تحاسب عليه وتجازى
به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن
الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم
بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم
وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله
وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين يعني ان امر يوم
الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك

وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون

وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه من قرا اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابى جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه فقراها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت

واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين

منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اى يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل

يعني الهمزة الداخلة على لا النافية للانكار والتعجيب ودل كلمة الظن على التجهيل واسم الاشارة

كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون

في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم
بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله
يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع عما كانوا عليه من
التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم
اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر
الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم
فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال
الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من
رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا
فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح
كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به و
اذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون فان قلت
فما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه
ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون ما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل
ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصداء
وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا
يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه
رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ
بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن
الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن
على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال
اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس وقتادة وابن
ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار
ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين
منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى

كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون

اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له
وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من
سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه
في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى
اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين
على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما
اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم
عن الادراك نضرة النعيم بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه
وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم
تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة
مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي
ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم
الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق
على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا نصب على المدح وقال الزجاج
نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة هم مشركو مكة
ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا
اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله يتغامزون يغمز بعضهم
بعضا ويشيرون باعينهم فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال
وما ارسل الكفار على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم
ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين
قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم
الى الاسلام وجدهم في ذلك على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين
اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم

وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون بسم الله الرحمن الرحيم
إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الإنسان إنك
كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا

والثاني قد وبخهم على الأرائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها
فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم ثوب وأثابه بمعنى
إذا جازاه قال أوس سأجزيك أو يجزيك عني مثوبة وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي
وثوى بإدغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب
أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء
انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن
علي رضي الله عنه تنشق من المجرة أذنت له استمعت له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي
يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها
لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن
ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة
بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت
من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها
كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الأديم العكاظي لأن
الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي يزاد سعة وبسطة
وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى
لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا
بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في إلقاء ما في بطنها وتخليها
الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى
ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فلاق له لا محالة لا مفر
لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق
عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن
النبي صلى الله عليه أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا
قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب إلى أهله إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين

وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى
إن ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون

أو إلى أهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره
فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه
والثبور الهلاك وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله
نصله جهنم في أهله فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا
مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن
كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
ظن أن لن يحور لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير
قال لبيد يحور رمادا بعد إذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت
أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن
إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت
الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأسد الشفق الحمرة التي ترى في المغرب
بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما
يروى عن أبي حنيفة رحمه الله في إحدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه
سمي به لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه
فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها إذا اتسق
إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان ولتركبن
بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن
الإنسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق
وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا طبقا
عن طبق أي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة
وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى
لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من
مواطن القيامة وأهوالها فإن قلت ما محل عن طبق قلت النصب على أنه صفة لطبقا

وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود

أي طبقاً مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقاً مجاوزين لطبق أو مجاوزاً أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول لكل عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة الذين كفروا إشارة إلى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب إلا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها وقيل أبواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما تعمل فيّ شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد وجواب القسم محذوف يدل عليه قوله قتل أصحاب الأخدود كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم

النار ذات الوقود

عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الأخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره وقرئ قتّل بالتشديد والأخدود الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك أن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد وقيل سبعين ألفاً وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً وعن النبي صلى الله عليه أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الأخدود وذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من

اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب

الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

وقال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب

والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق

للعذاب والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درّي لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قرأ لما مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه لما

صكه اي ضربه من الصحاح

اظهار

حافظ مبتدأ وعليها خبر ويجوز ان يرتفع حافظ بالظرف

خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع
والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل

ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان
من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره
في عاقبته وممّ خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صبٌّ فيه دفع ومعنى دافق النسبة
الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه
ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من
صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين
والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صُلْب وصَلَب وصُلُب وصالب قال العجاج في صلب
مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة انه الضمير للخالق
لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا
لقادر لبيّن القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه
ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة
الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي
من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا
ينشد سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما اغفله
عما في والسماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع
يمنعه سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال ربا شمالا باوي لقلتها الا السحاب والا الاوب
والسبل تسمية بمصدر رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من
بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب
وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنة السارية
والصدع ما تصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقران فصل فاصل بين الحق والباطل
كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك
ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه
بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى
ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى
الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوافيه انهم يعني اهل مكة

اي لاهون لاعبون

انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى

يعملون المكائد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري
بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم
رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله
صلى الله عليه من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة اية ٤ سورة الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه
من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي
هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال
والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه
سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله اجعلوها في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك
ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به
متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة
حكيم قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى
ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج
الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة
على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها
وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من
حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام
الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر
بالتخفيف احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء
احوى دريا اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة
والري فجعله غثاء بعد حوته بشره الله باعطاء اية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه
من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فيذهب به عن حفظه
برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل

وقد قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
وان يذكر على غير وجه الخضوع وهذا وجه آخر
للابتذال ويجوز ان يكون المراد بالابتذال هو
هذا الوجه فيكون قوله والذكر من العطف للبيان
كما مر مرارا في هذا الكتاب

ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى
قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

مامور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء ثم تذكره بعد النسيان
او قال الا ما شاء الله يعنى القلة والندرة كما روى انه اسقط آية فى قراءته فى الصلوة فحسب أبى
انها نسخت فسأله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل
لصاحبه انت سهيمى فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شئ وهو من استعمال القلة فى معنى النفى
وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه
الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر يعنى انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل
مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه
او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وبطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم فى
دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحى ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك
وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى ايسر واسهل يعنى حفظ الوحى
وقيل للشريعة السمحة التى هى ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة ان قلت
كان الرسول صلى الله عليه مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على
وجهين احدهما ان رسول الله قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا
عتوا وطغيانا وكان النبى صلى الله عليه يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا فى تذكيرهم وحرصا عليه
فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت
الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثانى ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين
واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ
عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة
وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء
فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى
الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذى هو اشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله وقيل نزلت فى الوليد
بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار
الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة
والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصى او تطهر للصلوة او تكثر
من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو

بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى بسم الله الرحمن الرحيم
هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية

قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه
انه التصدق بصدقة الفطر قال لا ابالى ان لا اجد فى كتابى غيرها لقوله قد افلح من تزكى اى اعطى
زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج
على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح
جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك
وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون
به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون خير وابقى افضل فى نفسها
وانعم وادوم وعن عمر رضى الله عنه ما الدنيا فى الآخرة الا كنفجة ارنب هذا اشارة الى قوله
قد افلح الى ابقى يعنى ان معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف وقيل الى ما فى السورة كلها وروى عن
ابى ذر رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب
منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة
وعلى ابرهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان فى صحف ابرهيم ينبغى للعاقل
ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان
اذا قرأها قال سبحان ربى الاعلى وكان على وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها
وتلبسهم اهوالها يعنى القيمة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار
ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل فى النار عملا
تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها
دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا اعمال السوء والتذت بها
وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل عملت ونصبت فى اعمال لا تجدى عليها فى الآخرة من قوله وقدمنا
الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب
الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت فى اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب
وقرئ عاملة ناصبة على الشتم قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند

ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية
فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة

العرب ان يحفروا حفيرا فيجعلوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى
فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن
الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم
قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص
وقال وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود فان قلت كيف
قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات
فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل
او مجروره على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس انما هو شوك والشوك
مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه
وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس
بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل
الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن
فلا يخلوا اما ان يتكذبوا او يتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان
يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن
من جوع ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية
رضيت بعملها لما رأت ما ادّاهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع
يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا
بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية
يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن
بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه
موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان
يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار
اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح
اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل
هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون

افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر
لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر

الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما
حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال
الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل
بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على
احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز
مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة
قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء
والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم
فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يبدع من زعم ان الابل السحاب التي فيه الاظلة الناشئة
ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما
رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز
كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل
ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه
خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن
هرون الرشيد انه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق
حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي
لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله
ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم
مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء
منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب
الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه ق
قرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب
او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل
باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان

ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك
قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد

ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي
يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه من
قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة والفجر مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح
اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت
فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة
بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك
لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد
من الالغاز والتعمية وبالشفع اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها
ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي عن
النبي صلى الله عليه انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس
ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على
العموم اذا يسرى اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما
لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها
يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من
حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر ويسر تحذف الياء في الدرج
اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه هل في ذلك
اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام
بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه
يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط
وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو
ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص
بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم
تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد
فصب عليهم ربك سوط عذاب

مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان
بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد
ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف
والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات
العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت
صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة
فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم
في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها
من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة
ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم
وبلغ خبره معوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد
وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها مثل
عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة
العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا
وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا
فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا
الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا
يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وباسية الذين طغوا
احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او
مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه

إن ربك لبالمرصاد فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم

وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة
كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال إن عند
الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين
ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه أنه قرأ هذه السورة عند المنصور
حتى بلغ هذه الآية فقال إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر عرّض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد
بذلك من الجبابرة فلله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء
والبدع باحتجاجه **فإن قلت** بم اتصل قوله فأما الإنسان **قلت** بقوله إن ربك لبالمرصاد
كأنه قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي
فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها **فإن قلت** فكيف
توازن قوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه وقوله وأما إذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل
الواقعان بعد أما وأما تقول أما الإنسان فكفور وأما الملك فشكور أما إذا أحسنت
إلى زيد فهو محسن إليك وأما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك **قلت** هما متوازنان من حيث
أن التقدير وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله فيقول ربي أكرمن خبر المبتدأ الذي
هو الإنسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير
التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبرا
لمبتدأ واجب تقديره **فإن قلت** كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء **قلت**
لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد
اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه **قلت** لأن البسط
إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له
لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا
وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني
إذا لم يهد لك **فإن قلت** فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه
عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه **قلت** فيه جوابان أحدهما أنه إنما أنكر قوله ربي أكرمن

ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك
والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى

وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أن الله أعطاه
ما أعطاه إكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما
أوتيته على علم عندي وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة
مما لا يعتد الله إلا به وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من أجلها والثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربي أهانن يعني أنه إذا
تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك
التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله فأكرمه وقرئ فقدر
بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا
منها بالكسرة كلا ردع للإنسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة
المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين
ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون
أي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة أكلا لما ذا لم
وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة: إذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن
تلك الطواحنا يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا
لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة
وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال
سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في إنفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين
ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما
كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم
أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل من إذا دكت
الأرض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا أي كرر عليها
الدك حتى عادت هباء منبثا **فإن قلت** ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة والانتقال
إنما تجوز على من كان في جهة **قلت** هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه
مثلت حالة في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر
بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون

قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

صفًّا بعد صفٍّ محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليًّا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبّل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيّرك فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اي يتذكر ما فرّط فيه او يتعظ وانّى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين انّى له الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة او وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقًا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسّر وقرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو أبيّ بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكرامًا له كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبيّ بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة **فان قلت** متى يقال لها ذلك **قلت** اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرأ ابن عباس في جسد عبدي وقرأ أبيّ ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلتك فحوّل الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوّله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورًا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم وعن شرحبيل يحرّمون ان يقتلوا بها صيدًا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته او سلّى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميمًا للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلّها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحلّ ما شاء وحرّم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرّم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرّم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفّر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه الا الاذخر **فان قلت** اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال **قلت** قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبوّ وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلًا قاطعًا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح **فان قلت** ما المراد بوالد وما ولد **قلت** رسول الله صلى الله عليه ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم ومنشأ ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه **فان قلت** لم نكّر **قلت** للابهام المستقل بالمدح والتعجب **فان قلت** هلا قيل ومن ولد **قلت** فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعًا عجيب الشان وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدًا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد

يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد

اي في شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه

يقول اهلكت مالا لبداً ايحسب ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادرىك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة

ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج برئ فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الآية **فان قلت** قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح **قلت** هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا

يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها

منه من النار فهو فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادرىك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرا الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن قرئ موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ضحاها ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق **فان قلت** الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه **قلت** الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا

والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها

فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادّة
مسدّهما معًا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحقهن أن يكنّ عوامل عمل الفعل والجار جميعًا
كما تقول ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية
في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدي إليه من فساد النظم
والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم
الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا فإن قلت لم نكرت
النفس قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسًا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال
وواحدة من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى
إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء
منهما بدليل قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتولّيها
والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسّى دسّس كما قيل
في تقضّض تقضّى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلمًا وأما
قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية
الذين يورّكون على الله قدرًا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه
فإن قلت فأين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمنّ الله عليهم أي على أهل مكة
لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحًا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله
فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء الباء في بطغواها مثلها
في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوًا
في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول
ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية و
قرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر إذ انبعث منصوب بكذبت أو بالطغوى
وأشقاها قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته
بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم والضمير في لهم يجوز أن
يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ
ناقة الله نصب على التحذير كقولك الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا أو احذروا عقرها

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى

وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا
فدمدم عليهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب
ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة أي سواها
بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من
الملوك فيبقي بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالأرض أو في الهلاك ولا يخاف عقبى
هلاكها وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله
صلى الله عليه من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المغشي إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها
وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب تجلى ظهر بزوال
ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى
من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه والذكر والأنثى وقرأ ابن مسعود والذي
خلق الذكر والأنثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والأنثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله
أي ومخلوق الله الذكر والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه وقيل
إن الله لم يخلق خلقًا من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله
غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرًا ولا أنثى وقد لقي خنثى
مشكلًا كان حانثًا لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلًا عندنا شتى جمع شتيت أي إن مساعيكم
أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على إثره أعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق
بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة
فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسّر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل
ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها من قوله
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام واستغنى وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم
يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه
الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء
أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما

وما يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى

طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني عنه استفهام في معنى الانكار او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للآخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقرأ ابو الزبير تتلظى فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي خازم

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس

ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسرى

سورة الضحى وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه

وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى

ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تأخر عن رسول الله اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امرأة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره الم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه

فأحسن تربيته. ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش
عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة أين آوي هذه الموقسة
وإما من أوى له إذا رحمه ضالا معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري
ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند
باب مكة حين فطمته وجاءت لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فهداك
فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن
أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء
يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع
ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر عائلا فقيرا وقرئ
عيلا كما قرئ سيحات وعديما فأغنى فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي
قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث
فبأبي وأمي هو ما كهرني والنهر الزجر وعن النبي صلى الله عليه إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع
فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره التحديث
بنعمة الله شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك
وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني
الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا قال يقول
الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد
به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل
الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله
وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله
فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل
وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها
ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله
صلى الله عليه من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات
الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا
صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار
قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى
والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين
الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها والوزر الذي أنقض ظهره أي حمله على النقيض وهو صوت
الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام
والشرائع أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد
عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره
أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن
والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته
رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به **فإن قلت**
أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه **قلت** في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح
كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك
وزرك **فإن قلت** كيف تعلق قوله فإن مع العسر يسرا بما قبله **قلت** كان المشركون يعيرون
رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم
فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فإن مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس
من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرا **فإن قلت** إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر
قلت أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى
جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب **فإن قلت** ما معنى قول ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه ذات يوم وهو يضحك
ويقول لن يغلب عسر يسرين **قلت** هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل
إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله
ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد

ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب

وان يكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر
فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر
الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس
الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا
غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال **فان قلت** فما المراد باليسرين **قلت**
يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله وما تيسر لهم في ايام الخلفا وان يراد
يسر الدنيا ويسر الاخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى
الثواب **فان قلت** فما معنى هذا التنكير **قلت** التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر
وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة **فان قلت** فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي
نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين **قلت** كانه قصد
باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة **فان قلت**
فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله **قلت** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الانفة
بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص
على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من
صلوتك فاجتهد في الدعا وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد
فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا
امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه
الراي وسخافة العقل واستيلا الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم
فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل اخرة وقرا ابو السمال فرغت بكسر الرا وليست بفصيحة ومن
البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا
للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته والى
ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي
رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه من قرا الم نشرح فكانما جاني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين

المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان
فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من
النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي
وسواك الانبيا قبلي وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما
بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان
والزيتون جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل
الى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء
وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين
وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله حرما امنا
بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشيا الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير
والبركة بسكنى الانبيا والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى ومنشاه والطور
المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله و
مبعثه في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة
امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا و
تركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار واسفل من سفل من اهل الدركات
او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه
في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا
وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شي منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف
وشهامته خرف وقرا عبد الله اسفل السافلين **فان قلت** فكيف الاستثنا على المذهبين
قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين
من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلا الله بالشيخوخة والهرم وعلى
مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم **فان قلت** فما يكذبك من المخاطب به
قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا

أليس الله بأحكم الحاكمين بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم

الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون
كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان
من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ
أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته
فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله أليس الله بأحكم
الحاكمين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبي صلى الله عليه أنه كان إذا قرأها قال
بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين
العافية واليقين ما دام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر
المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا
باسم ربك قل باسم الله ثم اقرأ فإن قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الإنسان
قلت هو على وجهين إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر
به لا خالق سواه وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض
المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الإنسان تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق
لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن
خلق الإنسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على
عجيب فطرته فإن قلت لم قال من علق على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة
قلت لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفي خسر الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه
على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم
لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم
فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم
الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة
الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت
العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة

كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى
ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة

ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر
القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل أراقم قطف الخطى نيالة أقصى المدى
سود القوائم ما تجد مسيرها إلا إذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم
كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه أن رآه أن رأى نفسه
يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى
الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني إن إلى ربك الرجعى واقع
على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى
بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك أرأيت الذي ينهى وروي أنه قال لرسول الله صلى الله عليه
أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا
ونتبع دينك فنزل جبريل فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة
فكف رسول الله عن الدعاء إبقاء عليهم وروي عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم
قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك
يا أبا الحكم قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني
عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله
أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق
والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه
على حسب ذلك وهذا وعيد فإن قلت ما متعلق أرأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية
وهما في موضع المفعولين فإن قلت فأين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره إن كان
على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فإن
قلت فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني
وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه فإن قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت
قلت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة
كلا ردع لأبي جهل وخسء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته
عما هو فيه لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء
وجذبه بشدة قال عمرو بن معديكرب قوم إذا نقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع

فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر

وقرئ لنسفعن بالتشديد وقرأ ابن مسعود لأسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها
ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي
نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على
الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة
ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد
اهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم
والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله فقال
اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول
والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه
نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد
ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي
جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك
يريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن
رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم عظم القرآن من ثلثة اوجه احدها ان اسند
انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة
والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة
واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على
رسول الله نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر واختلفوا
في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها
ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فيكثر عبادته ويتضاعف
ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة
تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر
الليالي وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك

تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة

بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي
ذكرها من تنزل الملئكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى
الله عليه ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد
حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل
الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك
الليلة من كل امر اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل
كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة
اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة
ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة
الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي
الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه
ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا
جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول
الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد
فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار
يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا
انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة
ورسول بدل من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات والبينة القرآن
او لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ورسول من الله جبريل صلوات الله عليه وهو التالي للصحف
المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي ويجوز
ان يراد النبي عليه السلام فان قلت كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي قلت

اذا انلا مثل المسطورة فيها كان بالبائنة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرا ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا وقرا نافع البريئة بالهمزة والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه من قرا لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ اموالها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحدث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت

يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان يقول له كن قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه ليروا بالفتح وقرا ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق

والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة العاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع

اى وسطن النقع الجمع او فتوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعدا او وسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو والذى دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والبا مزيدة للتاكيد كقوله واتوا به او هى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجا رجل فسالنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى على وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على راسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثورة وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة ان الانسان لربه لكنود علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن لكنود لكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان اعظمها فى جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد لبخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعنى وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع فى الصحف اى اظهر محصلا

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر

مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم وقرا ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهى عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلى وفى امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابى بكر رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اى سقط وهلك فقد هوت امه لانه اذا هوى اى هلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وما ذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قال واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوى اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا اى فماواه النار وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التى دل عليها قوله فامه هاوية فى التفسير الاول او ضمير هاوية والها للسكت واذا وصل القارى حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية ثمانى آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهاه عن كذا والهاه اذا شغله والتكاثر التباري فى الكثرة والتباهى بها وان يقول هو لآخر انا اكثر وهو لآخر اكثر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا

حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم

ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى الهكم التكاثر بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا وقال جرير زار القبور ابو مالك فاصبح الام زوارها وقرا ابن عباس أالهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرى لترون بالهمز وهي مستكرهة **فان قلت** لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة مطرد ذلك **قلت** في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرى لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه **فان قلت** ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم **قلت** هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده

بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف آية

سورة العصر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال وان اغيب فانت الهامز اللمزه وقرى ويل للهمزة اللمزة وقرى ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرى جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرى وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد

يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل

وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل عدده معناه وعده على فك الادغام نحو ضننوا اخلده وخلده
بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال
تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة
الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه
في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف
وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال لكن لماذا
قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك
وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال
اي هو وانصاره لينبذن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل
الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على
افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى
اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر
والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليه انها تعلوها وتغلبها وتشتمل
عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها موصدة مطبقة قال يحن الى اجبال مكة
ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين
والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب
العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل
المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه
من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها
فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا
غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض

الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل

عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح
واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر
حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام
هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل
حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما
مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص
عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن
رسول الله باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رايت قائد الفيل وسائسه اعميين
مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما
وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال
فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم
وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع
واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك
يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا
هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد
احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن ابي
سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من
اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى
انك رايت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار فيه متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف
في موضع نصب بفعل لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال يقال
ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس
الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا
امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل
بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة

فجعلهم كعصف مأكول بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي

شبهت الجن فيه من الطير في تضامها بالابابيل وقيل ابابيل مثل عبابيد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اي الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كالاجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبههم بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلوة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الرمل غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سال ابن عباس رضي الله عنه بم سميت قريش قال

المطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون

بدابة في البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارايت مكية وقيل مدنية وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ اريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يترك ويجفو ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير عن المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين

والفارق بين الإيمان والكفر، والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة و
قنطرة الإسلام علماً على أنهم مكذبون بالدين، وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة
فيا مصيبتاه، وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفاً على الذي يكذب، إما عطف ذات على ذات أو صفة على
صفة، ويكون جواب أرأيت محذوفاً لدلالة ما بعده عليه، كأنه قيل: أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن
يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين، أنعم ما يصنع؟ ثم قال: فويل للمصلين، أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين، على
معنى فويل لهم، إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين
عن الصلوة مرائين غير مزكين أموالهم. فإن قلت: كيف جعلت المصلين قائماً مقام الضمير الذي
يرجع إلى الذي يكذب وهو واحد؟ قلت: معناه الجمع لأن المراد به الجنس. فإن قلت: أي فرق بين قوله عن صلاتهم
وبين قولك في صلاتهم؟ قلت: معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين
أو الفسقة الشطار من المسلمين، ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك
لا يكاد يخلو منه مسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه يقع له السهو في صلوته فضلاً عن غيره، ومن ثم أثبت
الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم. وعن أنس رضي الله عنه: الحمد لله على أن لم يقل في صلوتهم. وقرأ ابن مسعود
لاهون. فإن قلت: ما معنى المراءاة؟ قلت: هي مفاعلة من الإراءة، لأن المرائي يري الناس عمله وهم
يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حق
الفرائض الإعلان بها وتشهيرها، لقوله عليه السلام: ولا غمة في فرائض الله، لأنها أعلام الإسلام وشعائر
الدين، ولأن تاركها يستحق الذم والمقت، فوجب إماطة التهمة بالإظهار، وإن كان تطوعاً فحقه أن يخفى لأنه
مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلاً، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار
أن تراه الأعين فتثني عليه بالصلاح. وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها
فقال: ما أحسن هذا لو كان في بيتك، وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة، على أن اجتناب الرياء صعب
إلا على المرتاضين بالإخلاص، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه: الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء
في الليلة المظلمة على المسح الأسود. الماعون الزكوة، قال:
قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا
وعن ابن مسعود: ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها،
وعن عائشة: الماء والنار والملح، وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن
اضطرار، وقبيحاً في المروة في غير حال الضرورة. عن رسول الله صلى الله عليه: من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان
للزكوة مؤدياً.

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم. في قراءة النبي صلى الله عليه: إنا أنطيناك بالنون،
وفي حديثه صلى الله عليه: وأنطوا الثبجة. والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة. قيل لأعرابية
رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. وقال:
وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا
وقيل: الكوثر نهر في الجنة. وعن النبي صلى الله عليه أنه قرأها حين أنزلت
عليه فقال: أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي، فيه خير كثير. وروي في صفته: أحلى
من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد، وأوانيه من فضة
عدد نجوم السماء. وروي: لا يظمأ من شرب منه أبداً، أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث
الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في
صدره، لو أقسم على الله لأبره. وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير، فقال له سعيد بن جبير:
فإن ناساً يقولون هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير. والنحر نحر البدن. وعن عطية: هي
صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى. وقيل: صلوة العيد والتضحية. وقيل: هي جنس الصلوة، والنحر وضع اليمين
على الشمال. والمعنى: أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم نعطه غيرك، ومعطي ذلك كله أنا إله
العالمين، فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان: إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم،
فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغماً لقومك الذين يعبدون
غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للأوثان. إن من أبغضك من قومك لمخالفتك
لهم هو الأبتر لا أنت، لأن كل من يولد إلى يوم القيمة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع
على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك، ولك في الآخرة
ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر، إنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة، وإن
ذكر ذكر باللعن. وكانوا يقولون: إن محمداً صنبور إذا مات مات ذكره. وقيل: نزلت في العاص بن وائل وقد
سماه الأبتر، والأبتر الذي لا عقب له، ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له. عن رسول الله صلى الله عليه: من
قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان

بسم الله الرحمن الرحيم. المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم
لا يؤمنون. روي أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة
ونعبد إلهك سنة، فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره. فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد

ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا

آلهتك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي ما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته **فان قلت** فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم **قلت** لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت **فان قلت** فلم جاء على ما دون من **قلت** لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع **فان قلت** ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه **قلت** النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة

ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرا ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **فان قلت** ما محل يدخلون **قلت** النصب اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها رسول الله على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما نزلت خطب رسول الله فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا واباءنا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب

بأنك أول أهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا أي كان في الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم إذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لأنه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله وتب وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع إليه الناس من كل أوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت فإن قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حالة كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله أبا المهلب أبا صفرة لصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما أغنى استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب أو نفي وما كسب مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والأرباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال أخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده

سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد

في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله وقدمنا إلى ما عملوا وروي أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته وامرأته هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال أو على الابتداء والخبر في جيدها وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى الله بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما قال ومسد أمر من أيانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب فقال شعر

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي أم ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم هو ضمير الشأن الله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له فإن قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فإن قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع إلى المبتدأ فأين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة

يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد ومعنى واحد واصله وحد وقرا عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه الله احد بغير قل هو وقال من قرا الله احد كان بعدل القران وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي

السبق دونه ومن ازدراه فليضعف علمه بجلوه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي صلى الله عليه اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه انه سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والماثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلات دمعا وغسقت الجراحة امتلات دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلا وعن عائشة اخذ رسول الله بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين

يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس ان قريشا قالت يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا
اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد
واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه الله احد بغير قل هو
وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين
اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه: ولا ذاكر الله الا قليلا: والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء
الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى
هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية
لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس
حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله
ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي
على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه حي
سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا
اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه
بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يلد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يولد نفي للشبه
والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي
الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه
فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات البارئ
سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه
بالتقديم واحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت
لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود
من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف
بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون
كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته
وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب

السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من
النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين
من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي صلى الله عليه
اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد
الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه انه سمع رجلا يقرأ قل
هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق
فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان
اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر
والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم
لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة
وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما
الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم
ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب
وشتم وغير ذلك [illegible]

ومن شر حاسد إذا حسد بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس

والنفث النفخ مع الريق ولا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه
أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي
يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إليهن وإلى نفثهن والثابتون
بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبأون به فإن قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت
فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ
من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر
عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله إن كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك إذا حسد أي إذا
أظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه
على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه
بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره

فإن قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق
والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما
يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فإن قلت فلم عرف بعض
المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق
لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد
في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد إلا في اثنين وقال أبو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد
وقال إن العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب
التي أنزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام
ونحوه فخذ أربعة فإن قلت لم قيل برب الناس مضافا إليهم خاصة قلت لأن الاستعاذة
وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك
عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم
ووالي أمرهم فإن قلت ملك الناس إله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان
كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب

الناس

من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس صدق الله العظيم

الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس
فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فإن قلت فهلا اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس
مرة واحدة قلت لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار الوسواس اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان
سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو
الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته أن يخنس منسوب
إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس
الشيطان وولى وإذا غفل وسوس إليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة
والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على
أحد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي
كما قال شياطين الإنس والجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان
الإنس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة
الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا
بنفر ورجال في سورة الجن وما أحقه لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم
من الإيناس وهو الإبصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن
مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع
الداع وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان
بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وإنك
لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان

قال جار الله العلامة أستاذ الدنيا
شيخ العرب والعجم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله

وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم
الدين ويثلم اليقين أو يعود في العاقبة بالندم أو يقدح في الإيمان المسوط باللحم والدم
وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الأعظم الأكبر مستشفعا إليه
بنوره الذي هو الشيبة في الإسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت به من

بيان

مهاجرتي اليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على تواكل من القوى وتخاذل من
الخطى ثم اسأله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق
الجبين في عمل الكشاف عن حقائقه المخلص عن مضائقه المطلع على غوامضه المثبت في مداحضه
الملخص لنكته ولطائف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكثر بالفوائد المفتنة التي لا
توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب
المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شيء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة
الاخبار وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار وبما شرفني به ومجدني واختصني
بكرامته وتوحدني من ارتفاعه على يدي في مهبط وحيه ومتنزل آياته وسوره
من البلد الامين بين ظهراني الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى وقع التأويل حيث وجد التنزيل
ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني
بها على رؤوس الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه هو
الجواد الكريم الرؤوف الرحيم

وعورضت هذه النسخة بنسخة عورضت بنسخة الاصل الاولى التي نقلت من السواد
وكانت في يد المصنف وهي ام الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحفوفة
بان تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف
تجاه الكعبة في جناح داره السليمانية التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة
العلائية ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمان وعشرين وخمسمائة
وهو حامد لله على اهر كرمه ومصل على محمد عبده ورسوله وعلى آله واصحابه اجمعين

بعد الفصل من مسائل المصنف كتبه في آخر نسخة وقال بعد النسخة من نسخة الاصل الاولى التي نقلت من السواد وهي ام الكشاف الحرمية الى آخره

وقد تم بعون الله العفو ... على يد العبد الضعيف ...

تمت ... يوم الخميس ... عشر من المحرم ... والحمد لله على ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

باسمه تعالى استفتح وبفضله وطوله استنجح وبالصلوة على رسوله محمد امدح واصبح وبسيف الله
المهند المسلول وحوله وقوته على رقبة الشيطان اصول ثم اقول بعد ما قرع سمعي ونودي سري داوعي
ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف ان كنت تبغي الهدى فالزم قرآنه
فالجهل كالداء والكشاف كالشافي صرفت عنان وكدي وكدي وعطفت زمام همتي وتصدي
الى قراته واستيضاح مشكلاته واستخراج معضلاته وكتابة القرآن على اعالي الاوراق والاطراف
وتعليق الحواشي على الفرجات والاكناف ولما تصديت لهذا الامر العظيم وتوجهت تلقاء هذا الخطب الجسيم
واشتغلت بقراءة الكشاف افاض الله على مصنفه سجال الالطاف اقتفيت اثره وحذوت حذوه
واتبعت خطوه واين الدر من الصدف والزبرجد من الخزف الا ان القصب قد يباع بعتبة السكر
والمرجان قد يشبه بالياقوت الاحمر فكما انه رضي الله عنه هاجر الى الله وجاور بيت الله ورابط
بمكة حرم الله ومولد رسول الله فاني هاجرت الى الله ذي الفضل والاحسان واعتزلت
عن الاصحاب والاحباب والاخدان واعرضت عن الموائد والخوان وجاورت بالمدرسة
الشريفة الغزنية الملاصقة بالمسجد الجامع والزاوية المتبركة الصابنية وقرأت هذا الكتاب من الباء
الى السين وان هذا لهو الفضل المبين والحمد لله رب العالمين وقرأت كتابي وحشيته
واتعبت نفسي الى ان حصل اخاف اذا مت اهلي ان يبيعوا كتابي بسوء البصل
فرحم الله امرأ شرف هذا الكتاب بنظره الشريف وبسط ذيل العفو على زلل واقدام اقلام هذا الضعيف
وانعم عليه بقراءة فاتحة الكتاب وذكره بدعاء صالح يستجاب وثناء فائح يستطاب كيلا يفضحه الله
يوم العرض والحساب ويدخله الجنة بغير حساب ولا عذاب ولله در الشاعر الاعجمي والفاضل الالمعي
فانه ابدع في هذا المعنى وانشد بالافادة في هذا المغنى بدان جونيكو دروبنكرى
جه جان كنده ام تاتوجان بروري وقد انس الفراغ في سابع سابع شهور سنة سبع وثمانين وسبعمائة
على يدي المسكين ابن المسكين تراب اقدام العلماء المتقين والفقراء الصالحين الفقير الى الله الغني
ابي بكر علي عثمان البكري المشتهر بين الاصحاب بنجم الطارمي تجاوز الله عن سيئاته محمد وذريته
والحمد لله على الاتمام والصلوة على رسوله محمد عليه افضل التحية والسلام وعلى آله وصحبه البررة الكرام
ما اوقظت حدقة النرجس من المنام ونشر البنفسج والورد بنفحات الغمام واني لاستغفر الله
من زلة القلم واعوذ به من الفواحش واللمم انه ولي العصمة والتوفيق وبيده ازمة الفضل والتحقيق

رب اختم بالخير والحسنى

اصلح الله شان قائله فرغ الله بال ناظره

كتبته بيدي والقلب يهواه والمرء يأمل ما خط كفاه
ان خط علما فدار الخلد مسكنه او خط زندقة فالنار مثواه

سؤال مولانا عضد الدين الشبانكاري رحمه الله عليه

يا ادلاء الهدى ومصابيح الدجى حياكم الله وبياكم والهمنا الحق بتحقيقه واياكم

ها هو نوركم مقتبس وبضوء ناركم للهدى ملتمس ممتحن بالقصور لا ممتحن

ذو غرور ينشد باطلق لسان وارق جنان الا قل لسكان وادي الحبيب

هنيئا لكم بالجنان الخلود افيضوا علينا من الماء فيضا فانا عطاش وانتم ورود

قد استبهم علينا قول صاحب الكشاف افاض الله عليه سجال الالطاف من مثله

متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز

ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد حيث جوز في الوجه الاول كون الضمير لما نزلنا

تصريحا وحظره في الوجه الثاني تلويحا فليت شعري ما الفرق بين فاتوا بسورة كاينة

من مثل ما نزلنا وفاتوا من مثل ما نزلنا بسورة وهل ثمة حكمة خفية او نكتة معنوية

او هو تحكم بحت بل هذا مستبعد من مثله فان رأيتم كشف الريبة واماطة الشبهة

والانعام بالجواب اثبتم اجزل الثواب ان شاء الله تعالى

جواب مولانا فخر الدين الجاربردي رحمه الله

لمني الشعور معتنا بالاستعلام لما وقع بالدخيل من الاصيل الادخل في الابهام

اشعر بان المتمني يحق بثبوت شيء ما منهما او الانتفاء راسا ولا يرتاب ان انتفاء

الفايدة اللفظية والعايدة المعنوية يجعل التخصيص تحكما ساذجا فان رفع الارتفاع

ينصب البعض لكسر الباقي جبرا فامعزى التخصيص على البيان فاعرض عن الكشف

صفحا مجانبا الاستدراك كالاستكشاف وان ريم ما يعني بالتحقيق فيه

والاخص في الاستعمال فزيغ الآية لا زلة جبر كعثرة عنادها لا دخل منزلة

في انزلنا اولا بشهادة الدعدعة لعثوره عليها في نزلنا ثانيا والتبيين حبيس

التعيين فانهما من بنات خلعت عليهن الثياب ثم دفنتهن وحثوت

عليهن التراب فبح باسم من اهوى ودعني من الكنى

فلا خير في اللذات من دونها ستر

اني

اني امرؤ ايم القصايد للعدى ان القصايد شرها اغفالها الحمد لله رب العالمين

والصلوة على خير خلقه نبينا محمد وآله واصحابه اجمعين كتبه الضعيف الجاربردي ابن الحسن احمد حامدا

اجاب عن الجواب العلامة المرحوم عضد الملة والدين طاب ثراه

اقول واعوذ بالله من الخطاء والخطل واستعفيه عن العثار والزلل الكلام على هذا الجواب

من وجوه الاول انه كلام تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ككلمات المبرسم غير منظوم وكهذيان المحموم

ليس له منهم كم غرض على ذي طبع سليم وفهم مستقيم فلم يفهم معناه ولم يعلم مؤداه ولكني وكيلا يبني ويبكيك

كل من له حظ من العربية وذكاء مع الممارسة بشطور الفنون الادبية الثاني انه لما جهل

الاستفهام لشدة الابهام فسره بما لا يدل عليه لا بالمطابقة ولا بالتضمن ولا بالالتزام وحاصله

ان ثبوت احد الامرين ههنا محقق وانما التردد في التعيين فحقه ان يسال عنه بالمرجح ام دون

فهل مرجح او فانه سؤال عن اصل الثبوت الثالث انا لا نسلم تحقق احد الامرين حقيقة لجواز

ان لا يكون لحكمة خفية ولا لنكتة معنوية بل لامر بين في نفسه على السايل او لشبهة

قد تخايلت للحاكم وتقحمت بتامل ما فلا يكون تحكما بحتا وان سلمنا الحصر فلم لا يجوز ان

يتجاهل السايل تادبا واعترافا بالمقصود وتجنبا عن التيه والغرور الرابع ان ام

هذه من الاضرابية فهذا ساغ في الوجوه الاعرابية فاين انت من قولهم لا تاكل زيدا فيعضك

ام تحسبه غلامك واقل غذائك او لا تدري من امامك ابعد ما اذابت نفسك ليلا

ونهارا في شعب من العربية منذ نيطت بك التمايم الى ان اشتعل الراس شيبا يخفى عليك هذا الجلي

الظاهر الذي هو مسطور في الجمل لعبد القاهر الخامس هب هذا خطاء صريحا لا يمكن ان تحمله

محملا صحيحا اليس المقصود هنا كالقبيح يتبلج وكالقاذر في الظلم على راس العلم تتوهج فاذا كان لو اشتغلت

بعد ما يغنيك من الجواب بما لا يعنيك عن التخطية في السؤال السادس قد وجب الشرع رد التحية والسلام

وندب الى التلطف والاكرام في الكلام فمن نوبك عنه فقد اعترف الاثم واستحق الذم واساء الادب

وتجنب الام واشعر بانه ليس له من الخلق خلاق ولم يرزق متابعة من بعث لتتميم مكارم الاخلاق

السابع انه اعرض صفحا عن الجواب وزعم انه من بنات خلع عليهن الثياب ثم حثا عليهن التراب

فان كان هذا حقا فلا ريب في انها تكون بالية او منتنة ومع هذا فمصداق كلامه ان ينبش عنها

او ان ياتي بمثلها فنرى ما هيه الثامن ان السؤال لم يخص به مخاطب دون مخاطب بل اورد

على وجه التعميم والاجمال مرعيا فيه طرق التعظيم والاجلال موجها الى من وجه اليه ويقال نصدق

انت من ادلاء الهدى ومصابيح الدجى فاني راى نفسه اهلا للخطاب متصديا للجواب وهلا ذراه

عن نفسه معرفة بقدره وعلما بغوره ومحافظة على طوره الى من هو اجل منه قدرا وانور بدرا من

زعماء النحارير وفحولة علماء النحارير الذين لا يفوتهم سابق ولا يشق غبارهم لاحق وان كان لا يرى فوقه احدا

فانه للعمه والعمى والمخافة العظمى وما للداء الثوكل من دواء وليس لمرض الجهل المركب من شفاء التاسع

البليغ من عدت هفواته والجواد من حصرت كبواته اما لا يا بن مع الدعدعة بنوء العثار ويحتاج

العنق

الى من يسود عصاه فى ضوء النهار فاذا سابق فى المضمار المعتق الجياد وتناضل عند الرهان ذوى
الايدى الشداد فقد جعل نفسه سخرة للساخرين وضحكة الناظرين ودرية للطاعنين وغرضا لسهام الراشقين
العاشر انك بدعوك دهط احتفوا حولك والقوا السمع الى قولك بصوتك فى كل مخذ
ويصدقونك فى كل ما تاتى وما تذر ولم تمر بتداع الابطال البهاميم ولم تدفع الى جدل مجادل يعركك
عرك الاديم وظننت بنفسك الظنون ورسخ فى دماغك هذا النمط المجهول ولم تذق اديبا
ولا ناصحا لبيبا فما كل ذى لب بموتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب فها انا اقول لك الحق الذى
تابى غيره نفس ابية ولا يصرفنى عنه هوى ولا عصبية فاقبل النصيحة واتق الفضيحة ولا ترجع بعد ذا
الى مثل هذا فانه عار فى الاعقاب ونار يوم الحساب هدانا الله واياك سبيل الرشاد ٥

للمولى امين الملة والدين التبريزى رحمه الله

ان قيل ما وجه تخصيص الضمير بالعبد على تقدير تعلق من مثله بفاتوا مع تجويز كونه له وللمنزل على تقدير تعلقه
بالسورة قلت الجواب يقتضى تقديم مقدمتين الاولى ان من مثله يحتمل وجهين الاول ان يكون
المراد من مثل الكلام المنزل وللعبد المذكور نفس ذلك الكلام او ذلك العبد فيكون معنى المثل
ملغى كما فى قوله حاشا لمثلك ان يكون بخيلا ولمثل وجهك ان يكون عبوسا وحينئذ يجب تقدير
المثل فى السورة ليستقيم المعنى والا لزم كون التحدى باتيان سورة كاينة من القرآن او صادرة
من النبى عليه السلام وهو محال الثانى ان يكون معنى المثل بحاله ويكون المراد منه كلاما آخر مثل القرآن
او شخصا آخر مثل النبى عليه السلام وهو ظاهر المقدمة الثانية ان الاقسام على ما ذكره صاحب الكشاف
اربعة لان من مثله اما متعلق بسورة او بالاتيان وعلى التقديرين فالضمير اما ان يكون للعبد
او للمنزل فهذه اربعة واذا تقرر ذلك فنقول القسم الاول صحيح على الوجهين لان التقدير حينئذ
فاتوا بمثل سورة صادرة عن النبى عليه السلام او بسورة صادرة من مثل النبى عليه السلام وهما مستقيمان
والثانى صحيح على الاول دون الثانى والا لم يكن التحدى باتيان السورة فقط بل بشرط ان
يكون بعضا من كلام مثل القرآن وهو باطل والثالث صحيح على الثانى دون الاول لان تقديره
حينئذ فاتوا من هذا العبد بمثل سورة وهو لغو فيكون القسم الرابع فاسدا على الوجهين والله اعلم

وقد تستعمل الامر للتعجيز نحو فاتوا بسورة من مثله اذ ليس الامر طلب اتيانهم بسورة من مثله لكونه محالا والظرف اعنى قوله
من مثله متعلق بفاتوا والضمير لعبدنا او صفة لسورة والضمير لما نزلنا او لعبدنا فان قلت لم لا يجوز على
الاول ان يكون الضمير لما نزلنا قلت لانه يقتضى ثبوت مثل القرآن فى البلاغة وعلو الطبقة بشهادة الذوق
فى التعجيز انما يكون عن الاتيان فكان مثل القرآن ثابت لكنهم عجزوا عن الاتيان منه بسورة بخلاف ما اذا كان
وصفا للسورة فان المعجوز عنه هو السورة الموصوفة باعتبار انتفاء الوصف فان قلت فليكن التعجيز
باعتبار انتفاء المأتى منه قلت احتمال عقلى لا يسبق الى الفهم ولا يوجد له مساغ فى اعتبارات البلغاء و
استعمالاتهم فلا اعتداد به ولبعضهم هنا كلام طويل لا طائل تحته لمولانا سعد الدين
فى مختصره